
كتابي
لعبة الحب والموت
حلمي مراد
٨ كتب
٨ قروش
وكتب أخرى

عزيزي القارئ ..

بهذا العدد تختتم السنة الاولى من حياة «كتابي» .. واذا كان لي أن اوجه اليك كلمة لهذه المناسبة ، فاحسبك تعرف أنها لا يمكن أن تكون غير كلمة شكر صادر من أعماق القلب .. فانت الذى احتضنت كتابي منذ اللحظة الاولى ، وتعهدته برعايتك ، واعتبرته كتابك المفضل الفريد في فكرته ، والوحيد من نوعه .. وانت ــ بعد الله ــ صاحب الفضل الاكبر في هذه المكانة الممتازة التي بلغها كتابي في عام واحد !.. والعام في عمر المجلة الشهرية لا يزيد في نظرك عن اثنى عشر يوما ، هي أيام صدور اعدادها الاثنى عشر .. اما بالنسبة لي فقد كان العام ٣٦٥ يوما كاملة ، مضروبة في عشرات الساعات التي قضيتها من كل يوم متكبا على اعداد مواد كتابي ، والاشراف بنفسي على كل صغيرة فيه وكبيرة .. !

فاذا كان لي أن ارفع اليوم رأسي من هذا الانكباب الطويل ، فلكي اعترف بالجميل لاهله ، واقر لك بصنيعك العظيم .. ثم لاعاهدك على أن يكون هدف كتابي في عامه الجديد أن يقفز لك ــ وبواسطتك ــ في كل عدد قفزة جديدة .. وان يحقق لك من امانيك كل عسير صعب المنال !

وبهذا العزم المتسلط وهذه الفكرة الملحة اعتزم أن اقدم لك باذن الله في مستهل العام الثاني من كتابي ــ في أول مارس القادم ــ عددا فاخرا ممتازا، أرجو أن يكون فاتحة اعداد ممتازة متوالية .. ولا أريد أن اسرف لك اليوم في الوعود ، فسوف ترى وتلمس ذلك بنفسك ..!

هذا الورق ..

◆ ولما كنت أعتبرك قد صرت في الواقع «صاحب» كتابي أكثر مني ، بحيث يحق لك أن تطالبني بتسميته «كتابك» .. فاني لا أريد ان يطرأ على الكتاب أي جديد بغير أن تعرف سببه وداعيه .. ولعلك قد لاحظت بمجرد تقليب صفحات هذا العدد أن ورقه يختلف عن ورق الاعداد السابقة جميعا ، بحيث قد تسيء بي الظن فتحسبني عمدت الى تغييره ابتغاء نفع أو فائدة مادية .. في حين انه كلفني ثمنا غاليا يوازي ثمن ورق الاعداد الماضية بل ويجاوزه بقليل ، فهو من النوع المسمى (Mittle-fine) ــ وان يكن لا يعجبني مع ذلك ، شخصيا ، وانما اضطررت الى استعماله هذه المرة اضطرارا بسبب

نفاد كميات الورق الاخر قبل اوانها ، نتيجة لزيادة المطبوع من العددين السابقين ، ولاعادة طبع العدد الاول طبعة «ثانية» ثم «ثالثة» ، فى منتصف ديسمبر ثم منتصف يناير المنصرم على التعاقب .. وهكذا حان موعد طبع هذا العدد ، والورق الجديد الذى طلبته من الخارج خصيصا لكتابى لم يصل بعد .. فلم يكن بد من الرضا بهذا الصنف مؤقتا .

العدد الثانى .. نفد أيضا !

◆ وعلى ذكر العدد الاول واعادة طبعه ، فقد نفدت اخيرا نسخ العدد الثانى أيضا «قلب عذراء» ، ولا أتوقع أن أتمكن من اعادة طبعه مرة ثانية – على الاقل فى المستقبل القريب – الا اذا ايقنت ، من طلبات الجملة التى تصلنى من متعهدى التوزيع ، ان المطلوب منه قد بلغ الحد الذى يحتمل نفقات اعادة الجمع والطبع .. الخ لذلك أجدنى مضطرا الى الاعتذار لحضرات الذين ارسلوا فى طلبه منذ نفاده ، والى سواهم ممن قد يفكرون فى طلبه بعد الآن ، مكررا أسفى لعجزى عن تلبية طلباتهم ..

وختاما ، تقبل منى ايها القارىء العزيز فى نهاية المجلد الاول من «كتابك» أطيب التحية واجمل التمنيات .. والى اللقاء على صفحات كتابى القادم – الممتاز – باذن الله

حلمى مراد


أنا القاتل!
قصة مصرية
للمحرر

« ◆ **تسألونني** يا حضرات المستشارين عما اذا كنت قد قتلت المجني عليها ؟٠٠ وعن الدوافع التى حدت بى الى ارتكاب جريمتى الشنعاء ؟

« أما السؤال الاول فجوابى عليه : نعم ٠٠ أنا القاتل !

« ٠٠ وأما دوافع جريمتى فلها قصة ، لو اتسعت صدوركم لسماعها فسوف تسألونني ، وتتساءلون معى : كيف لم أقتلها من قبل ؟؟

« ولكن ، دعونى أعرفكم أولا بنفسى ٠٠

« اسمى الكامل (عصمت خليل عبد الغفار) ، رئيس قلم (٠٠) بوزارة الاوقاف ٠ ولدت فى مركز « طوخ » فى ٧ فبراير سنة ١٩٠٦ من أسرة متوسطة الحال ، قوامها أبى « الشيخ خليل » — الذى كان يملك أكبر متجر للخردوات فى البلدة ثم أفلست تجارته ومات وأنا بعـــد فى بداية عامى الثالث ! — وأمى ، التى عاشت قبل ولادتى فى حداد شبه متصل على أولادها الذكور الذين كانوا يولدون ثم يموتون على التعاقب فى طفولتهـــم الباكرة فى ظروف أليمة متنوعـــة الاسباب !٠٠ وأخيرا اخواتى الاناث الثلاث اللواتى كن وحدهن بمنجاة دائما من كل سوء !

« وقد نشأت وأنا أسمع من أمى همسا انها وأبى قد اتفقا عقب مولدى على اخفاء حقيقة جنسى ردحا من الزمن ، وعلى الزعم فى البداية اننى « انثى » ، اتقاء لشر الحسد أو « العين » ٠٠ التى كانت فى نظرهما المسؤولة عن انقراض كل نسلهما من الذكور أولا بأول !٠٠ وقد اختارا لى اســـم (عصمت) المشتبه كى يتمشى مع هذا الزعم ، وألبسانى ثياب الانثى عامين كاملين ، امعانا فى التعمية وحسن السبك ٠٠ حتى

زالت حداثة المناسبة التى أوحت اليهما بهذا التصرف الشاذ، فتركا حقيقتى تظهر للعيان بالتدريج وكلما دعت الظروف، ولم يبقيا من تعاويذ الماضى غير حجاب صغير مربوط تحت ابطى على الدوام !.. ثم لم تمض شهور حتى ارتبكت حالة أبى المالية وأشهر افلاسه، فأصابته النكبة بصدمة قلبية قضت عليه فى خلال ساعات ..!

« وهكذا صرت « رجل » الاسرة وأنا ما أزال .. طفلا !

« ◆ **قصصت** عليكم كل ذلك ـ يا حضرات المستشارين ـ لارسم لكم صورة مصغرة لطفولتى الحزينة وصباى القاتم، وللبيئة المرورة التى دمغت سنوات يفاعتى بطابعها الكئيب، فشببت سوداوى المزاج، مشبعا بروح التشاؤم والتطير، شديد الانطواء على نفسى والعزوف عن الناس، أكره المجتمعات وأمقت الظهور والمباهاة !.. **وفى ظل هذه الظروف التعسة والتربية الخاطئة الخرقاء كبرت وترعرعت، فظل هذا الطابع يغلب على نفسيتى طيلة السنوات القاتمة التى قضيناها فى كفاح دائب من أجل العيش ..**

« .. حتى نلت البكالوريا، بشق النفس، ثم حصلت على وظيفة لا بأس بها بديوان الاوقاف .. واذ ذاك بدأت أحوالى تتحسن بالتدريج . وحين بلغت الخامسة والثلاثين كنت قد وصلت باجتهـــادى الى مركز أدبى ومادى يؤهلنى للزواج، فخطبت ابنة واحد من رؤسائى كان معجبا بعملى وشخصيتى « الوقورة المتزنة »، وتم زفافنا بعد حين ..

« وعندما جادت على الاقدار بطفل قبل انقضاء العام، أيقنت ان السعادة قد دانت لى بعد طول شقاء .. ولم يخيب الله ظنى فتذوقت فى الاعوام التالية من هناء العيش ما لم أكن أتمنى لنفسى بعضه من قبل ..

❖

« ◆ **ومضت** ست سنوات ، كبر خلالها ابنى « وحيد » ، واقتضتنا ظروف تعليمه أن ننتقل من مسكننا الاول الى مسكن آخر قريب من المدرسة الابتدائية التى ألحقناه بهـــا فى حى العباسية ٠٠ فلم نكد نحل به حتى تعرفنا الى جارتنا الجديدة التى تقطن الشقة المواجهة لنا ٠٠ **وكانت** « **مفيدة هانم** » **أرملة فوق الاربعين ، لا زوج لها ولا ولد ، بدينة الجسم ، قبيحـة الخلقة ـ باستثناء عينيها الواسعتين الكحلاوين ، الشبيهتين بعينى منوم مغناطيسى ! ـ ولكنها كانت جذابة الحديث ، تتقن فن الثرثرة وسرد أخبار الناس والمجتمعات ٠٠ حتى لقد أطلقنا عليها لقب** « **الجاسوسة غير الحسناء !** »

« وكان السبب فى تعارفنا حادث تافه لم أعره عند وقوعه دلالة خاصة : كنا قد صعدنا الى مسكننا الجديد فى الطابق الثانى لاستلام الاثاث من الحمالين وارشادهم الى مكان وضع كل قطعة منه ٠٠ وفيما نحن أمام الباب المفتوح على مصراعيه ، فتح باب الشقة المواجهة وبرزت على عتبته امرأة لم تكد ترانا حتى تظاهرت بالاجفال ، وكأنها فوجئت برؤيتنا ، كى تخفى فضولها الى « التفرج » على السكان الجدد ! ثم تداركت الموقف بأن حيتنا وأزجت الينا التهنئة المألوفة فى هذه المناسبة ٠٠

« فى تلك اللحظات كان الحمالون يدخلون من الباب مرآة « كونسول » غرفة الاستقبال ، وكانت تحفة رائعة من تحف فن الاثاث موضوعة داخل اطار مذهب دقيق الصنع ٠٠ فلم تكد تراها الجارة وهى تهم بالتراجع الى شقتها حتى تريثت عند الباب برهة تتأملها ، وفى عينيها نظرة الاعجاب الصامت!

« **وشغلنى زهوى باعجابها عن مراقبة الحمالين ، فغفلت عنهم لحظة ٠٠ لكنها كانت كافية لوقوع « الحادث » ! فقد**



تنبهت فجأة على صوت المرآة الثمينة تصطدم بمقبض الباب النحاسى .. فتتهشم !

« دار رأسى ، ونظرت الى المرآة بحسرة .. فتراءى لى فيها شبح (مفيدة هانم) ، التى تفضلت فشاركتنا « مصابنا » بهمة مشكورة وحماسة بالغة ، مبدية أسفها لما حدث فى أحر لهجة .. ثم أوصتنا أن نحمد الله على أن « الشر قد انكسر ! »

❖

« ◆ **وكان** ذلك الحادث بداية التعارف بيننا .. وفى الاشهر التالية توثقت الصلة بين زوجتى ومفيدة هانم . ولم أر أنا بأسا فى هذه الصلة فى البداية ، فقد كانت فيها تسلية لزوجتى فى فترة غيابى فى المقهى وانشغال وحيد بدروسه .. واعتدت أن أراهما تتساروان ، حين يصادف أن أعود مبكرا ، فلم أكن أعلق على ذلك أهمية ما .. بل كنت على العكس أمنى نفسى فى كل مرة بقصة شائقة من قصص الزواج والطلاق ، أو فضيحة كبرى من فضائح المجتمع ترويها لى زوجتى فى أقرب مناسبة ، نقلا عن جارتنا الثرثارة ! .. وبمرور الايام بدأت أجد لذة فى سماع قصص مفيدة هانم ، وخاصة حين كان ينغص صفو بيتنا حادث مكدر ، فقد كانت لطرافتها ترفه عنا بعض ما يصيبنا من نكد ومتاعب !

« **لكن حاجتى الى قصص وفضائح مفيدة هانم أخذت تزداد يوما بعد يوم ، بازدياد المنغصات التى أخذت تتواتر علينـــا**

تقريبا بلا انقطاع ٠٠ حتى لم تعد تخلو الحال من مريض فى البيت أو اشكال خطير فى العمل ، أو خلاف زوجى حاد ، أو خسارة مالية أو سرقة كبيرة ٠٠ الخ ٠٠ وفى كل مرة كنا نستمع الى نصيحة مفيدة هانم فنصدق أن «صحتنا بالدنيا» وأن « الشر قد انكسر »

« لكن الشرور استمرأت فيما يبدو أن تنكسر عندنا ، المرة بعد المرة ، فتتابعت وتنوعت ٠٠ صار ينكسر لنـــا كل أيام شر جديد ، أو يصيبنا مكروه جديد !٠٠ وكان ضحيتها غالبا أحدنا أو كلانا ٠٠ وهدفها دائما أعصابنا !

◆ **ومر** العام ٠٠ ونجح وحيد فى الامتحان بتفوق ، فأقمنا فى منزلنا حفلة كبرى ابتهاجا بنجاحه ٠٠ وانقضت الليلة فى صخب ومرح وموسيقى وطرب ، حتى مطلع الفجر ٠٠ ثم آوينا بعد ذلك كل الى فراشه فنمنا حتى ساعة الظهر ، ولم نستيقظ الا على دقات جرس الباب ٠٠ واذا رجال الشرطة قد أحاطوا بالبيت ، وضباط البوليس السياسى قد أقبلوا يفتشون مسكننا بحثا عن نشرة حزبية فيها مهاجمة للحكومة القائمة وقتذاك !٠٠ ورغم انهم لم يجدوا من النشرة الا نسختين كانتا قد وصلتانى بطريق البريد ، فانهم أصروا على اقتيادى معهم الى حيث ألقبت فى أحد المعتقلات ٠٠!

« وفيما أنا أهبط السلم فى حراسنهم لمحت فى عينى مفيدة هانم وهى على عتبة بابها نظرتها المواسية المألوفة التى تقول « تشجع ٠٠ صحتك بالدنيا ! »٠٠ فتملكنى حنق شديد ، ودار بخاطرى سؤال حائر : « الى متى سأظل أتلقى من هذه المرأة نظرات الرثاء وكلمات العزاء ؟ » ٠٠ ان المواســاة المتكررة فى ظروف أليمة تصبح أحيـــانا فى نظر المصاب الحانق مدعاة للتشاؤم من مواسيه ، ومثارا لحفيظته عليه !

« وفيما أنا أضع قدمي في سيارة « البوكسفورد » ، تذكرت سهرة البارحة .. وأفراحنا التي انقلبت أتراحا .. فومض في ذهني خاطر مفاجيء : « ان شؤما عجيبا قد لازمنا منذ وضعنا أقدامنا في هذا البيت !.. ما من مرة فرحنا فيها أو ظفرنا أو اعتززنا بشيء ، الا وأصبنا في صميمنا فحرمنا منه أو فجعنا فيه !.. ترى ما السر ؟ » .. **ومضت سيارة البوليس تنهب بنا الطريق ، والافكار والهواجس المشوشة تنهب رأسي تباعا : « انقراض اخوتي الذكور .. طفولتي .. ثياب الانثى .. اسم عصمت .. الحجاب تحت ابطي .. افلاس أبي ووفاته بعد انكشاف ذكورتي !.. ألم تكن أمي تقول ان « عين الحسود » هي المسئولة عن كل ما أصابها ؟.. لم لا يكون الامر صحيحا معي أنا أيضا ؟.. لم لا يكون الداء في الاسرة ؟ كلا، انها ليست خرافة ينبغي أن أخجل منها .. ان الاديان ذاتها قد نصت عليها ! »**

« وجعل صوت كالمطارق يدق وعيي بشدة : « العين !.. العين !.. العين ! » .. ولكن عين من ؟.. تمثلت لي عيون حشد من الاصدقاء والاقارب والزملاء.. عيون سوداء، وعسلية، وغبراء ، وزرقاء .. لكنها مرت جميعا كما في شريط سينمائي دون أن تثبت أي منها في خيالي .. وبغتة ، تراءت لي عينان .. واسعتان كحلاوان .. أشبه بعيني المنوم المغناطيسي .. آه ، وجدتها ! انها ليست غير .. مفيدة هانم ! »

« ووجدت في ذلك مفتاح اللغز العصي .. وكما تتدفق المياه مندفعة من قمة شلال تدفقت في ذاكرتي أحداث العام الاخير وتداعت مناسباتها .. فجعلت « أولف » عليها مفتاحي الجديد، واذا أقفالها جميعا تلين له ، فينفتح أمامي أفق الحقيقة الرهيبة التي كنت أشفق من الاعتراف بها منذ حادث كسر المرآة .. واذا

أنا أتبين قاسما مشتركا بين جميع الحوادث التى أصابتنا ، كان بسبق البلية فى كل مرة ، هو عينا مفيدة هانم !٠٠ ما من مرة وقعت عيناها على شيء ثمين أو شهدت عندنا حفلا بهيجا أو ٠٠ الا وأصابنا عقب ذلك مكروه ، أو انكسر شر جديد !٠٠ ربا ه ، أما لهذه اللعنة من آخر ؟؟

❖

« ◆ **وبقيت** فى المعتقل سبعة أشهر ، قاسيت فيها من الآلام النفسية الفظيعة ما أترك لكم أن تتصوروه ٠٠ وحين أفرج عنى آخر الامر ، وجاءت مفيدة هانم تهنئنا ، كدت أفقد زمام أعصابى فأطردها من البيت وأشيعها باللعنات٠٠ لكنى تماسكت، واكتفيت بأن طلبت من زوجتى بمجرد خروجها أن تقطع صلتها بجارتها ، بالطريقة التى تراها !٠٠ وحين سألتنى عن السبب خجلت من أن أصارحها بهواجسى ـ سيما وانى كنت أعلم أنها لا تؤمن بالحسد ! ـ فاخترعت لها قصة وهمية تبرر طلبى الشاذ العجيب ٠٠

« ونفذت زوجنى رغبتى بالتـــدريج ، وبصورة ودية ٠٠ فصارت تتراخى فى رد زيارات جارتها ، وتكثر من الخروج فى أوقات الزيارة الى ناد قريب اشتركت فيه خصيصا لهــــذا الغرض ٠٠ حتى فترت علاقتها بمفيدة هانم فتورا ملحوظا ٠ ولكن حتى هذه النتيجة لم تكف لتقطع دابر هواجسى !٠٠ صار يكفى أن تقع عينا اللعينة على ، فى خروجى أو دخولى ، أو على السلم ، أو فى الشرفة ، حتى يســتيقظ وسواسى ويتملكنى تشاؤم مرعب ، فأتوجس خيفة من العواقب وأتوقع مكروها ٠٠ فأظل أرقب ما يأتى به الغد ، بقلب واجف !

« **واستحالت حياتى جحيما ٠٠ فقدت كل ذخيرتى من سلام النفس وسكينة الخاطر ، والاطمئنان الى المستقبل !٠٠ حتى**

انتهى الامر بى الى التفكير فى مخرج سريع من هذه الحال : هو الانتقال من مسكنى الى بيت آخر ، أبعد ما يكون عن « المجـــال الحيوى » لعينى مفيدة هانم !٠٠ لكن أزمة المساكن وفداحـــة الايجارات الجديدة قضت على الفكرة فى مهدها ، وقضت عـلى بالخضوع اقدرى المحتوم الى النهاية ٠٠

« وتوالت علينا المتاعب والاكدار ، فى فترات متقاربة لم تكن تسمح لروعى أن يفرخ ، ولاطمئنانى وتفاؤلى أن يعاودانى !٠٠ وتوالت لدى أدلة الاتهام ، وكلها تشير بأصبعها الى فاعل واحد: مفيدة هانم !٠٠ وقبل أن يطمئن مرور الايام من أوهامى وقع حادث جديد : كنا خارجين لحضور حفلة ساهرة تقيمها احدى جمعيات « البر » ، وكانت زوجتى قد ارتدت ثوبا جديدا رائعا من ثياب السهرة ٠٠ فلم نكد نهبط الى منتصف السلم حتى صادفنا مفيدة هانم صاعدة ! وحلا للعينـــة أن تبدى اعجابها الزائد بثوب زوجتى الجديد ، وتطرى شبابها الفاتن ٠ وكانت عباراتها كافية كى تبلبل أفكارى وتنغصنى طيلة السهرة !٠٠ وحين عدنا أحست زوجتى ببرد ، فدخلت المطبخ لتعد لنفسها شرابا ساخنا ٠٠ وما هى الا لحظات حتى انفجر فى وجهها موقد البترول وشبت النار فى ثوبها ، فأصيبت بحروق ظلت تعالج منها ومن آثارها أشهرا طوالا !

« ومرة أخرى دخلت علينا مفيدة هانم لزيارتنا بدون سابق اخطار ، وكنا قد دعونا بعض الاصدقاء لتناول الشاى ، فارتبكت وانسحبت ٠٠ لكنها لم تنس أن تلقى على مائدة الشاى قبل أن تخرج نظرة سريعة ، بدافع من الفضول ، فلم تمض ساعتان حتى ظهرت على ثلاثة منا أعراض التسمم من فطيرة فاســدة أكلناها !

« وذات يوم كنا فى زيارة احدى أسر الجيران ، فقالت لنا



ربة البيت عرضا انهـا سمعت مفيدة هانم تمدح زوجتي وتشيد بمبلغ تفانيهـــا في حبى الى درجة أستحق أن أغبط عليها!٠٠ فلم أكد أسمع هذه الرواية حتى اعتراني انقباض مفاجيء وكآبة شديدة، كالتى تصيب الشخص حين يتنبأ له منجم بارع بكارثة توشك أن تدهمه !٠٠ وهكذا قضيت أسابيع نهبا لشتي ألوان المخاوف والوساوس ، أتوقع في كل لحظة أن يصيبني أو يصيب زوجتي مكروه يفرق بيننا ، ويحرمني من حبها الذى تحسدني عليه الارملة اللعينة !

« ووقعت الكارثة فعلا ، بلا مقدمات !٠٠ عدت ذات ليلة فجأة من مهمة مصلحية في بلدة قريبة ، قبل الموعد الذى حـــددته لعودتي ، فوجدت زوجتي بين ذراعى رجل غريب ، من أعضاء النادى الذى تتردد عليه !

« ولكم أن تقدروا يا حضرات المستشارين عنف الصدمة التى اصابتني ، فسحقتني سحقا !٠٠ فكلكم زوج وكلكم يستطيع أن يتصور فظاعة الطعنـــة التى تمزق قلب الزوج المخدوع حين يكتشف فجأة أن زوجته التي أظلها سقفه، ووجدانه، سنوات٠٠ قد استباحت أن تلغ في شرفه بلا رحمة ولا وازع من ضمير !

❖

◆ **يا حضرات المستشارين ٠٠**

« ألمح على وجوهكم تساؤلا حائرا يريد أن يفصح عن نفسه : « ما دمت أهلا لارتكاب جريمة القتل ، فكيف ولماذا لم أرتكبها

ساعتئذ ؟ وأى دوافع للقتل أقوى وأعنف من هذا الدافع الذى واتانى به القدر ؟ »

« وجوابا على هذا التساؤل المنطقى المفهوم أبادر فأقول : انى لم أرتكب جريمة القتل يومئذ من أجل مستقبل ابنى « وحيد » .. ومن أجله وحده ارتكبت الجريمة ذاتها فيما بعد !

« كان قد انقضى على الحوادث السالفة التى انتهت بتطليقى لزوجتى الغادرة قرابة عامين ، قوى فيهما « ايمانى » بمفعول عين مفيدة هانم، بعد التجارب الرهيبة التى مرت بى، والتجارب الاخرى الجديدة التى لن يتسع وقتكم لسماعها لو ذكرتها بالتفصيل !... عامين قضيتهما مع وحيدى فى خوف متصل ورعب قاتل ، بل فزع مروع ـ أشبه بفزع القيامة ! ـ وذقت خلالهما من اضطراب الاعصاب وهواجس الاوهام ما لا قبل لاقوى جبار باحتماله .. كنت طيلتهما أحنو على صغيرى اذا غدا . وأحنو عليه اذا راح ، كما يحنو النسر على فرخه من عدوان الزمان ، فى انتظار اللحظة التى ينطلق به فيها من موطن الخطر الى جو الامان !.. وكان حبى اياه وخوفى عليه قد أمدانى بعقلية وحشية ، سخرتها لبذل أقصى ما فى طاقة البشر لحمايته من خدش النسيم !.. دون أن أتوانى أثناء ذلك يوما واحدا عن البحث بكل وسيلة وحيلة عن مسكن آخر ، بايجار تتحمله ميزانيتى . كى أنتقل بالصبى اليه !

« وتحققت أمنيتى أخيرا ، فوجدت المسكن المنشود .. ووقعت عقد الايجار .. ثم طرت الى صغيرى والفرحة تنشرنى وتطوينى، وهناك وجدت فرحة أخرى تنتظرنى فى صحف المساء: لقد نجح وحيد فى امتحان الشهادة الابتدائية ، بل وظفر بالاولوية بين زملائه ، فدعته المدرسة الى حفلة تكريم تقام لهذه المناسبة فى عصر ذلك اليوم !

« لو رأيتمونى يا حضرات المستشارين وأنا ألبس الصبى يومئذ حلته الجديدة الانيقة بنفسي ـ وقد صرت أباه وأمه ! ـ ثم وأنا أطبع على جبينه قبلة الاعجاب ، وأخرج به والزهو يملأ أعطافي الى حيث ينتظره التكريم ·· لقـــدرتم مبلغ الانزعاج الجنونى الذى أصابنى لحظتئذ حين فتحت باب مسكنى لاخرج ، وفى يدى الصغير ، فاذا أنا أرى بومة الشؤم « مفيدة هانم » واقفة على عتبة بابها ! ـ وأقسم لكم لو ان الشيطان بعينـــه تجسد لى لما انخلع له قلبى كما انخلع فى تلك اللحظة !!

« ·· ولو رأيتمونى وأنا أتيه فخرا بابنى « المحتفى به » ، أمام مئات الآباء والامهات والتلاميذ الذين حضروا الحفلة فى ذلك المساء ·· لتفطرت قلوبكم لفجيعتى وأنا ألتقط الصبى من عرض الطريق فى اليوم التالى وقد دهمته سيارة جامحة !

❖

« ◆ **وأحسبكم** تستنتجون ما حدث بعد ذلك يا حضرات المستشارين : مات وحيدى ! لفظ أمامى نفســـه الاخير وأنا جالس على حافة فراشه مسلوب الرشاد ، أود لو أفتديه بكل رصيدى الباقى لى فى ذمة الدنيا من عمر ومال ·· أو أنتزع نجاته من براثن القدر الغشوم ولو اقتضــانى الصراع معه أن يعتصر دمى قطرة قطرة ، ويمتص من جسدى ماء الحياة نقطة نقطة ، حتى أسقط ـ بعد انتصارى ـ جثة هامدة تحت قدميه !

« لكن أمانى ومساوماتى لم تبلغ مسامع القدر فيما يبدو ، فنفذ فى وحيدى قضاء الله الذى لا راد له !

« وجاءت مفيدة هانم لتعزينى ، كالعادة !·· والانسان اذا فقد فى كهولته زوجته ، وشرفه ، ثم ابنه الوحيد ·· خليق أن يفقد معها أعصابه ، فيرتكب أى فعل ·· لاسيما اذا رأى نفسه فى لحظة الصدمة وجها لوجه أمام المخلوق الذى يعتبره المسؤول عن كل ما حدث !

« وقد كان ٠٠ لم أكد أرى الارملة المنكودة تدخل على ، حتى اختلطت فى ذهنى ألف فكرة وفكرة ، وتتابع فى مخيلتى ألف منظر ومنظر ٠٠ فاختطفت من جوار جثة الصبى مبضع الجراح الذى كان يحاول انقاذه به وهجمت على اللعينة كالوحش الكاسر ٠٠ لم أكن أنوى أن أقتلها فأريحها من انتقامى فى سهولة ويسر، وانما أردت أن أفقأ عينيها الشريرتين اللتين سلطتهما على كل ما كنت أعتز به ، وكانت هى محرومة منه ، فأفقدتنى اياه !

« نعم ، أردت فقط أن أفقأ عينيها الآثمتين ، كى تقضى بقية حياتها فى ظلام دائم أشـــــد حلكة من ظلام القبور ٠٠ لكنها قاومت ، فجن جنونى ، وانهلت عليها بالسلاح الحاد أفتت به جسمها كيفما اتفق ٠٠ حتى خلصوها منى « جثة » فاقدة الحياة!

« ◆ **يا حضرات** المستشارين ٠٠

« هذه قصتى، سردتها عليكم بدقة وأمانة أشهد عليهما الله٠٠ لا طمعا فى تبرئة نفسى ، وانما لتكون عبرة للناس ، فمن أمسى فى مثل حالى لا يعقل أن يتشبث لحظة بالحياة !٠٠ بل لئن كان لى مطمع فى رحمة الله ورحمتكم فهو أن تعجلوا بانتشالى من جحيم هذه الارض ، لعلنى أجد رحمة وراحة فى جحيم السماء !

« يا حضرات المستشارين ٠٠

« تريدون رقبتى ؟٠٠ خذوها ٠٠ فما عادت بالشىء الذى أحرص عليه ! »

❖

◆ **وفرغ** الرجل من « دفاعه » ، فأجال بصره فينا برهة وقد سبح وجهه فى دمعه ٠٠ ثم نكس رأسه ، وأطلق زفرة ارتياح ، كمن أسلم مصيره لقضاء الله والناس ٠٠!

وبعد لحظة اقترب منه رجل فى ثياب « التمريض » ، فربت على كتفه مواسيا فى رفق ، ثم قال له فى صوت لا يخلو من

حنان : « تعال بنا جوه يا عصمت افندى ٠٠ الهوا بقى ساقع وبعدين تاخد برد ! »

فالتفت أنا الى مرافقي الدكتور (٠٠٠) ـ طبيب أول مستشفى الامراض العقلية ـ أسأله حائرا : « وما نصيب هذه القصة من الواقع والخيال ؟ »

فأجابني على الفور : « كلها صحيحة بحذافيرها ، ما عـــدا النهاية ٠٠ فعلى أثر وفاة وحيده أصيب الرجل بلوثة في عقله هيأت له انه قد نفذ بالفعل أمنيـــة عقله الباطن فقتل جارته الارملة !٠٠ وحين دخل عليه خادمه في غرفة ابنه ، وجده جاثما فوق وسادة سريره يمزقها بطعنات نصـــله الحاد وهو يزأر متشفيا ويصيح صيحات هستيرية !

ومنذ اقتيد الى هنا وهو يقف كل صباح وراء هذا السور ـ الذى يخاله سور قفص الاتهام ـ فيلقى دفاعه هذا ، مخاطبا قضاته الوهميين ٠٠!

فهمست لنفسى ودمعة الاشفاق تطفر من عينى : « ليت قضاء الله يدركه ، فيرحمه ! »



.. اما هذه فكوميديا طريفة أبدع كاتبها فى السخرية من أساليب «مجلس الامن» فى معالجة المشكلات التى تعرض علـــيه ، بالمطل ، والتسويف ، والتهرب من حسم الامور ، ودفن مطالب الدول «فــي الصديقة» فى الف كفن وكفن من المناقشات البيزنطيـة والمناورات الدبلوماسية الماكرة !.. ولعل ألطف ما فى القصة براعة الكاتــب فى تقليد أساليب كل دولة من الدول الكبرى فى معاملاتها مع خصومها وحلفائها ، وعلى الاخص اساليب الدبلوماسية البريطانية التقليدية العتيقة ، المشبعة بروح التحفظ والمداهنة وتخدير الاعصاب !

ومن الناحية الاخرى فقد صور الكاتب الصراع الخفى «والحرب الباردة» الناشبة بين دول الكتلتين الغربية والشرقية ، بقلم يقطر سخرية وتهكما لاذعين ، حتى لتشبه بعض مواقف هذا الصراع مناوشات القط والفأر !

فتعال معى نزور هنا «السيرك» الدولى ، لنشاهد نموذجا طريفا من امثلة الصراع البارد بين القط الامريكى ، والدب الروسى ، والثعلب البريطانى !

المكان : قاعة اجتماع مجلس الامن الدولى ..

الزمان : فبراير سنة ١٩٥٦ ..

الاشخاص : ممثلو كل من دول : الاتحـــاد السوفييتى ، والولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وبولندا ، وهولندا ، واستراليا ..

◆ الرئيس : افتتح الجلسة (٥٩٩) من اجتماعات مجلس الامن ..

◆ مندوب الاتحاد السوفييتى : (يعطس فجاة فيرفع اصبعه طالبا الاذن بالكلام ، فيلمحه الرئيس ويأذن له) : أريد الكلام فى مسألة ذات صــبغة شخصية يا جناب الرئيس

◆ الرئيس : هل للمندوب أن يشرح وجهة نظره ؟

◆ المندوب السوفييتي : أود أن ارجو الرئيس أن يتفضل باصدار أمره الى الحاجب كي يغلق النافذة التي في أعلى المدخل الشرقي لقاعة الاجتماع .. فاني أحس بتيار هواء بارد في ظهري !

◆ الرئيس : اذا لم يكن هناك اعتراض من احد فان مطلب المندوب السوفييتي يجاب فورا .. فهل عند احد مانع ؟

◆ مندوب الولايات المتحدة : الواقع انه لم يتح لحكومتي الوقت الكافي لدراسة هذا الطلب المفاجيء من المندوب السوفييتي بما يستحق من عناية .. ومن ثم يؤسفني ان أقول انني لا استطيع الموافقة عليه في الوقت الحاضر .. وان يكن من الطبيعي أن حكومتي ترغب رغبة صادقة في اعطاء هذه المسألة نصيبا من اهتمامها وعطفها ، وتكييف وجهة نظرها ـ اذا أمكن ـ وفق آراء المندوب السوفييتي . ولكن من سوء الحظ ان هذا المطلب بالذات يمس اخطر مشكلات الاجراءات والمبادىء التي يلتزمها هذا المجلس . فمثلا لا يستطيع المجلس أن يتجاهل الحقيقة التي مؤداها أن طلب اغلاق النافذة انما هو ـ واؤكد لكم هذا بكل حزم وقوة ـ مطلب من جانب واحد بطبيعته ، فلو سمحنا باقرار مثل هذه الطلبات التي تتوقف على الارادة المنفردة فماذا يكون مصير الامم المتحدة ، وخاصة الصغيرة منها ؟ انها تصبح عرضة لنوع جديد من التحكم والاستبداد من جانب أية دولة بمحض ارادتها !

ثم .. كيف نقبل ونقر زعم المندوب السوفييتي بشأن تيار الهواء الذي يحسه ، باعتباره حقيقة ثابتة ، بناء على مجرد قوله بذلك ؟ أنا مثلا لا احس بأي تيار هواء !

(وهنا يعطس المندوب السوفييتي عطسة اخرى باللغة الروسية !)

◆ مندوب الولايات المتحدة (وهو يستدير الى «مترجم» الوفد السوفييتي): ماذا يقول ؟

(وفي اثناء ذلك يطلب الرئيس من المترجمين والمفسرين ان يهتدوا الى الترجمة الدقيقة الفرنسية والانجليزية للنص الروسي.. ثم تستأنف المناقشة):

◆ مندوب بريطانيا : سيدي الرئيس . أولا اريد ـ اذا جاز لي ذلك ـ ان اقول اني أؤيد على طول الخط ما أعرب عنه زميلي مندوب الولايات المتحدة . فاننا لم نواجه من قبل مطلبا باغلاق النافذة كهذا الذي يفاجئنا

به الليلة مندوب الاتحاد السوفييتى .. ولا اظن انه يليق بنا أن نرضخ له دون ان نوليه أكبر نصيب من الدراسة الدقيقة والتمحيص ، والا نكون قد نورطنا فى سابقةخطرة تثير لنا فى المستقبل متاعب جمة .. لهذا أظن انه من الاوفق ان ننصرف بمزيد من الحكمة والتبصر فندرج المسألة فى جدول اعمال دورة اخرى ـ فى شهر يونيو أو يوليو مثلا ، حين يتحسن الطقس ـ فاذا سار كل شيء على ما يرام وتحسن الطقس فعلا يكون من الممكن انهاء المسألة نهاية مرضية للجميع !

◆ مندوب بولندا : اجدنىمضطرا ياسيدى الرئيس ، عند هذه النقطة بالذات ، الى القول بانى ـ باسم حكومتى ـ أحس انا ايضا بتيار هواء !.. ثم يهمنى ان اضيف شيئا الى ذلك فالفت نظر المجلس الى قصاصة أحملها معى من جريدة (النيويورك تيمس) الصادرة هذا الصباح ، وقد نشرت فى الصفحة الاولى منها خلاصة النشرة الجوية التى أصدرها مكتب الولايات المتحدة للارصاد الجوية ، وفيما يلى نصها اقرأه لكم بحذافيره : «يميل الطقس اليوم الى البرودة وتهب رياح شديدة .. الخ» بناء على هذا يرى الوفد البولندى أن المندوب السوفييتى حين طلب اغلاق النافذة انما التزم روح ميثاق الاطلنطى ..

◆ مندوب استراليا : سيدى الرئيس . ان القضية المعروضة على المجلس الان هى اغلاق النافذة ـ للاسباب التى أبداها المندوب السوفييتى ـ أو عدم اغلاقها . وبفحص تلك الاسباب يبدو لى ان الموقف لم يبلغ حد النضج الكافى الذى يستطيع معه المجلس أن يبحث فى اجابة اقتراح المندوب السوفييتى .. فنحن ـ كما أرى ـ لم نطلع على أية بيانات بصدد المسألة . كل ما لدينا منها قصاصة من احدى الصحف وتقرير غير موثوق فيه . واحسب ان واجبنا الاول أن نتحرى صدق ودقة تلك البيانات . لهذا اقترح أن ينتدب المجلس لجنة تحقيق مزودة بتعليمات تكفل الوصول الى الحقيقة الكاملة فى مدة لا تتجاوز اسبوعا . وفى اثناء ذلك يستطيع المجلس ان يتصل بمكتب الارصاد الجوية كى يحيط اللجنة علما بكافة التطورات التى قد تطرأ على الحالة ..

◆ المندوب السوفييتى : انى فى الواقع عاجز عن فهم سبب تردد اعضاء المجلس فى الموافقة على الطلب القانونى المشروع الذى قدمته باسم حكومتى.

لقد صرحت بوضوح تام بانى اشعر بتيار هواء بارد فى ظهرى يستدعى اغلاق النافذة . وبما ان المجلس لا يريد اجابتى الى هذا المطلب المنطقى المعقول ، ارانى مضطرا الى أن اقرر عجزى عن البقاء لحظة واحدة فى قاعة المجلس !

(وعلى أثر انتهاء المترجمين من نقل تصريح المندوب السوفييتى الى جميع اللغات ، ينسحب المندوب ومعاونوه من القاعة .. بينما يظل مندوب بولندا جالسا فى مكانه ، مكتفيا برفع ياقة «الجاكتة» على عنقه !

وبعد فترة قصيرة يعود الوفد السوفييتى بكامل أعضائه، بعد ان قاموا بجولة على الاقدام . ولا يكاد المندوب يجلس فى مكانه حتى يرفع يده من جديد، فيأذن له الرئيس بالكلام) :

◆ المندوب السوفييتى : منذ أن دارت مناقشتنا السابقة ــ ياسيدى الرئيس ــ تغير الموقف تغيرا كليا ، فان الشمس فى الخارج مشرقة والطقس قد صار دافئا ، ومن ثم لم أعد اشكو من برودة تيار الهواء فى ظهرى . وواضح أن هذه الظروف تجعل من العقيم أن يمضى المجلس فى مناقشة المسألة . وعلى هذا فانى أود أن اسحب طلبى الخاص باغلاق النافذة .

مندوب الولايات المتحدة : يسر حكومتى بالطبع أن تعـــلم ان المندوب السوفييتى لم يعد يحس بتيار الهواء . ولكن ــ من الناحية الاخرى ــ أجد من واجبى أن أقول أنه ما دامت المسألة قد أدرجت فى جدول الاعمال ، فيجب أن تبقى حتى ينتهى المجلس من بحثها . وفى رأيى أن المحاولة الانفرادية من جانب المندوب السوفييتى بغرض سحب الموضوع من جدول أعمال المجلس ، هى محاولة تتنافى مع روح ميثاق الاطلنطى !

◆ مندوب بريطانيا : يبدو واضحا فى نظرى ــ اذا جاز لى القول ــ ان المندوب السوفييتى قد ناقض نفسه . وفى ضوء هذه الحقيقة ذات المغزى ترى حكومتى أن المجلس يخون الامانة الموضوعة فى عنقه اذا تخلى عن استكمال بحث المسألة . وانى آمل ان تظل مدرجة فى جدول الاعمال حتى فصل الصيف، حيث تفقد ــ كما قلت ــ اهميتها بحكم تحسن الطقس ..

◆ المندوب السوفييتى : يتبين لى من هذه المناقشات ما يثير فى نفسى الشك فيما اذا كانت تصريحات بعض الاعضاء قد صدرت عن رغبة صادقة فى ايجاد حل سلمى للمشكلة ؟! ففى الوقت الذى يتكشف فيه الموقف عن عدم

وجود تيار بارد ، يصر بعض الاعضاء على اثارة ضجة حول هذا الموضوع

◆ مندوب بولندا : انى ما ازال احس بتيار الهواء .. واعتقد انه آت من ناحية الغرب !

◆ مندوب استراليا : هذه مسالة تستدعى تاليف لجنة من الخبراء تتولى بحثها ، فنحن ما زلنا محوطين بمعميات حول حقيقة الامر ، وفى حاجة الى معلومات وبيانات رسمية فى هذا الشأن . اننا ..

(وعند هذا يدق جرس «الطافىء» منبئا عن اشتعال حريق فى البناء المجاور ، فينفض اجتماع مجلس الامن ويخرج المندوبون والنظارة فى نظام !)

دبلوماســـية !

◆ على اثر انتصار اليابان فى حربها ضد روسيا سنة ١٩٠٥ ، زار الامبرال «توجو» قائد الاسطول اليابانى الظافر — الولايات المتحدة الامريكية زيارة شبه رسمية ، استقبل فيها بحفاوة بالغة . واثناء تلك الزيارة اقامت له الحكومة الامريكية مادبة عشاء رسمية ، عهد فيها الى وزير الخارجية وقتئذ — وليم جننجز بريان — ان يدعو الحاضرين الى شرب نخب الضيف الكبير .

وكانت مشكلة !

ذلك أن وزير الخارجية المذكور كان من غلاة خصـــوم الخمر ومحرميها ، فكيف اذن يشرب الشمبانيا ، بل ويدعو الجمـــيع الى شربهـــا ؟

وخشى الكثيرون ان يؤدى الامر الى «ازمة» دبلوماسية بـين الدولتين بسبب تزمت وزير الخارجية !.. وانتظر الجميع ماسوف يحدث ، فى لهفة مشوبة بالقلق !.. فلما حانت اللحظة المناسبة نهض الوزير فتناول قدح «الماء» الذى يخصه وقال وهو يرفعه امام الحاضرين: «لقد احرز الامبرال توجو نصره الحاسم فى الماء (اشارة الى ان المعركة كانت بحرية !) ، لذلك فلنشرب نخبه ماء !..»

وكان تخلصا غاية فى البراعة !

عندما ترفع الستار..



روائع المسرح العالمى (التمثيل.. والخيال)

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب ، فى الاعداد السابقة من « كتابى » ، المسرحيات العالمية الآتية .. على التوالى : «خطايا الحب» لاوسكار وايلد .. ثم «الحب الاثم» أو (سلطان الظلام) لتولستوى .. و«نزاهة الحكم» او(المفتش العام) لجوجول .. و«سلاح المرأة» لاريستوفان .. و«فولبون» أو (الثعلب) لـ «بن جونسون» .. و«جيوكندا» لدانونزيو .. و«كلام الناس» لجوزيه اشيجاراى و«مدرسة الفضائح» لشريدان ، ثم «سيرانو دى برجراك» لادمون روستان

واليوم اقدم لك فيما يلى هذه المسرحية العاطفية التاريخية .. العصرية والقديمة فى وقت معا ! فهى عصرية بالنسبة لمؤلفها ، قديمة بالنسبة لجوها وحوادثها ..

ـ وفى الاعداد القادمة تقرأ معى بأذن الله المسرحيات العالمية الآتية : اوسكار وايلد : (مروحة الليدى وندرمير) جون درنكواتر (ابراهام لنكولن) ـ برنارد شو : (بيجماليون) ـ مكسيم جوركى : (الصعاليك) ـ تشيكوف : (الشقيقات الثلاث) ـ ابسن : (مهزلة الحب) ـ هوجو : (هرنانى) ـ موليير : (مدرسة الزوجات ، المريض الموهوم ، البخيل.. الخ) ـ شكسبير : (عطيل ، هملت ، ماكبث ، ترويض النمرة ، تاجر البندقية ، روميو وجولييت .. الخ) ـ سوفوكل : (اودىب الملك) .. الخ


LE JEU DE
L'AMOUR ET
DE LA MORT
par
ROMAIN
ROLLAND
لعبة الحب والموت !
قصة تمثيلية كبرى
للكاتب الفرنسي المعاصر :
"رومان رولان"
PASSEPORT
PASSEPORT

شخصيات الرواية

جيروم دى كورفوازييه	Jérôme de Courvoisier
صوفى دى كورفوازييه	Sophie de Courvoisier
كلود فاليه	Claude Vallée
لازار كارنو	Lazare Carnot
دنى بايو	Denis Bayot
هوراس بوشيه	Horace Bouchet
لودويسكا سيريزييه	Lodoïska Cerizier
كرابار	Crapart

زمان الرواية : آخر مارس سنة ١٧٩٤

مكان الرواية : باريس

هذه الملحمة ..

.. عصر من الدم واللهب ، الدم فيه يصارع اللهب في حرارته وغليانه .. واللهب فيه أشبه بالدم في حيويته وسريانه !

ذلك هو عصر الثورة الفرنسية الكبرى على ضفاف السين ، وقد أتت الثورة على أعدائها ، واغتسلت في دم ملوكهـــا وسادتها ، ثم التفتت بعد ذلك ظمآنة الى دماء بنيها ، فراحت تلتهم قادتها واحداً بعد واحد !

ولن نفهم هذا العصر الحافل بالنقائض والانفعالات ، الا اذا كشفنا نقاب الاحداث والاشلاء عن «قلوب» ابطال هذه الملحمة الاسطورية الهائلة ، لنرى فيها بواعث ذلك البركان ، وقد اختلط فيه الحـــب والكراهية .. وبسط الموت جناحيه السوداوين على هذين التوامين الجبارين ، وألقى ظله الرهيب على ذلك البحر العاصف من الـــدم واللهيـــب !

واذا كانت هذه المأساة المروعة التي تعتصر القلوب ، وتجلو ذلك الصراع الدموى العجيب ، قد اتخذت لها عنوانا أشبه باللهـــاة : «لعبة» الحب والموت ! فما هي في الحقيقة باللعبة ، ولا بالملهاة .. اللهم الا اذا فهمنا اللعبة بالمعنى الذى تمتزج فيه المخاطرة بالجنون ! وتصطرع فيه شهوات الجسد بنوازع النفس وصرخات الضمير .. !

أو قل انه «رهان» عجيب مع القدر .. الرابح فيه والخاسر سيان : فالرابح فيه يعود بصفقة المغبون .. والخاسر فيه ظافر بآخرته، وان خسر دنياه !

ولنرفع الستار عن الرواية التي تكشف لنا كل هذه الآفاق :

— ١ —

◆ نحن في مفتتح هذه المأساة في بيت عالم فرنسا الفذ ، رجل الطبيعـــة والكيمياء الخالد على العصـــور « جيروم دى كورفوازييه » ، وقد بلغ في هذه السنة (سنة ١٧٩٤) الستين من عمره — بينما زوجته «صوفى» لم تتجاوز الخامسة والثلاثين! — وهذه حجرة « الصالون » الكبير تفضى الى الحديقة التي وافتها بشائر الربيع فكستها حلة جميلة فينانة من الخضرة المرصعة بالازهار ..

وعلى جدران القاعة لوحتان ، تمثل احداهما ربة الدار في سن العشرين ، وقد رسمها المصور في زى آلهة اليونان · وتمثل الاخرى رب البيت وقد انصرف الى عمله بكل جوارحه ·· وفوق المدفأة تمثال نصفى لفولتير وعلى شفتيه ابتسامته المشهورة التى تقطر سخرية مسمومة !·· وتحت صورة صوفى كورفوازييه « بيانو » ضخم أسود اللون ·· وفى جانب من الحجرة مكتب زوجها «جيروم كورفوازييه» زاخرا بالاوراق والكتب والاضابير·

فلنغادر الحجرة الى الحديقة العتيقة ، حيث جنح قرص الشمس الارجوانى الى المغيب ، وقد اجتمع ضيوف ربة الدار فى حلقة كبيرة تحت أشجار الخوخ ، وراحوا يلهون ويرقصون كالاطفال ، احتفالا ببشائر الربيع ·· حتى نال التعب من شيخ كان دخيلا على تلك المجموعة من الشباب هو « دنى بايو » ، فلهث وتلاحقت أنفاسه ، بحيث اضطرت ربة الدار الى أن تقوده من يده الى مقعد مريح فى الصالون ·· والتف سائر الجماعة حولهما يتذاكرون معا متاعب الحياة التى قفزت بهم جميعا فى الخمسة الاشهر الاخيرة سنوات !·· حتى جعلت من أنضرهم شبابا كهلا محطم النفس ، تداعبه مخالب الشيخوخة الباكرة··!

تذاكروا كيف كان خشب الوقود ينقصهم فى ذلك البرد القارس ، فيضطرهم الى البقاء بغير نار للتدفئة أسابيع متعاقبة· وكيف كان الخبز أشبه بقرص القمر المكتمل ، لا تكتحل به العين الا لماما ، فيما ندر !·· وكيف كان بعضهم ينفقون سواد الليل كله وقوفا على قنطرة فى خارج باريس ، انتظارا لتوزيع بعض حفنات من نشارة الخشب ، المخلوطة بشىء من الدقيق !

وهنا تساءلت ربة الدار « **صوفى كورفوازييه** » :

ـ بربكم أيهما أعتى وأشد وطأة :البرد أو الجوع ؟

فاذا الحاضرات من النساء يصرخن فى صوت واحد :

ـ البرد ! البرد ! البرد !

وإذا فريق الرجال يصيح على العكس :

ـ الجوع ! الجوع ! قاتل الله الجوع ••!

فتصيح بهم النساء مداعبات :

ـ هكذا أنتم دائما : عبيد بطون !

لكن **صوفي** تحسم هذا الخلاف الطريف الذى أثارته ، قائلة :

« على رسلكم ! لا تختصموا ! ففد بلونا الامرين معا •• وقد انتهى ذلك الشتاء النكد الآن ، فلننسه اذا كان الى تناسيه سبيل ، ولنستقبل شعاع الشمس فى هذا الربيع بنفس راضية قريرة بما نحظى به من متاع الحياة •• »

فيقول الشيخ « **دنى بايو** » : « ما أكرمك أيتها الصديقة الكريمة حين دعوتنا لاحياء أول أيام هذا الربيع المشرق فى بستانك ، حين تفتحت فيه أكمام الزهر الباكر الجميل • فانها لبشرى أى بشرى بعد ذلك الشتاء القاسى الطويل •• »

صوفى : وهل كان فى وسعى أن أحتفظ بنشوة هذه الازهار لنفسى ، أخصها بها من دونكم ؟ انا لفى زمن ندرت فيه المباهج فما أحرى رفقة الصفاء أن تتقاسم ما يسنح به الدهر من متاع قليل •••

وحينئذ تنفجر « **كلوريس** » ، وهى فتاة فى السابعة عشرة فقدت خطيبها فى الحرب ذلك الشتاء : « رباه ! لقد افتقدنا السرور والضحك منذ زمن طويل •• **(باكية)** ولكن هل يجوز لنا أن نضحك بعد الذى منينا به من فقد الاعزاء ؟ لقد فقدت خطيبى •••

فتجيبها **لودويسكا** ، الارملة الشابة التى فقدت زوجها منذ خمسة أشهر : « وأنا فقدت زوجى ••• »

ويقول الشيخ **بايو** : « وأنا فقدت ولدى ••• لقد فقدنا جميعا من نحب ، ولكن الحياة أقوى من كل هذا ••! »

•• أجل ، الحياة أقوى من كل هذا ، وأقوى من الموت

نفسه !.. فهذه هى المجموعة الشابة تستجيب لدعوة صوفي حين تدعوهم الى الاستمتاع بجمال الحديقة ، والى اغراق الاحزان فى كأس من خمر الطبيعة ذات السحر والعطر ..!

◆ **ولكن** ، واها لساعات الصفاء ! ما أقصرها ! فان رقص المستبشرين بالربيع لا يستمر هنيهة حتى ترتفع في الشارع ضجة وقرع طبول ! انها مظاهرة كبرى من مظاهرات الثورة التى تقوم عند كل نبأ جديد من أنباء الخارج أو الداخل .. ولا يلبث أن يمر بائع الصحف مناديا على بضاعته : « **ملحق ! آخر الانباء ! موقعة خطيرة مع الاعداء ..** » فيتوقف الرقص والغناء ، وتتطلع الاعين الى الصحيفة التى لا زال حبرها طريا : لقد عادت قوات ملوك أوربا المتحالفين الى التجمع ، ولا بد للجمهورية الشابة من رد العدوان بالقوة ، والاستعداد لتلك المعركة بحشد الجهود وتجنيد الجنود ..!

ها هو شبح الموت يرفرف من جديد ، ليتخطف أرواحا أخرى شابة ! وهذى هى الارملة « لودويسكا » ــ التى جعلت تبسط شباكها حول الضابط الشاب «هوراس» لتملأ به فراغ فراشها البارد الذى خلفه زوجها منذ خمسة شهور ! ــ هذه هى تتشبث بعنق ذلك الضابط ، فيقول لها :

ــ انه نداء الواجب ..

ــ بل قل نداء الدمار والهلاك !

ــ انه داعى الوطن ..

ــ بل قل داعى الجبابرة الطغاة أعضاء اللجنة الوطنية العليا ، أولئك الضوارى ! لا تذهب ! لا تتركنى ...

ــ لا مناص !

ــ لا مناص ؟ كيف ؟ أترحل الآن ...

ــ كلا ! ولكنى أتوقع ان استدعى بعد شهر أو نحو ذلك ...

ــ شهر ؟ اذن وافرحتاه ! ان سعادة شهر ومتعة أربعة أسابيع

تعدل عندي الخلد الابدي ! فلنستمتع بهذا الشهر ، ولئن خسرنا الغد ، فحسبنا أن اليوم لنا ٠٠٠ الليلة اذن أيها الحبيب !

وكانت أذن الفتاة « كلوريس » التى فقدت حبيبها تنصت لهذا الحوار ، فرمقت الارملة بنظرة حقد شديد ، وانفلتت من الحجرة غاضبة ، فلحق بها الشيخ بايو والضابط هوراس لاسترضائها، وخلت الحجرة الا من صوفي والارملة، التى قالت:

ــ ماذا ساءها مني ؟

ــ أنت تعلمين ماذا ساءها منك ٠٠٠

ــ انها تحسدني ! ولكنى فخورة بسعادتي وأنانيتي ، فخورة بما أثير من حسد ، فالحسد يزيد من متعة اللذة ٠ وهل لا يحق لى أن أستمتع بعد الذى عانيت من شقاوة وترمل ٠ آه يا زوجي العزيز ، كم شق على نفسى فقدانك !

ــ ومتى مات ؟

ــ منذ ستة شهور ، لا بل خمسة ٠٠ وكم بكيت « هكتور » يومئذ ، حتى لقد حسبتنى لن أحيا بعده ، وان كل شيء قد انتهى ٠٠ ولكن هيهات ! فها هى الحياة تبدأ من جديد ، وها هى شجرتي تورق مع بشائر الربيع ٠٠ ولكن عزائى اننى أشعر أن هكتور يشاركنى فى قبره لذتى واستمتاعى بهواى الجديد ومناعمه ! كلا ! أرجوك يا صوفى ! لا تبتسمى هكذا ! لا تهزئى بى ، فانى أعلم علم اليقين ان الموتى لا يحسون ، ولكنى أعلل نفسى بالاوهام وأخدعها بالاباطيل ! انه لا يحس ان خيرا وان شرا ، فهل على مثلى بأس ــ وهى تحس الخير والشر ، واللذة والحرمان ــ أن تمتع نفسها وتدفع عنها الالم ؟ هل فى ذلك غضاضة ؟ **وما دام يحبني ، فلماذا ينغص على لذتى فى هواى ؟ ألست شابة ؟ وهل ذنبى انه مات ؟٠٠ ولكنى حية ، فلماذا الزم نفسى آداب الموتى ؟ آه ! ما أطيب العيش ! ما أمتع الحياة !**

ــ هناك يا أختاه حياة وحياة ٠٠ والحياة عندك هى الحب !

ـ ولا حياة بغير حب ! أراك تبتسمين مرة أخرى يا صوفي، أيتها الحكيمة الرزينة التي لا تخضع لما نخضع له نحن الفانيات من ضعف بشرى ! لقد عرفت كيف تعيشين بمنأى عن أعاصير الهوى الجامح والعواطف الهوجاء ، لائذة بحب شبه « أبوى » في كنف رجل يضارعك حكمة ورزانة وسكينة نفس ، تعلقت به منذ نعومة أظفارك تعلق اعجاب يقارب التقديس ·· فحياتك سماء صافية الاديم لا غيم فيها ··!

ـ ولكن لا اخالك تستبدلينها بغيوم سمائك المتلبدة الاديم؟!

ـ أتعنين حبى لهوارس ؟ كلا ! انى راضية بما قسم لى من عيش ! انى أعجب بك يا صوفي ، وأتمنى أن أحيا حياتك ، ولكن ذلك مستحيل الا عليك ··· فأنت نعم الصديق ، ونعم الخدين ، بل نعم الوحى الملهم والباعث المحرك لذلك الرجل العظيم ، الذى كان صفى فولتير فيما مضى ، وهو اليوم صفى « كارنو » ···

◆ وفي هذه اللحظة يدخل الشيخ بايو ، وكلوريس ، وهوراس ، ومعهم « ملحق » جديد لصحيفة ، يمدونه الى صوفي، فتعرض عنه ضيقة الصدر بهذه الملاحق التى لا تحمل الا أنباء الكوارث والفظائع ، فتتناوله الارملة الطروب لودويسكا وتتصفحه :

ـ وى ! ما هذا ! انه فظيع ···

ـ ماذا ؟

ـ بيتيون ، بيزو ، وفاليه ···

ـ فاليه !···

وتنهض صوفي من مقعدها ، وقد خرجت من شفتيها حروف ذلك الاسم أشبه ما تكون بالصرخة ! ولكن لا ينتبه لتغير حالها أحد من الحاضرين ، لانهم مشغولون بالنظر في الصحيفة من حول لودويسكا ··· وهذه كلوريس تقرأ : « بالقرب من بوردو،

عمر على جثث ثلاثتهم وقد التهمتها الذئاب ..! »
ومرة أخرى لا يلتفت أحد الى صوفى التى ترتمى على مقعدها دون كلام أو حراك، وتغطى وجهها بيديها ... فى حين يستأنف هوراس قراءة بقية الخبر : « لقد كانوا طريدي القانون منذ شهور ، بعد أن أهدرت اللجنة العليا دمهم ، وأخيرا عثروا عليهم فى مغارة مهجورة ، وقد بقرت بطن « بتيون » وخرجت منها أحشاؤه !.. »
ـ بتيون ؟ ملك باريس غير المتوج، وعمدتها، ورئيس الجمعية الاهلية المدلل !؟
ـ « أما الآخر فقد وجد وجهه منهوشا ، وقد التهمت الذئاب أنفه، وشفتيه، فظنوه أول الامر بيزو، ولكن الاوراق التي يحملها تقطع بأنه (فاليه) .. »
ـ يا للمسكين !
ـ لا تجزعوا ، فقد رحمتهم تلك الذئاب من حد المقصلة الذى أودى فى الاسبوع الماضى بصديقيهم الحميمين « باربارو » و « جوديه » ! يا للثورة الرعناء ! لقد خدعت جميع الناس ، وغررت بهم ... لقد ظنوا حين ثاروا انهم أقوياء ، ولكن ثورتهم كشفت عن ضعفهم ، وتخبطهم ، واسفافهم الوضيع !
كانت هذه كلمات الشيخ « دني بايو » الذى فقد وحيده فى هذه الثورة . وقد تلقاها الجميع فى صمت عميق .
وأخيرا ... كشفت صوفى عن وجهها الذى كانت تغطيه يداها ، وجلست جامدة الطرف تحدق أمامها ، منطوية على انفعال كظيم ، وعلى شفتيها ابتسامة باردة كالثلج !
كلوريس : يا لفاليه المسكين ! انه لم يجاوز الثلاثين !
لودويسكا : لقد رقصت معه فى الربيع الفائت .. وكان من أصدقائك يا صوفى .. والحق انه كان راقصا ممتازا ساحرا..
كلوريس : ومنشدا خلابا للشعر الرفيع ..

لودويسكا : وما كان أشجعه ! انى لاراه الآن على رأس كتيبته، والريح تعبث بشعره ، وقد هجم على « التويلرى » ٠٠٠

كلوريس : ولا تنسى بلاغته، فقدكان الناس يذهبون خصيصا الى الجمعية الوطنية ليحظوا برؤياه خطيبا فوق منبرها

هوراس : لقد كان عنيفا فى سخرينه اللاذعة ، فكم ضجت القاعة بالضحك والصياح كلما لذع خصما له بتهكمه المسموم ! ان روبسبير كان ينتفض غيظا من لسانه !

لودويسكا : رباه ! لماذا تعرض للاحتراق بنار السياسة ؟٠٠

هوراس : انه الطموح ٠٠

لودويسكا : الطموح؟ أليس فى الحب كفايةللطامح وغناء؟٠٠

دنى بايو : الطموح ؟ الحب ؟ ليس هذان شيئا مذكورا ٠ انما على كل امرىء رعاية نفسه ، فحسبه نفسه شغلا وهما ، يرعاها ويحميها وينقذها من العطب ٠ أتضحكون ؟ اضحكوا ماشئتم، فانكم اذا بلغتم سنى رأيتمصدق رأيى ٠٠ أجل انالطموح جميل ، والحب رائع ، ولكنهما زائلان ٠ أما نفس الانسان فهى التى تبقى له بعد ذلك كله ٠٠ ولن يجد لشىء وراء رعايتهـــا والابقاء عليها قيمة ذات بال ٠٠٠

كلوريس : وكيف السبيل الى ذلك ؟

دنى بايو : السبيل أن لا يكترث المرء لشىء عدا نفسه وبقائها٠ فلا بد له من الاختبار بين أمرين : اما أن يرى غيره يموت ٠٠! أو يموت هو !

كلوريس : كلا ٠ كلا ٠ لا أريد أن أموت بأى حال ٠٠٠

◆ ثم يتفرق الجمع ضاحكين متنـــدرين ، حتى يخلو ركن الصالون لصوفى ولودويسكا :

لودويسكا : أيتها الصموت ! ما أشد هدوءك ونحن نتناقش ونحتد ٠٠

صوفى (فى شرود) : أجل ، انى هادئة هـدوء الاغوار ،

أغوار بحر من الالم ليس له قرار !

لودويسكا : صوفى !

صوفى : (تلوذ بالصمت !)

لودويسكا : ماذا تقولين ؟

صوفى : (ممعنة فى الصمت والشرود !)

لودويسكا : ماذا قلت بربك ؟

صوفى : (لا تجيب ، ولا تتحرك ، فتميل لودويسكا فوقها ، ولا تلبث أن تصيح) :

لودويسكا : عزيزتى !‥ أتبكين ؟

(فتضع صوفى يدها على فمها ، مشيرة الى لودويسكا بالصمت ، ثم تبحث عن منديلها لتمسح دموعها ، فتمسح لها لودويسكا دموعها بمنديلها)

لودويسكا : أأحزان وأشجان ، وما يرى الناظر فيك الا صورة السعادة والهناء ؟ لقد ملكت كل شيء : الحب ، والسمعة ، والنفوذ ، والايمان بهذه الثورة التى شارك زوجك فى تأجيج لظاها ‥‥

صوفى : بل لا شيء من هذا لدى !

لودويسكا : كلا ٠ كلا ٠ لا أصدقك !

(تشير اليها صوفى أن تصمت، لان دنى بايو قد اقترب منهما)

دنى بايو : ألم يقترب موعد اياب جيروم من الجمعية الوطنية؟

صوفى (وقد استعادت صوتها المألوف) : لا يمكن التكهن بموعد انتهاء الجلسة ٠ فكم من مرة لبثت أنتظره طول الليل ، حتى مطلع الفجر ‥ **(تسمع فى هذه اللحظة دقات موسيقى عسكرية فى الشارع)**

كلوريس : ما هذا ؟

صوفى : موكب المسوقين الى المقصلة ٠ فانه يمر الآن من هنا ‥

(يسرع الجميع الى الحديقة لرؤية ذلك الموكب ، وتبقى

صوفى ولودويسكا وحدهما)

لودويسكا : لا أصدق يا صوفى ما قلته منذ قليل ...

صوفى : دعى هذا الحديث ..

لودويسكا : لا توصدى قلبك دونى . صارحينى : على غشيت سماء حبكما غاشية ؟

صوفى : حبى ؟ ان أحدا لم يحبنى قط ! لقد وهبت شبابى ، وآمالى ، ورغبتى فى بذل النفس ، لرجل احترمته - ولا زلت احترمه وأعجب به - فماذا صنع بكل ذلك ؟ لقد ضحى بى فى سبيل عقيدته ...

لودويسكا : أليست هى أيضا عقيدتك ؟

صوفى : وماذا يعنينى من عقيدته (**مستدركة**) بل عقيدتهما؟ لقد أحببتها واعتنقتها لانهما آمنا بها ، فأحببتهما فيها . فماذا فعلت بهما وبى ؟

لودويسكا (غير فاهمة) : هما ؟ من هما ؟

صوفى : انى أكره هذه العقيدة التى تفسد علينا الحياة ! انها تفسد الناس فيقبلون عليها ويغرقون فيها كما تستغرقهم الرذائل . أما الحياة فبسيطة ، هينة ، قريبة التناول ، لولا هذه الاوهام التى نسميها المبادىء .. والتى تفسد علينا مذاق كل شىء .. لقد أفسدتهما هذه الاوهام فضحيا بى أنا أيضا ..

لودويسكا : ولكن من هما ؟ زوجك ؟..

صوفى : كلا ... لقد سمعت الآن قصة هؤلاء المهدرين ..

لودويسكا (وقد ومضت الحقيقة فى ذهنهـــا فصرخت) : فاليه ! انه فاليه .. (**تتناول يدى صوفى فى يديها ولا تطلقهما بل تلح عليها بصوت خفيض**) : انه فاليه ! خبرينى يا صوفى.. أليس هو فاليه ؟

صوفى (مشيحة بوجهها) : بالله لا تزيدى جراح قلبى بترديد اسمه ..!

لودويسكا (تطلق يدى صوفى) : عفوك يا عزيزتى .. لقد عذبناك منذ قليل ونحن لا ندرى !

صوفى : لقد أحببته وأحبنى . وكان كل حياتى . وكنت كل حياته .. أو هكذا ظننت ، فان ذلك لم يكن صحيحا ، لانه تركنى ومضى ليموت تلك الميتة الشنيعة فى سبيل هذه العقيدة المشئومة . ولكن لا جناح عليه ! فاننى أنا أيضا ضحيت به فى سبيل عقيدة أخرى .. (**بحقد**) فى سبيل ما يسمونه الشرف والعفة والوفاء الزوجى !

لودويسكا : صارحينى يا صوفى . ألم تكونا خليلين ؟

صوفى : كلا ! وهذا ما يحز اليوم فى نفسى ! ولكم توسل الى ، ولكم ألح قلبى على كى أستجيب .. ولكنى أبيت، اعتصمت بما يسمونه الفضيلة ، ذلك الصنم الاعمى الذى ضحيت علـى مذبحه بكل حياتى ، وكل ما له قيمة فيها .. والآن ، وقد فات الاوان ، ضاع كل شىء .. فندمت ولات ساعة مندم !

◆ **وعلى حين** غرة يفتح الباب المفضى الى السلم .. ويدخل منه شاب غريب ، هزيل ، فى ملابس اليعاقبة ، ملطخ الثياب بالاوحال ، أشعث الشعر ، مهلهل الثوب ، زرى الهيأة ، وحشى النظرات ، وكأنه فريسة تتعقبها كلاب الصيد !

وما أن دخل حتى أغلق الباب ووقف وظهره اليه . ولم تره صوفى أو لودويسكا لان ظهرهما كان الى جهة الباب ، ولكن رآه الثلاثة الآخرون. بيد ان المباغتة سمرتهم فى مكانهم وألجمت ألسنتهم ، فساد الصمت لحظة ، عميقـــا كالموت ! ولفت ذلك الصمت المفاجىء نظر صوفى ولودويسكا ، فاتجهتا مستطلعتين الى بقية المجموعة . وهنا فقط طالعت صوفى فى مرآة المدفأة الكبرى صورة « الغريب » الواقف بالباب ! فنهضت وقد ندت عنها صرخة ، ضاعت فى الضجة العامة التى صدرت عن :

دنى وهوراس وكلوريس (فى صوت واحد) : فاليه !!



فاتجه « فاليه » الى ثلاثتهم وصافحهم بحرارة ، وبصوت أجش ، ثم تلفت يبحث عن ذلك الوجه الذى لم يره بعد ... فلما رآها ، تلاشى الجميع من أمام ناظريه !

وكانت صوفى واقفة الى جوار البيانو الكبير ، شاحبة الوجه ، وقد اتسعت حدقتاها دهشة ، وخوفا ، وفرحا .. فاتجه نحوها فاتحا ذراعيه ، فألقت بنفسها فى أحضانه !

فاليه : صوفى !

صوفى : أنت حى !؟

فيلقى بنفسه عند قدميها ويحتضن ساقيها ، ويقبل ركبتيها من تحت ثوبها .. فقدميها .. ثم يركع ويقلب وجهه وعينيه وجبهته متمسحا بجسم حبيبته ، وهى لا تتمنع ، بل تداعب شعره بأناملها وتتحسس وجه الحبيب العائد !!

صوفى : قم أيها العزيز .. انك خائر ، فاجلس فى هذا المقعد . هنا ...

ويجلسان متجاورين ، بينما يتسلل الاربعة الآخرون خارجين .. حتى اذا تنبهت لذهابهم وأظهرت دهشتها ، قال لها فاليه :

ـ ألا تعلمين اننى شخص خطر على كل من يرانى ؟ ان دمى مهدر ، فمن رآنى ولم يقتلنى أو يبلغ السلطات عن أمرى كان من الهالكين !.. لقد مضت على خمسة أشهر أطرق مع رفيقى كل باب فلا يفتح لنا . وكم من ليلة باردة ـ تفتحت فيها ميازيب السماء وانهمر المطر كأفواه القرب ! ـ لجأنا فيها الى باب صديق

كريم . لى عليه أياد كثيرة بيضاء ، طالبين منه المأوى لساعة واحدة ، ولقمة خبز جافة ، وكوب ماء ٠٠ فلم يفتح لنا ، بل هددنا بالقتل اذا لم ننصرف ٠٠ أو يقتل نفسه !٠٠ ترى ، ألا تطردينني أنت أيضا ؟

ـ يا للعزيز المسكين ! اشرب هذا القدح من القهوة ، فمـــا أشد اعياءك ٠٠٠٠

◆ **وتنقضي** لحظات ، يشرب فيها ويقضم الخبز ، وهي ترعاه كالام الحنون٠٠ حتى اذا أكل وشرب تناول يدها فقبلها٠٠ وهي مستسلمة باسمة فى حزن وحنان ٠٠ ثم تضع يدها على رأسه وتسأله ٠

ـ ولكن كيف استطعت الوصول الى هنا ؟

ـ تعالى أولا واجلسى أمامي حتى أراك عن قرب ٠٠ ربـاه انها هى٠٠ هى حقا٠٠ وليست ذلك الخيال الذى طالما تراءى لى طيلة هذه الشهور ٠٠٠ هذه يدها حقا فى يدى ٠٠!

صوفي : خبرنى الآن كيف نجوت ؟

فاليه : لقد قاومنا الجوع والبرد وخطرالقتل، وشققنا طريقنا المحفوف بالاخطار حتى أشرفنا على الحدود المؤدية الى بر الامان ، وهناك تخففت من كل ما يثقلنى من الزاد واللباس ، وقلت لرفيقى : اذهبا أنتم الى الحرية والسلام ٠ أما أنا فعـــائد الى باريس !٠٠ لقد اتهمانى بالجنون ، ولكنى لم أكن أرى لى مناصا من ذلك ، لان غايتى لم تكن هي الحياة ، بل أن أراك !

صوفى : أنا ؟

فاليه : أنت ! أنت حبى ٠٠ أنت كل حياتي ! وقد علمت ذلك علم اليقين ، فلا موضع للتمويه بيننا ـ ذلك التمويه الاجتماعى!ـ فليس هنا الآن الا نحن : أنت وأنا ٠٠ لقد سرت الآن فى طرقات باريس لا أرى شيئا مما يحدق بى من الخطر ، لان خيالك كان يتراءى لى كعمود من النور يجذبنى نحوه على الدوام ! لقد كنت

كوكب الصبح في ليل مسراى ‥ وكنت موقنا أن الموت ينتظرني في باريس ، وأن النجاة انما هي في عبوري الحدود ٠ ولكنني لم أشعر مع ذلك بغير أمنية واحدة : أن أراك ثم أنتهي الى الابد !‥ وقد حماني ايماني بك من الاخطار ، وأعمى عني الابصار ٠ كنت أحس أن أنفاس الموت تتعقبني ، ورائحته الرطبة تهب على من مواطىء قدمي !‥ وأحسست أن العاشق النبيل يجدر به أن يجنب حبيبته ذلك البلاء ، لا أن يدنيه منها ‥ ولكن حبي اياك كان أقوى من خوفي على حياتي ، ومن خوفي على حياتك ‥ فاستوى عندي فقدي وفقدانك ، في سبيل أن أراك !

صوفي : وبعد ؟ ماذا ينتظرك من مصير بعد ذلك ؟

فاليه : لم أفكر في هذا من قبل ! **(تنهض وتسند ظهرها الى البيانو ، ريثما تسيطر على انفعالها الثائر ، ثم تقول)** :

صوفي : يا صديقي العزيز ‥ كم أشكرك !

فاليه (غاضبا) : تشكرينني ؟ ما بي الى شكرك حاجة !

صوفي : انى أرتعد خوفا عليك في هذا البلد ، في هذا البيت المطروق ‥‥

فاليه : لا يهمني الآن ماذا يكون من أمري ‥

صوفي : ولكنه يهمني أنا ! يجب أن تهرب وتجتاز الحدود ، وتعيش لوطنك وايمانك

فاليه : ما بي حاجة الى هذين ، فحاجتي كلها اليك أنت !‥‥ ولا قدرة لانسان على الهرب بغير ايمان يربطه بالحياة ‥‥ وقد كنت أنت هذا الايمان وأنا قادم الى هنا ٠ فماذا سيكون دافعي وسندي وعتادي وأنا أبتعد عنك بكل خطوة أخطوها ؟

صوفي : يكون دافعك أنا ! حبي لك ! وشعورك بأنني لن أقوى على الحياة اذا لم تكن أنت على قيد الحياة !

فاليه (منتشيا) : أنت تحبينني اذن ! أنت تحبينني !

صوفي (مستدركة) : أنت تعلم ‥‥ فلماذا حملتني على البوح به !؟

فاليه : بل قوليه · أعيديه على سمعى ·
صوفى : أحبـــك !
(يتعانقان فى حرارة وهيام)
فاليه : شفتيك ! هات شفتيك ! فمـــا أظمأنى الى وردهما المستطاب ··· كلا ! لا تبتعدى عنى ·· ولا تنفرى من قذارة ثيابى وسوء حالى ···
صوفى : اننى أحبك . وأحب سوء حالك ··· بل أحب تراب يديك وأوحال نعليك ! **(وتنحنى فتقبل ثيابه الموحلة ويديه القذرتين) !!**
فاليه : آه ! ألا ما أجمل الحياة ! الآن طاب لى العيش واشتهته نفسى ! اسمعى ! هيئى لى جواز سفر مزور ، وثيابا أتنكر فيها ، وعندئذ أستطيع أن أركب العربة العامة الى « دول » · ومن هناك أسير على قدمى الى الحدود ·· وأنتظر أسبوعا فى مخبأ أدبره لنفسى، ريثما تغادرين باريس بعد سبعة أيام للحاق بى هناك·· ثم نجتاز الحدود معا الى الحرية ، والحياة ، والسعادة ·· !
صوفى : أنا ؟
فاليه : ألست تحبيننى ؟ ألست لى ؟
صوفى : لا أستطيع ···
فاليه : وماذا يمنعك ؟
صوفى : واجبى ··
فاليه : الواجب ! يا لها من كلمه ! انها سلاح النفاق ، وتعلة من ينكل بأعدائه ومنافسيه ، ومبرر الهمجية والقسوة والعذاب ··· انها اكذوبة ووهم ! انها قناع زائف للقبح والشر ··· أما الحقيقة السافرة فهى أنا وأنت !
صوفى : وزوجى ؟·· ذلك الشيخ الذى يحبنى ويثق بى ؟·· اننى أجرم اذا هجرته ··!

فاليه : بل أجرمت حين تزوجته ! لقد أعطيته فوق الكفاية ، ولقد أجرم حين قبل منك شبابك أيتها الغريرة ·· فلا تحملى همه ، لانه سيتعزى عنك بعلمه ، ومجده ، وكبريائه ، وصداقته للطغاة ! فلست فى حياته الا ثمرة من ثمرات ، ثمرة لم يعد يستطيع قطفها الآن !

صوفى : لو نكثت عهدى له لاحتقرت نفسى ···

فاليه : ليكن · فما قيمة الاحتقار فى موقف كهذا ؟ لقد تحطم من حولنا كل ما تمثله الحياة الاجتماعية من ضمانات وحماية ، ولم يبق لنا الا حبنا · انه ككوكب الصبح فى ليلنا الحالك السواد ··· فهل تقفلين دونه عينيك ؟

صوفى : ما أشوقنى الى النور !

فاليه : قولى ! هل تتبعيننى ؟

◆ فتدير نحوه وجهها وقد أشرق بالحب والهيام ، وتفتح فمها لتجيبه بالايجاب ·· لكنها تسمع صوتا ، فتدفعه الى داخل حجرة النوم وتغلق عليه الباب ··!

ويدخل جيروم من الباب ، فلا يرى صوفى لاول وهلة لانها واقفة عند باب المخدع ، فيتجه الى مكتبه فى يسار القاعة ، عارى الرأس ، وقد تشعث شعره الاشيب ، واضطربت عقدة رباط عنقه ·· ودلت هيأته العامة على الاضطراب والحيرة ·· ثم يرتمى فوق مقعد أمام المكتب ، ويضع رأسه بين كفيه ، ويغطى عينيه بيديه ···

صوفى : جيروم ···

جيروم : ·····

صوفى : ماذا بك ؟ **(وتضع يدها على عاتقه فيرفع اليها وجهه ·· ثم يطرق ثانية !)**

صوفى : ماذا أصابك حتى تزعزعت قواك على هذا النحو ؟ من أين أتيت ؟

جيروم : من الجمعية الوطنية ··

صوفى : هل انتهت الجلسة ؟·

جيروم : كلا · ولكنى لم أطق الانتظار حتى نهايتها !

صوفى : وماذا حدث فيها حتى جزعت الى هذا الحد · انك نعرف طبائع هؤلاء الناس ···

جيروم : انهم لم يعودوا بشرا ·· انهم قطيع من السائمة الغلاظ الاكباد · قطيع من الكلاب المسعورة المتعطشة الى الدماء· انهم ذئاب وضباع وبنات آوى تصول وتزأر وسط قاعة المجلس الخاوية التى ذهب أكثر أعضائها ضحية هؤلاء الوحوش ·· ومن بقى منهم زحفوا على بطونهم فى مذلة ليلتمسوا من جزاريهم هبة الحياة !

صوفى : خفف عنك ولاتنورن أعصابك· خبرنى ماذا حدث··

جيروم : لقد صعد « سان جوست » المنبر ، واشرأب عنقه ونفرت عروقه ، فتحاشت العيون نظراته ، وكل واحد يتساءل واجفا على من تراه سينقض هذه المرة ··· رباه !

صوفى : وبعد ؟ ماذا فعل ؟ ماذا قال ؟ هل أهدر دما جديدا ؟ ·· من ؟

جيروم : من ؟ لقد أتوا على جميع أعدائهم من أهل اليسار وأهل اليمين على السواء · فماذا بقى لهم ؟ بقى لهم أنفسهم · فبدأوا يتعاوون ويتناهشون ··· وفى الساعة السادسة من صباح اليوم ألقوا القبض على ··

صوفى : على من ؟

جيروم : على دانتون !

صوفى : دانتون ؟!

جيروم : لم نكن صديقين فى يوم من الايام ، فلم أكن أحب هذا الرجل العنيف الذى يرغى ويزبد كأنه طوفان من الوحل ! كنت أتقزز منه · ولكن من ذا الذى ينكر عليه مجده الثورى ، وعظمته الخطابية ، التى جعلت منه بحق روح الثورة المتجسد ؟!

لقد بهت الجميع حين وصل الخبر الى الجمعية الوطنيه ، لانه كان في نظرهم من مقدسات الثورة والشعب • وكم له من أفضال على أعضاء الجمعية في أوقات الضيق!•• ولكنهم اكتفوا بالهمس والسكوت ، فسكت كسكوتهم •• بيد أن أحد تابعيه تشجع ووقف خطيبا يطالب باطلاق سراحه، واستجاب له بعض الاعضاء فتجاسروا على التصفيق ، وبدا ان الجمعية لن توافق على اعدام بطلها الكبير اذا استمر الخطيب في كلامه بضع دقائق !•• وفجأة دخل القاعة « روبسبير »، فسادها صمت كصمت القبور، وقعت وسطه كلمات الخطيب الجسور كوقوع الحجر في هاوية لا قرار لها !•• فتلعثم ، واضطرب ، ثم غادر المنبر ، فصعده روبسبيير من الجانب الآخر • ولم يعر خطبة ذلك النائب أدنى التفات ، بل اكتفى بقراءة قرار القاء القبض على دانتون بصوت رزين•• ثم تكلم كلاما غامضا عن «مؤامرة خطيرة» ضد الجمهورية وهنأ المجلس بالخلاص من عضو فاسد خائن لقضية الوطن !•• وصفق المجلس بالاجماع مؤيدا القرار •• واذا بروبسبيير لا يقنع الا بالاقتراع مناداة بالاسم •••

صوفي : وهل اقترعت ؟

جيروم : لقد اقترعوا جميعا ناشطين متسابقين • حتى ذلك الخطيب الذي حاول انقاذ أستاذه ، باعه بصوت عال متبرئا من ذنبه الذي أكد انه لم يكن يعرفه من قبل !

صوفي : وأنت ؟ ماذا فعلت ؟

جيروم : حين نودي اسمي نهضت من مكاني ، وغـادرت القاعة! فلما صرت في الشارع أصابني دوار، وترنحت، حتى كدت أقع ، لولا أن رآني عابر سبيل فصحبني الى مقهى شربت فيه كأسا ردت الى بعض قوتي ••• وهانذا قد عدت ••• وكم أود الآن لو رقدت على الارض ، وغصت في بطنها ، فلم أقم بعـد ذلك أبدا !•• فقد سئمت نفسي الناس ، ومجهم قلبي ••• لقد

تحطم حلمي وايماني بالحرية ، فما خلق الانسان الا للعبودية والخسة والاسفاف الحيواني الذميم ٠٠ لقد أضعت في الاوهام عمري ٠٠٠

صوفي : جيروم ! لا تبتئس يا زوجي العزيز واعلم أن ما تعانيه انما أعانيه معك ٠ كلا ٠ لست وحدك أيها العزيز ، فلا تحزن ، ولا تفقد ايمانك ، بل ايماننا معا ! وانما اصبر وثق أن العاقبة لنا ٠٠

جيروم : ما أحلى ما تقولين ، وما احسن وقعه على جراح نفسي الكليمة ٠٠ لقد رددت على ايماني بالحياة يا زوجتي ٠ ما أسعدني بحبك !

(يظهر فاليه على عتبة الباب فلا يبصرانه ، وينظر الى تناجيهما الرقيق مغيظا غيرانا ، حتى اذا التفتا نحوه اختفى داخل الغرفة بسرعة قبل أن يرياه)

صوفي : انك عظيم وشجاع ، وستثمر جهودك يوما ما لتحرير هـــذا الشعب ، ان عاجلا أو آجلا ٠٠٠ فلا تقنط ، وثابر ، وانتظر ٠٠٠

جيروم : انني أشعر منذ شهرين انني مراقب ٠ بل ان من بين أصدقائنا عيون تترصـــد حركاتي وأقوالي ٠٠ فكوني على حذر ، ولا سيما من الشيخ « دني بايو » ٠٠٠

صوفي : يا الهي ! دني بايو ؟

جيروم : انه ينقل كل حرف وكل حركة !

صوفي : مستحيل ٠ وما الدافع له على هذا ؟

جيروم : يشتري بذلك سلامته ٠٠ ثم ان الخسة تغدو في عهود الانحلال وباء يصيب الرجال بغير سبب ، وبلا ثمن ٠٠٠

صوفي : لقد كان هنا اليوم ٠٠ **(يبدو عليها الجزع الشديد)**

جيروم : وماذا تخشين من ذلك ؟

صوفي : لقد رآه داخلا ٠٠٠

جيروم : رآه ؟ رأى من ؟

صوفي : رأى الذى أهدروا دمه يدخل طالبا المأوى والملاذ··· رأى فاليه !

جيروم : فاليه هنا ؟ فاليه حي ؟ لا أظنك رددته خائبـــا وأوصدت دونه بابنا ··

صوفي : بل هذا هو ···

◆ يدخل فاليه ، وتنسحب صوفى لتترك للرجلين المجال ·· فيتقدم جيروم نحو ضيفه مفتوح الذراعين مرحبا فى حماسة ، بيد أن فاليه يظل جامدا فى مكانه لا يتحرك ··وحين يهم جيروم بتقبيله ، يشيح بوجهه ويبتعد عنه !!

جيروم : فاليه ! أيها الصديق · ماذا بك ؟ ألا تريد أن تضع يدك فى يدى ؟ أتشك فى ؟ ان بيتى بيتك ، وانى لشاكر لك انك تخيرته ليكون ملاذك فى هذا الوقت ·· وأعتذر اليك عن عجزى عن حمايتك من اهدار دمك · ولكنك تعرف الظروف التى نعيش فيها ، ولا تنس انك وأصدقاءك أول من استن هذه السنة من التناحر والحروب الاهلية ···

فاليه : لقد أبينا أن نهادن الخيانة والجريمة · ولكنى أرى غيرى يهادنهما محافظة على حياته !

جيروم (مستاء) : ذلك ان شيئا أغلى من حياتنا يرتبط بها· هناك عملنا وقضيتنا وثورتنا الفتية · ولا بد من أن نضحى فى سبيلها بعواطفنا ···

فاليه : ما أهون التضحية بالعواطف على من لا عواطف لهم ! فان هم الا كتلة من المنافع ···

جيروم : ما لنا ولهؤلاء ! انما نتحدث عمن يعيشون لمبادئهم وأفكارهم ···

فاليه : هناك من يموتون فى سبيل المبادىء ، كما ان هناك من يعيشون منها وعليها ···

جيروم : ماذا تريد أن تقول يا فاليه ؟ كأنى بك تعرض بى وتهاجمنى ···

فاليه : أجـــل !

جيروم : ألا تستطيع في هذه الساعة التي يهم بك فيها كل انسان فى باريس ، أن تعرف مبلغ ما أكنه لك من حب واخلاص حين أفتح لك ذراعى وبيتى ؟..

فاليه : انى أكره المهادنين للشر ، والمحاذرين ، والجبناء ..!

جيروم : أنا لا يوجه الى هذا الكلام ..

فاليه : بل اليك أوجهه ...

جيروم : ولكن اذا كنت تكرهنى الى هذا الحد ، فلماذا لجأت الى بيتى ؟

(لكن فاليه لا يجيبه ، بل ينقل نظراته الى الباب الذى يفتح وتدخل منه صوفى ، فترتسم على ملامحه رقة وهيام .. ويلاحظ جيروم ذلك ... ولكن صوفى تصيح فى لهفة وجزع) :

صوفى : لقد حضروا يا جيروم .. لقد هلك !

جيروم (شاردا مذهولا مما لاحظه) : من هم الذين حضروا ؟

صوفى : الشارع محاصر ، والجنود يفتشون المنازل واحدا واحدا ... هيا انج بنفسك يا فاليه .

جيروم : الهرب مستحيل ، فالشارع محاصر .. ولكن فى وسعنا أن نخبئه ..

صوفى : أرجوك . يجب أن ينجو .. فلو وجدوه هنا لهلك..

جيروم : وهلكت أنت أيضا ...

صوفى : حياتى لا تهمنى اذا نجت حياته .. يجب أن يعيش. لا أريده أن يموت بأى ثمن !

فاليه : الآن لا يهمنى الموت ... فسوف نعيش معا ، أو نموت معـــا !

صوفى : بل نعيش !

فاليه : اذن سنعيش !

◆ **لقد نسيا الخطر ، ونسيا جيروم فى غمرة حماستهما**

وفرحهما بحبهما الفتي ٠٠ وقد تشابكت يداهما، ونظراتهما!٠٠ وتمضي لحظة صمت ثم يتكلم جيروم بفتور :

جيروم : الوقت ثمين وضيق٠ هيا ياصوفي،خبئيه في الفجوة السرية وراء الفراش ، تلك الفجوة التي أحفظ فيهـــا أوراقي السرية ، فانها تتسع لشخص يتمدد فيها ٠٠ هيا ٠٠٠ ولكن خذي له هذا القرص السام ٠٠ حتى اذا كشف الامر ، ولم يبق من الموت مفر ٠٠!؟ وخذي أنت أيضا يا صوفي هذا القرص٠٠٠ خذيه ، فقد احتفظت لنفسي بنصيبي ٠٠٠ أسرعا ٠٠!

جيروم (وحيدا) : انهما متحابان ! وهذا أعز الاصـــدقاء لا يتردد في قتلي لو استطاع ليختلس مني زوجتي ! وهذه أكرم الزوجات وأوفاهن وقد تكشف نقاب الرياء عن تواطئها واياه ! ولا شك أن قلبها ينطوي على تمني الموت لي ، أنا الحائل دون سعادتهما في هواهما الجامح ٠٠ وما بي من رغبة في أن أحتفظ قسرا بامرأة لا تحبني ولا تطلب قربي ٠ بل ما بي من رغبة في أن أحتفظ بحياة هذا مبلغ حظي منها ، فهي حياة لا تستحق حتى الكراهية والحفيظة ٠ بل لا تستحق الاحتقار ! لقد كان يمسكني بالحياة خيط واحد ، وقد انقطع الآن هذا الخيط ٠ فليكن الآن ما يكون ٠٠ فاني أترك هذه الحياة البشرية غير ناقم ، ولا آسف على فراقها ٠٠! **(يتناول أوراقا من مكتبه فينثرها فوقه بشكل ظاهر !)** حسبهم أن يعثروا بهذه الاوراق عنـــد التفتيش كي يحكموا باعدامي !

◆ ويطرق الباب ، فيفتحه جيروم كورفوازيه لرئيس اللجنة الفرعية وجنوده ٠ ويبـــدأ التفتيش في كل مكان ، والرئيس العامي الامي السوقي يتعمد التحرش والنكاية بهذا العالم الفذ، لانه عالم ، ولانه فذ ! ويتعمد اتلاف اللوحات الفنية والزخارف الثمينة ، لان الفن شيء ارستقراطي بغيض !٠٠ وأخيرا يعثر على الاوراق ، وقد لفت جيروم نظره متعمدا اليها بحركة حذر

مفتعلة ، فيهلل فرحا بالنصر ، وبأنه قد ظفر برأس «كورفوازيه» الشهير بهذه الاوراق التي تهاجم لجنة الامن العام وتتهمهـــا بالاستبداد !٠٠ ويهم بأن يقبض على جيروم من فوره ، لولا ان « كارنو » عضو لجنة الامن العام العليا يصل في تلك اللحظة فينتهر القائمين بالتفتيش ٠٠!

كارنو : ارفعوا أيديكم عن هذا الرجل ٠٠٠ واحترموا أهل الفضل والاحترام !

الرئيس : أهناك امتيازات لاعداء الجمهورية ؟

كارنو : ان الجمهورية يا هذا مدينة لرأس هذا الرجل بما لا تدين به لالف من أمثالك ! ان مكتشفاته العلمية هي التي مكنت جيوشها من النصر بعد اليأس القاتل ٠٠٠ انه أجنحة النسر !

الرئيس : وأنا أكره النسور ٠٠ لانهـــا تعلو عن الارض ٠ وعن المستوى العام ٠٠ ونحن نطلب أن يكون الكل سواسية ٠ ليسقط العلية ! وسأحتفظ بهذه الوثائق الدامغة ! **(ثم يخرج مع جنوده متذمرا ، ويبقى كارنو وصديقه كورفوازيه وحدهما)**

كارنو : ماذا في هذه الاوراق ؟

جيروم : وثيقة اتهامي ٠٠ اتهامي للطغاة ، ودليل اتهامهم لي بالتمرد على الطغيان ، أي بالخيانة والغدر ٠٠٠ فالطغيان الآن كنجوم السماء ، اذا رميناه بحجر ارتد علينا وحطمنا !

كارنو : لقد سبقني الاوغاد ، وكنت أحسب اني سأسبقهم ٠ والوقت الآن ضيق ٠ اسمع ٠ لقد رتبت أمر نجاتك الى الحدود بجوازين مزورين أنت وامرأتك ٠٠ فروبسبيير لا يستطيع أن ينسى خدماتك للجمهورية ، وقد أغضى عن موقفك ووافق على تيسير هربك ، حتى لا يحتمل أمام التاريخ وزر دمك ، وأنت عالم الثورة الاكبر ٠٠٠ بل انه كان يود أن يحتفظ برأسك ذخيرة وطنية وكنزا لخدمة الجمهورية ٠ ولكن تصرفاتك زادت الامر

حرجا ، حتى لم يبق مناص : أما من تهريبك ، أو اعدامك !٠٠ الا اذا أعلنت صراحة موافقتك على القرارات الاخيرة للجمعية بالقضاء على المترددين والمعارضين ٠٠٠

جيروم : الموت أحب الى من هذه الموافقة٠٠٠ فلن أوافق ـ أنا نصير حقوق الأنسان وحرية الفرد الشخصية ـ على عبودية الانسان للدولة !

كارنو : وهل نسيت انه لا حرية للفرد الا بسلطان الدولة وقوتهـــا ؟

جيروم : ولا حرية كذلك للفرد اذا ابتلعت الدولة تلك الحرية والتهمتها !٠٠٠ ولا قيمة عندى لمجد الدولة اذا دفعنا فى سبيله أثمن ما فى الحياة ، وهو فضائل الشرف والمحبة والاخاء ! ان الدولة لا تقوم الا من أجل هذه الاشياء وحمايتها ، فكيف نجعلها تفترسها وتتغذى بها وتقف فوق جثتها ؟ لا كانت الدولة اذن اذا أهدرت روح العدالة وحرمتنا احترام أنفسنا وحرية ضمائرنا! وانى أسجل هـذا الاحتجاج بدمى ، وأدفع ثمنه حياتى ٠٠٠ ولا أراها حينئذ قد ضاعت سدى ٠٠ ولا آسف الا على ما تركته دون تمام من أعمال وأبحاث علمية ٠ فقد كان العلم وحده هو الصديق الوفى الذى لم يخيب أملى وحسن ظنى فيه ٠٠!

كارنو : اذن خذ هذين الجوازين ، واعلم اننى حجزت مكانين لكما فى العربة التى تسافر الى ديجون عند منتصف الليل ، لانى كنت واثقا مقدما من رفضك ٠٠ ففى نفسى مثل ما فى نفسك من مرارة وتقزز ، ولكنى لا زلت آمل فى صلاح الاحوال يوما ما !٠٠ فلترحلا الليلة ٠٠ والا فات الوقت ، فسيحضرون الى هنا عند الفجر للقبض عليكما ٠٠٠ وداعا !

◆ ويخرج ، بينما يظل جيروم دى كورفوازيه جالسا الى مكتبه يفكر ، حتى يفتح باب حجرة النوم وتطل منـسه صوفى فى حذر :

صوفى : هل انصرفوا ٠٠؟

جيروم : نعــــم ٠٠٠

صوفى : ولماذا أتى كارنو ٠٠؟

جيروم : لا وقت لدينا لتجاذب أطراف الحديث ، فالدقائق معدودة ، ويجب أن نقول ما لدينا قبل أن نخرج هذا الرجل الآخر من مكمنه ٠٠ أنت تحبين هذا الرجل ٠ لا تتكلمى ٠ أنا أعرف كل شيء ٠ ولست ألومك ٠ فأنا أعرف عفتك وولاءك ٠ وما دمت لم تستطيعى المقاومة ، فلا بد أن أحدا غيرك ما كان ليستطيعها ٠٠ وأنا لا أطلب ما لا يستطاع ٠٠٠

صوفى : أنا أحبه حقا ٠ فاغفر لى ٠٠٠

جيروم : اذهبى ، فأنت حرة !٠٠ ولست حانقا على أحد ، فليس الذنب ذنبى ، ولا ذنبك ، ولا ذنب أى انسان ٠٠٠ الذنب ذنب الحياة !

صوفى : ولكنك ستتعذب ٠٠

جيروم : فى مثل سنى ، لا وقت لى كى أتعذب ٠ فلا تفكرى الا فى نفسك وســـعادتك ٠٠ اذا كان الى السعادة الحقة من سبيل ٠٠



◆ تتكىء الزوجة على المدفأة وهى واقفة ، وتنتحب ووجهها بين يديهـا ٠٠ فينحنى الزوج التعس عليها فى حنــان أبوى ويربت على رأسها حتى تهدأ٠٠ وهو يرمقها باشفاق :

صوفى : لوددت أن أقيم على حبك وعهدك حتى الموت ، وأن

اشتري سعادتك بكتمان ما في نفسي من عاطفة هوجاء ، بيد انها كانت أقوى مني فغلبتني على أمري ! لماذا تتغير القلوب ويختلف اتجاه الهوى ما بين عام وعام ؟ لماذا أحبك بكل ما هو سام نبيل ، وأحبه بكل ما هو عنيف قاهر في تكويني ؟ لماذا ؟ لـماذا ؟ ..

جيروم : لا عليك ! فاني رجل العلم والحياة . وقد عهدت الطبيعة لا تكترث للعواطف ومبادىء الاخلاق .. فالذنب يا بنيتي ذنب الحياة . اسمعي . سترحلان هذه الليلة معـا ، بهذين الجوازين الرسميين باسمين مستعارين ، حتى تبلغا الحدود .. هيا معه ، انقذي حياته ، وهناك .. هيا ولا ترددي ..

صوفي : كلا .. أنت نبيل وكريم .. ولكني لا أستطيع فراقك في هذا الظرف ..

جيروم : لقد فارقتني بقلبك يا صوفي ، فلا عليك في البقية من بأس ..!

صوفي : وا حر قلباه ! وا عذاباه ! لقد منحتك الحب والوفاء حتى أمس ، فمالي اليوم أتركك بلا حب ولا وفاء ؟ وهل بقيت عندي قدرة على اقامة حياة جديدة ؟ وهل تواتيني الثقة في الحياة بعد هذا الذي عانيته من تقلبها في قلبي ؟

جيروم : على رسلك ! وهوني عليك ! فالحياة التي تموت في كل ليلة ، وتولد وتتجدد في كل صباح ، قمينة أن تسكب في قلبك النسيان ، وتجدد في عودك أوراقا خضراء ، لا يقلقها انها نبتت مكان أوراق أخرى جفت وسقطت وذرتها رياح الخريف ! .. هيا ولا ترددي ، فالوقت ثمين .. والدقائق معدودات !

صوفي : ولكن كيف حصلت على هذين الجوازين ..؟

جيروم : أعطانيهما كارنو ...

صوفي : آه ! لقد أعدهما لنا، لك ولي .. أنت اذن في خطر!؟

جيروم : لا خطر على الاطلاق . هيا ولا تضيعي الوقت ، كي

تنقذی من تحبين ...

صوفی : كلا ! لن أفارقك ، أو نذهب معا !.. أنت في خطر، وأنت زوجي، وصديقي، وأبي، وصفي أيامي، ونجي أحلامي.. أحمل اسمك ، وأشاركك حلوك ومرك ..

◆ يظهر فاليه عند عتبة الباب مضطرب الثياب شاحب الوجه:

فاليه : هل ذهبوا ؟

جيروم : أجل ، ولكنهم سيعودون عند منتصف الليل .. اجلس قليلا فانی أريد أن أتحدث اليك . لقد أقنعت زوجتي بمغادرة باريس بعض الوقت لاسباب صحية ، ولن أستطيع مرافقتها لكثرة أعمالى هنا ، وهاك جواز سفرى وارحل معها الى بلدها بجوار الحدود ، ومن هناك تستطيع أن تجتاز الحدود الى الحرية والسلام ..

(يتناول فاليه الجواز ويتأمله مبهوتا معقود اللسان من فرط فرحته !.. أما صوفى فتتناول جواز سفرها ، وبعد أن تنقل بصرها لحظة بين الرجلين .. تمزقه وتلقيه في نار المدفأة !!.. ثم تتجه نحو فاليه فتقول له بكل هدوء وسكينة نفس :

صوفى : لقد برح الخفاء أيها الصديق . ان زوجى يعرف سرنا ، وقد اعترفت له بالحقيقة ، فكان من الكرم بحيث رد على حريتي كي أذهب معك . ولكني وقد استرددت حريتي منه، قررت البقاء الى جواره بمحض اختيارى .. **(وتتجه الى زوجها فتمد اليه يدها !)**

فاليه : انك لم تحبيني حبا حقا في يوم من الايام !

صوفى : بل أحبك ، وسأحبـــك على الدوام .. ولكني لن أكون ألعوبة هواى مهما طغى !

فاليه : الحب والكبرياء لا يتلازمان ... أنت عبدة الكبرياء ، لا عابدة الحب !

صوفى : وهل كنت تحبنى لو كنت مبتذلة منحتـــك نفسي

رخيصه ؟ هيا أيها الصديق ، أنج بنفسك ولا تفلت فرصة العمر •• أما أنا فقد أحرقت جوازى !

فاليه : اذن سأبقى !

جيروم : انه القبض الليلة ، والمحاكمة غدا ، والاعدام عند الغروب !

فاليه : رباه ! لا أريد أن أموت • كلا • انقذانى •••

جيروم : هذا هو الطريق ••

فاليه (يقف ولكنه يتردد) : يملؤنى الخزى من نفسى ••

صوفى (تضع على كتفيه معطفا ، فى حنان الام) : لا عليك• فانى أريد لك أن تعيش ، ويسرنى أن أراك تتعلق بالحياة !

فاليه : أكرهها وأتعلق بها فى وقت معا ! ولكن ماذا حدث لى؟ لقد تحديت الموت كى آتى اليك • وهأنذا أفارقك اشفاقا من الموت ؟ ما أحقرنى ••!

جيروم (بحنان وعطف) : هون عليك • هذه هى الحياة • والذنب ذنبها ، ولا ذنب لك !••

(ينحنى فاليه فوق أنامل صوفى فيقبلها ، ثم يصافح يد كورفوازيه الممدودة اليه ، ويخرج بعد أن يقول لمنقذيه : « وداعا ! »)

◆ ويبقى الزوجان وحدهما ، هادئين فى وجه الموت ، وفى انتظاره ••

جيروم : ألست نادمة ؟

صوفى : هل قضى علينا حقا ؟

جيروم : لا مناص •••

صوفى : اذن فلا بأس ، فقد انتهت دوامة الحياة : فلا رغبة ، ولا أمل ، ولا حرج ، ولا صراع ، ولا اختيار ، وانما الراحة الكبرى !•• **(تضع رأسها على كتف زوجها الذى يحدق فى النار ساكن الاسارير)** •• يا زوجى النبيل العزيز •• يا من ضحيت بنفسك فى سبيلى ••

جيروم : ليس فى اسعاد من نحب تضحية يا صوفى ··· ألا تذكرين أمسية كهذه ملت فيها على أذنك وهمست فيها « اغفرى لى اننى أحببتك ؟ »

صوفى : نعم أذكر ·· والآن ، هل غفرت لى اننى نسيت ذلك يوما فى حياتى ؟

(فيقبل جبينها فى رقة وصفاء ويربت على كتفها الهشة)

جيروم : أو لم أنس أنا أيضا واجبى فى الصراحة وشجاعة الرأى ؟ لقد هادنت الطغاة وسكت عنهم · والساكت عن الحق شيطان أخرس ··· وها قد انتهى كل شىء ···

صوفى : أجل، والحمد لله انه انتهى··· فقد بلغ منى الكلال غايته ، واشتاقت نفسى أن تستريح ··· بلا ندم ، ولا حقد ، ولا أسى ··

(الباب يدق ، ثم يفتح بعنف ، ويدخل منه الجنود !)

(ســـــتار)

من هو بطل القصة ؟

◆ اما وقد فرغت من قراءة ملحمة «رولان» الجبارة هذه فلعلك لاحظت انها تلقى فى روعك ان بطلها «جيروم كورفوازييه» شخصية حقيقية ، كان لها دورها فى الثورة الفرنسية الكبرى .. لكننا بالرجوع الى التاريخ لا نجد أثرا لشخص بهذا الاسم !

اذن فما هو مفتاح هذا اللغز ؟

أغلب ظنى أن المؤلف قصد باسم «كورفوازييه» ان يتستر على كرامة البطل الحقيقى الذى عناه بقصته ، والذى أرجح أنه «لافوازييه» ، العالم الكيميائى المشهور :

فأولا ، هنالك تشابه لا شك فيه بين الاسمين !

وثانيا ، ان لافوازييه كان بالفعل عالما كيميائيا ذائع الصيت ، بل أنه يعتبر مؤسس علم الكيمياء الحديث ، ومكتشـف تركيـب الهواء ووظيفة

الاوكسجين فى التنفس ، وله ابحاث هامة فى الحرارة وغيرها من ابواب علم الطبيعة .. الخ

وثالثا ، انه أعدم بالمقصله فى الثورة الفرنسية بالفعل ، وفى عام ١٧٩٤ بالذات الذى تخيره المؤلف تاريخا لاعدام بطل قصته !

ورابعا ، انه مات دون أن ينجب من زوجته نسلا ــ مثل «كورفوازييه» بطل القصة !

وخامسا ، انه أدى بدوره خدمات هائلة لوطنه ولدولاب الثورة ، بل توصل الى اكتشاف يزيد من قوة انفجار البارود بنسبة الثلث ، الامر الذى كان له فضل كبير فى تغيير دفة القتال بين الانجليز وجيش الثورة يومئذ بحيث نقلب الاخيرون فجاة ، بعد ان كانوا مغلوبين على أمرهم ...

وحين انقلبت الثورة على نفسها ــ كالقطة تاكل بنيها ــ قدم لافوازييه للمحاكمة مع ٢٧ من زملائه الاحرار ، يوم ٢ مايو سنة ١٧٨٤ ، فحكم عليهم جميعا بالموت .. ولم يلبث أن نفذ فيهم الحكم بعد يومين من ذلك التاريخ !

وقد علق أحدهم على اعدام لافوازييه بقوله : «ان الامر لم يحوج الدولة الا الى ثوان معدودات كى تفصل رأسه عن جسده .. لكنها قد تحتاج الى قرن كامل من الزمان كى تجد رأسا آخر يعوضها عنه !»

المــؤلف

(١٨٦٦ ــ ١٩٤٤)

◆ والان ، أحسبك ايها القارىء تريد ان تعرف شيئا عن مؤلف هذه المسرحية الدامية ، الدامعة !؟ .. والحق اننى منذ بعيد أمنى أن أقدم لك هذا الاديب الفرنسى الفحل ، الذى تضارع مكانته فى الادب الفرنسى الحديث مكانة «ستيفان زفايج» فى الادب النمسوى و«تولستوى» فى الادب الروسى ... واذا كانت هذه العجالة المختصرة لا تفى «رومان رولان» حقه او بعض حقه ، فحسبى ــ فى انتظار فرصة أخرى افسح وأرحب ــ ان اقدم اليك اليوم حياته ومؤلفاته فى سطور ..

ولد «رولان» فى ٢٩ يناير سنة ١٨٦٦ ببلدة «كليمسى» باقليم «نييفر» ، وتلقى علومه الاولى فى مسقط رأسه ، ثم أكملها فى باريس ، حيث سطع نجمه كطالب ممتاز . وفى المدة بين ١٨٨٩ و١٨٩١ التحق بالمدرسة الفرنسية بروما وفى سنة ١٨٩٥ عين مدرسا لتاريخ الفن فى مدرسة «النورمال» العليا ، فمدرسا فى «السوربون» ، حيث ادخل لاول مرة دراسة «تاريخ الموسيقى» .. وفى تلك الفترة كتب مؤلفاته الاولى فى النقد والتاريخ ، ومنها : اصول المسرح الغنائى

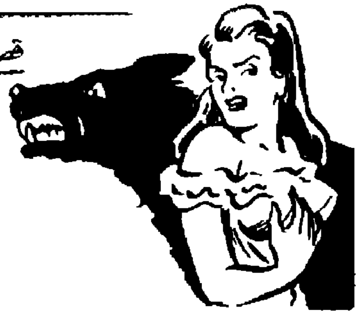
الحديث ، ((تاريخ الاوبرا فى أوربا قبل لولى وسكارلاتى)) (١٨٩٥) ، اسباب انحلال فن الرسم الايطالى ، مسرح الشعب (١٩٠١) ، دراسات فى ((ميليه)) (١٩٠٢) ، بيتهوفن (١٩٠٣) ، ميكيل انجلو (١٩٠٦) ، مآسى الايمان ، سان لويس ، آيير ، انتصار العقل (١٩١٣) .. على ان أعظم مؤلفاته قاطبة قصته المشهورة ((جين كريستوف)) التى اصدرها فى عشرة مجلدات فى المدة بين سنة ١٩٠٤ – ١٩١٢ ، وهى تصور حياه موسيقى المانى ، وتنقسم الى ثلاث مراحل: ((جين كريستوف)) ، و((جين كريستوف فى باريس)) ، و((نهاية رحلة))

◆ وعندما اندلعت الحرب العالمية الاولى كان رومان رولان فى سويسرا ، فنشر خطابا مفتوحا الى الرئيس هاوبتمان يعرب عن ذعره واستبشاعه لجريمه حرق ((لوفان)) ، فكسب بذلك عداء الالمان .. كما كسب عداء الفرنسيين انفسهم بسلسلة مقالاته السياسية التى نشرها فى (جريدة جنيف) خـــلال سبتمبر واكتوبر سنة ١٩١٤ . ولكن برغم ان سمعته فى وطنه قد تاثرت بسبب آرائه السياسية ، فانها ارتفعت وسمت فى خارج فرنسا ، ولا سيما حين مثلت مجموعة مسرحياته التى تصور الثورة الفرنسية ، ومنها : دانتون ، ١٤ يوليو ، الذئاب ، ثم لعبة الحب والموت (التى قدمتها لك اليوم) وقد احدثت جميعها ضجة وحماسة هائلتين فى برلين – ثم اعقبها بسيل اخر من المؤلفات الممتازة ، منها : كولا برونيون (١٩١٨) ، البشيرون (١٩١٩) ، كليرامبو ، بيير ولوسى (١٩١٩) ، رحلة موسيقية فى بلاد الماضى ، ليولى . وفى سنة ١٩٢٢ أصدر الجزء الاول من سلسلة ((الروح المسلوبة اللب)) التى منها : انيت وسيلفى (١٩٢٢) ، الصيف (١٩٢٤) ، الام والابن (١٩٢٧) ، بيتهوفن الخالق (١٩٢٩) ..

◆ وقد فاز ((رومان رولان)) بجائزة نوبل فى الادب سنة ١٩١٥ ، وفى سنة ١٩٢٤ اصدر كتابه العظيم ((المهاتما غاندى)) الذى دافع فيه عن الزعيم الهندى دفاعا حماسيا حارا !

وبعد عشرين عاما من ذلك التاريخ مات رومان رولان فى ((فيزيلاى)) بفرنسا يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٤ .. بعد أن شهد ، بنشوب الحرب العالميـة الثانية ، مصرع آماله النبيلة فى سلام عالمى دائم !

وفى فرصة اخرى أرجو ان اقدم لك المزيد عن حياة رولان ، وادبه ، وقصصه الانسانية الزاخرة بالانفعالات .. والاحاسيس – العنيفة ، والعفيفة !.. ثم بالمثل العليا السامية .. والقيم الانسانية الرفيعة ..



قصة قصيرة .

الذئبة !

للروائي الايطالى "جيوفانى فيرجا "

— ١ —

◆ كانت طويلة ، ونحيلة ، لكنها كانت ذات صدر ثابت ملىء ، شأن السمراوات دائما — رغم انها لم تعد شابة !.. وكان وجهها شاحبا — كما لو كانت مريضة «بالملاريا» على الدوام ! — تطل منه عينان واسعتان فاحمتا السواد .. اما شفتاها فكانتا حمراوين ، طازجتين دائما ، تبدوان فى أى وقت وكأنهما تشتهيان أن تأكلاك .. !

وكان أهل القرية يسمونها «الذئبة» ، لانها ما كانت تشبع قط من شيء!.. أما النساء فكن يتطيرن كلما رأينها مارة بهن ، وحيدة ، ككلبة ضارية تبحث عن صيد دسم ، وفى حركاتها الغاضبة المريبة ما يذكر بالذئاب الجائعة .. فقد الفت أن تمتص ماء الحياة من أبنائهن وازواجهن فى طرفة عين ، بشفتيها القرمزيتين ! كان يكفى أن ترمقهم بنظرة من عينيها الكحيلتين الشريرتين كى ينطلقوا وراءها كالمسعورين ، ولو كانوا عائدين لتوهم من صلاة حارة امام مذبح القديسة «اجريبينا» !.. وكان من حسن الحظ ان الذئبة لا تدخل الكنيسة قط ، لا فى عيد القيامة ، ولا فى عيد الميلاد .. لا لتسمع القداس ، ولا لتعترف !.. وفى المرة الوحيدة التى دخلتها فيها أضلت خادما تقيا من خدام الله ، ففقد سلامه الروحى وغوى بسببها !

◆ وكانت «ماريكيا» المسكينة فتاة طيبة وظريفة ، لكنها كانت دائمة البكاء، لانها ابنة (الذئبة) ، وما من أحد يمكن ان يقدم على الزواج منها .. برغم قطعة الارض الخصبة المشمسة التى تملكها فى القرية !

وذات يوم وقعت «الذئبة» فى هوى فتى وسيم كان قد عاد لتوه من الخدمة العسكرية فاشتغل بالحصاد معها جنبا الى جنب فى الحقل الذى

يملكه محامي القرية . كانا يقضيان النهار متجاورين يقتلعان المحصول ، فتدلهت الذئبة في حبه .. أحبته ذلك الحب الذى يشعرك بان جسدك يحترق تحت ثيابك ! الحب الذى تقاسى منه ، كلما التقت عيناك بعيني محبوبتك ، ذلك الظمأ الموجع الذى تقاسيه في ساعات يونيو القائظة وانت تعمل تحت الشمس المحرقـــة .. !

❖

◆ لكن الفتى لم يأبه لها ، بل ظل يتابع عمله الى جوارها وهو محتفظ بهدوئه المألوف، فيما عدا بعض عبارات التجاهل القاسى التى كان يصدمها بها بين وقت وآخر حين يقول لها : « ماذا .. ماذا بك يا «مدام بينا» ؟ هل انت مريضة اليوم ؟»

اما هى فلم تيأس ! ظلت تأتى الى الحقل كل يوم ، فتنكب على جمع المحصول حزمة بعد حزمة ، تحت لهيب الشمس المتلظية ، دون أن تشكو من التعب .. بل دون أن ترفع ظهرها لحظة أو ترطب شفتيها بجرعة من زجاجة الماء ، كى لا تبعد وجهها قيد أنملة عن أنفاس معشوقها «نانى» ، الذى لاينفك يحصد ويحصد .. ويسألها من وقت لآخر : «ماذا ؟ ماذا تبغين يا مدام بينا ؟»

.. حتى كان مساء خلا لها فيه «الجو» ، حينما ابتعد الحصادون الى ظلة نائية استلقوا تحتها وراحوا فى اغفاءة من تأثير عناء النهار الطويل . وكانت الكلاب تنبح من بعيد فى الحقول المعتمة المترامية .. فالتفتت الذئبة الى (نانى) وأجابته : «انت !.. اريدك انت !.. انك لجميل كضياء النهار ، حلو كالشهد .. أريدك انت يا فتى !»

فأجابها نانى ضاحكا : «لكنى افضل أن أحصل على فتاتك ذات الشباب الصبوح !» .. فرفعت الذئبة يديها الى راسها ومزقت رباط شعرها ، دون أن تنطق بحرف .. ثم ذهبت !

ولم تعد الى الحقل منذ ذلك اليوم !

◆ ومضت أسابيع لم يقع فيها بصر الذئبة على (نانى) .. حتى بدأ موسم عصر الزيتون فى اكتوبر ، وكانت طاحونة العصير التى اشتغل الفتى فيها فى ذلك الخريف قريبة من بيتها ، وصوتها المزعج يحرمها من النوم طيلة الليل ..

فالتفتت اللذبة الى ابنتها ذات صباح وقالت لها «احضرى آنية زيت الزيتون وتعالي معا نملؤها !»

كان نانى حين دخلت عليه يقذف بالزيتون تحت حجر الرحى فى الغرفة المظلمة كالقبو ، ويصيح بالبغل الذى يدير الحجر صياحه التقليدى، يستحثه به على مواصلة الدوران .. فسالته مدام بينا : «هل تريد ابنتى ماريكيا؟» .. فاجابها متسائلا : «وماذا نعطيها فى هذه الحال ؟»

ـ انها تملك ما خلفه لها والدها ، فوق انى ساهبها بيتى . ويكفينى ان تتركا لى ركنا فى المطبخ انام فيه على فراش من القش .. !

ـ حسنا ، اذا كان الامر كذلك ففى وسعنا أن نتحدث بشانه قرب عيد الميلاد ..

لكن نانى كان ساعتئذ اشعث الشعر متسخ الجسم والثياب بالزيت ، فلم يعجب الفتاة !.. فلما عادت مع امها الى البيت اعربت لها عن رفضها الزواج منه !.. فما كان من اللذبة الا أن أمسكت بابنتها من شعرها امام المدفاة وقالت لها وهى تصر على أسنانها فى لهجة التوعد : «اذا لم تتزوجيه فسوف القى بك فى النار !»

- ٢ -

◆ وبعد الزواج ، كفت (اللذبة) عن التجوال فى اوقات فراغها فى انحاء القرية ، كالكلبة الجائعة .. ولم تعد تجلس فى نافذة بيتها ترمـق المارة بنظرات المراة التى تسكن جسدها الارواح الشريرة !.. فاخذ اهل القرية يعلقون على هذا التبدل بقولهم ان الشيطان يصير راهبا حين يتقدم فى العمر!.. بينما رجح آخرون انها لابد «مريضة» !.. لكنها مع ذلك لم ترحم زوج ابنتها من نظراتها الجائعة ، التى كان الفتى يقاومها بضحكة ساخرة وهو يخرج صورة العذراء المعلقه حول رقبته ، كى يحتمى بها من الفتنه الضارية الآخذة بتلابيبــــه !

وكانت ضحكته هذه تثيرها ، فتهرب الى الحقول كى تدفن همها فى اعمال الرجال : تزرع ، وتحصد ، وترعى الماشية ، وتجنى الكروم .. غير عابئة ببرد يناير القارس او سموم اغسطس الافريقية اللافحة !.. وفى الوقت مابين الغروب والليل ، حين لا تخرج امراة فاضلة الى الطرقات ، كانت مدام بينا

هي المخلوقة الوحيدة التي ترى جائلة في ضواحي القرية ، في الحقول الوعرة أو في الطرقات الملتهبة الاحجار من حرارة ما بعد الظهيرة .. فقد استأنفت الذئبة سيرتها الاولى من التجوال في الشوارع كالكلبة الجائعة !

وذات مساء .. خرجت تسعى نحو حظيرة الغنم التي كان الفتى يحرسها في تلك الآونة .. فوجدته مضطجعا تحت ظلة من القش وذراعاه تحت رأسه، فهمست له في صوت مبحوح بانفعال الرغبة : «استيقظ . لقد احضرت لك نبيذا يرطب حلقك ..»

فتح نانى عينيه عن آخرهما كطفل أزعج في نومه .. و بوعي ما بين النعاس واليقظة رآها منحنية فوقه بصدرها الرجراج المتعجرف ، ووجهها الشاحب ، وعينيها السوداوين كالفحم .. فمد ذراعيه في ذعر يدرأ جسدها عنه ! وتنهد وهو يدفن وجهه في الحشائش الجافة مشيحا عنها ، ممزقا شعره بيديه .. ثم صاح بها : «ماذا خرجت تفعلين بعد الغسق ؟ اليك عني .. اذهبي بعيدا .. وإياك ان تحضري الى الحظيرة مرة أخرى !»

وذهبت بالفعل ، تعبر الاحراش الملتهبة وهي تتميز غيظا ، محملقة ببصرها الى الامام في نظرات زائغة ، وقد أخذت تعيد تصفيف الخصلات التي تناثرت من شعرها الاسود الفاحم ..

◆ لكنها عادت الى الحظيرة .. مرة واخرى .. ولم يعد نانى يقول شيئا ! بل صار يقلق اذا تأخرت ، ويمضي الى قمة الطريق الابيض القفر ليبحث عنها ، والعرق يتصبب من جبهته !.. ولكن ليعود فينهرها في نهاية اللقاء في كل مرة ، صائحا بها وهو يمزق شعره بيديه : «اذهبي .. اذهبي ، وحذار ان تحضري الى الحظيرة مرة أخرى !»

أما «ماريكيا» المسكينة فلم يعد في وسعها غير أن تبكي ، ليل نهار ، وتحدق في امها بعينين قرحتهما الدموع ، ونظرات الهيتها الغيرة ـ حتى لتبدو بدورها كذئبة صغيرة ! ـ وكلما رأت امها مقبلة من جهة الحظيرة ، شاحبة ، صامتة دائما ، صاحت بها : «منحطة .. منحطة .. أم منحطة !»

ـ اصمتي .. اصمتي !

ـ لصة .. لست الا لصة !

ـ اصمتي !
ـ سأذهب الى الشرطة .. سأذهب !
ـ اذن فاذهبي ..

◆ وذهبت بالفعل، اخيرا ، وطفلها على ذراعها.. ذهبت بلا نهيب ولا وجل، ولا دمعة في العين ، مندفعة كالمجنونة !.. فقد صارت بدورها عاشقة ! احبت الزوج الذى يخصها ، والذى ارغموها في البداية على قبوله وهو ملطخ بالزيت !!

وخف الشرطي الى الزوج الآثم يهدده بالسجن وبالمشنقة ، ان لم يرجع عن غيه ! فلم ينكر الفتى شيئا ، أو يحاول تبرير فعلته ، بل ارتمى تحت قدمي الشرطي وهو يمزق شعره ويصرخ متوسلا : «انها غواية رهيبة .. بحق السماء انتشلني من هذا الجحيم . واجعلهم يشنقونني .. او ارسلني للسجن .. ولكن لا تدعني اراها بعد الان قط .. قط !»

فلما طلب الشرطي الى الذئبة ان تترك البيت اجابته في لهجة حازمة : «كلا ! ان البيت بيتي ، ولئن كنت قد اعطيته لابنتي كمهر عند زواجها وقنعت بركن صغير في المطبخ أنام فيه ، فاني ارفض ان اطرد اليوم منه !»

◆ وبعد ساعات ، فيما كان نانى عائدا الى الحقل ، ركله بغل في صدره ركلة تركته بين الحياة والموت ! فاستدعوا له قسيس القرية كي يصلي من اجله .. لكن هذا رفض الصلاة مالم تطرد الذئبة من البيت ، فطردوها .. واعترف الفتى بخطيئته ودلائل الندم والتوبة على محياه ، حتى لقد بكى الجيران الملتفون حول فراشه وهو يحتضر ..

لكنه لم يمت . وليته مات هذه المرة .. قبل ان يعود الشيطان فيتملكه، بمجرد شفائه !

ـ ٣ ـ

ـ « اتركيني لحالي بحق السماء ، دعيني في امان ! لقد واجهت الموت ، وماريكيا المسكينة تكاد تجن ، وكل الناس يعلمون .. فخير لك ولي ان لا أراك ! »

وكم كان بوده لو استطاع تمزيق عينـــيه في محجريهما ، كي لا يرى تينك العينين ، عيني الذئبة ، وهما تتسلطان على جسده وروحه ، وتفقدانه ارادته !.. ولم يدر ماذا يفعل ليتخلص من اسار سلطانها الذى ضربته من حوله : صار يتصدق على الفقراء ، ويـــزور المرضى . واستنجد بمعونة القسيس ، والشرطي !.. وفي عيد الفصح مضى ليعترف ، واعلن للجماهير

المؤلف

١٨٤٠ – ١٩٢٢

يعتبره أكثر النقاد أعظم كتاب القصة الايطالية فى أواخر القرن الماضى .. ويقارنون قصته هذه على الخصوص بأدب زولا وموباسان وتولستوى !.. ولد من أسرة كانت تقطن ميناء (قطانيا) بشبه جزيرة صقلية .. فلما بلغ العشرين عبر البحر الى ايطاليا ، يحفزه ظمأ اهل الجنوب الى الظهور والمباهاة والمجد الاجتماعى .. لكن طبيعته الادبية المنطوية ، المتحفظة المترفعة ، عاقته عن أن يصادف نجاحا فى المجتمع الذى طالما استبد به الحنين اليه .. فعاش يحلم بحب النساء الارستقراطيات الفاتنات ، ويحقق على الورق فى قصصه الاولى احلامه الخيالية العريضة بين أحضانهن !..

واشتغل بالصحافة ، فنجح فيها ، وعاش منها .. فقضى العشرين عاما التالية يتنقل بين ميلانو ، وفلورنسا ، ونابولى . وخلال هذه المدة كتب قصصه الطويلة الثلاث : «ايفا» ، «تيجر ريال» ، «ايروس» .. فلما بلغ الاربعين صدف عن الكتابة فى حياة المدن ومجتمعات المترفين وشغف بتصوير احوال أهل الريف السذج البسطاء ، فاصدر مجموعته القصصية التى منها هذه القصة ، والتى صدرها بقصته الاخرى المشهورة «كافاليريا رستيكانا» ، التى اقتبست فيما بعد للاوبرا فخلدت اسمه بين الكتاب الكلاسيكيين العالميين !

الغفيرة المجتمعة فى الكنيسة انه خاطىء ، ويستحق أن يزحف على بطنه ويلعق أحجار عتبتها المقدسة مسافة ستة أقدام !

ولكن دون جدوى !

◆ وفى المرة التالية ، حين جاءته الذئبة لتغويه كعادتها ، قال لها وهو يصر على اسنانه : «اسمعى يا هذى .. اذا جئت الى هـنا مرة اخرى فانى – كوثوقى من وجود الله فوقنا فى السماء – موقن من أنى سأقتلك ! » .. فاجابته فى غير مبالاة : «اقتلنى اذن وعجل ، فلن أستطيع العيش بدونك !»

وجاءته مرة أخرى !.. فلما لمحها من بعيد مقبلة بين حقول الحنطة الخضراء ، ترك عمله فى الكرم ومضى ليتناول فاسه من تحت الشجرة . ثم راته الذئبة يتقدم نحوها شاحبا ، جاحظ العينين ، والفاس تلمع فى يده ..!

لكنها لم تبطىء من خطاها ، أو تخفض من ناظريها ، بل مضت ميممة نحوه .. وعيناها السوداوان فى عينيه !

– « آه .. لعنة الله عليك ! »

واهوى عليها .. !

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعداد السابقة من كتابى ـ فى هذا الباب ـ الكتب النفسية التالية : «كيف تصارح اولادك وبناتك بالحقائق الجنسية» للعالم النفسانى ماكدونالد لاديل .. ثم «طريق السعادة الزوجية» لفردريك برينك .. و«مركب النقص ـ اسبابه وعلاجه وامثلته عند العلماء» تاليف و.ج. ماكبرايد .. و«حواء الجديدة ـ مرشد المرأة العصرية المستنيرة الى سعادتها ، قبل الزواج وبعده» للدكتور كورتنى بيل .. و«كيف تقهر الخجل» تاليف س.هـ. ليار .. ثم «كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة» تاليف جون كنيدى .

وفى الاعداد الخمسة الماضية قدمت لك من فنون الحياة التى شرحها الاديب العالمى اندريه موروا : فن الحب ، ثم فن الزواج ، وفن الحياة العائلية ، ففن الصداقة ، واخيرا فن العمل .. واليوم اقدم لك فنا سادسا هو فن الزعامة وقيادة الشعوب والجماعات .. يليه فى الاعداد القادمة باذن الله : فن السعادة .. فن الشيخوخة .. فن التفكير الخ


L'ART DE
CONDUIRE LES
HOMMES
PAR
ANDRÉ MAUROIS
اندريه موروا
فن الزعامة
«قيادة الشعوب.. والجماعات.. والأفراد»

الزعامة أنواع ..

الزعامة التي يقصدها « أندريه موروا » في كتابه هذا هي الزعامة بمعناها الاعم الشامل : زعامة السياسي على أتباعه .. وزعامة قائد الجيش على ضباطه .. وزعامة صاحب العمل على مرءوسيه .. وزعامة مدير المؤسسة أو الادارة الحكومية على موظفيه .. وزعامة ناظر المدرسة على مدرسيه ، والمدرس على تلاميذه .. الخ

فكل من هؤلاء « زعيم » في قومه . يلزمه أن يتقن فن زعامته ، أو فن قيادة وتوجيه مرءوسيه وأتباعه على الصورة التي تحقق الصالح العام ، للشعب ، أوالجيش ، أو المؤسسة ، أو المدرسة .. الخ

وانه ليسر « كتابي » ، وقد تخلصت البلاد من أحزابها السياسية العتيقة التي نخرها سوس الفساد والتعفن ، أن يساهم في البناء الجديد بهذه اللبنة المتواضعة التي تعرض للضوء في هذه المناسبة آراء فيلسوف عالمي مرموق المكانة : هو أندريه موروا

كل عمل محتاج الى زعامة ..

◆ **لا يحسن** الناس الاضطلاع بعمل وانجازه على خير وجه، ما لم يقم من بينهم من يتولى توجيه جهودهم جميعا نحو الغاية التي ينشدونها .. وتتجلى هذه الظاهرة أوضح ما تكون في الاعمال التي تتطلب تكاتفا منسقا .. فلن يقدر لشرذمة من العمال أن تمد خطا حديديا ــ مثلا ــ ما لم يرأسها شخص يشرف على حركاتها .. اذ أن كل عمل جماعي يعوزه التوجيه ، كفيل بأن ينقلب سريعا الى فوضى يفتقد فيها النظام .. ولعل من أتيح له القتال يوما في الميدان ، قد أدرك ضرورة وجود قائد يتولى الامر .. وهذا الذي يصدق على الجيش ، يصدق على العمل في أحواض السفن، وفي المصانع، وفي ادارات الصحف، وفي الدولة بأسرها .. فلا بد من رئيس حينما كان على الرجال أن يعملوا معا .

وما أن يظهر الرئيس ، وتسيطر الزعامة وتنتظم ، حتى يحل النظام محل الفوضى ·· وان انقياد الامة للنظام، أو تمردها عليه، لرهن بما يكون لحكومتها من قدرة على الحكم أوعجز عنإقراره ··

تمهيد تاريخي

◆ **ولم** تستطع الانسانية خلال تاريخها الطويل أن تبتكر من أساليب اختيار الزعماء سوى عدد ضئيل ·· وأقدم هذه الاساليب طرا ، هو نظام الوراثة ·· وقد كانت القبائل الرحالة في قديم الازمان تختار الابن الاكبر لزعيمها المتوفي كي يخلفه ، ولولا نظام « الابن الاكبر » لتعرضت الجماعـــة لحروب بين الاخــوة ، تعقبها الفرقة والضعف والانحلال ·· أما بالنسبة للدول فان انتقال السلطة ـ بالوراثة ـ يتم بسلام في الملكيات العريقة ذات الجلال والاحترام ، اذ يحظى وارث الزعامة بتقدير رعاياه ، مما يهيىء له ـ الى جانب السلطان ـ امتيازا طبيعيا تجل أهميته عن كل تقدير ·· والى مثل هذا الامتياز يعزى سمو مكانة صاحب العرش في انجلترا ··

وقد أدرك « نابليون » هذه الحقيقة فرغب في أن ينشىء من سلالته أسرة مالكة، اذ أدرك أن الملك يظلملكا ولو مني بالهزيمة، في حين ان الامبراطور الذى ينشىء عرشه بنفسه يظل بحاجة الى انتصارات مستمرة لتعزيز سلطانه ··!

وما يصح في الدول ، يصح أيضا في مؤسسات الاعمال التي ظلت أجيالا عديدة تحت اشراف أسرة واحدة ·· **والخطر الاوحد لتوارث السلطة ، هو أن الابن الاكبر للاسرة ـ سواء في ميدان الحكم أو ميدان الاعمال ـ قد يكون امعة أو ناقص العقل ، فهل حتم أن تسلم مقاليد الامة أو العمل الى زعامة عاجزة ؟** ·· الواقع أن ليس ثمة ما يحتم ذلك ، وقد عمدت بعض البلاد ـ التي يمارس الحكم فيها بالوراثة ـ الى التجاوز عن الوراثة عند ما كان وارث الزعامة يبدو غير أهل لها ·· من ذلك أن البرلمان الانجليزى

عدل نظام وراثة العرش مرارا ٠٠ كما أن من كبار رجال الاعمال فى الولايات المتحدة من أقدموا فى حياتهم على اجراءات للحد من السلطة التى قد تؤول الى غير الاكفاء من أبنائهم ٠٠!

الزعيم بالوراثة ، أو بالانتخاب ، أو الامتحان !

◆ **وأهم** ما يجب أن يتوفر فى الزعيم عند اختياره أن تكون زعامته موضوع اعتراف من الجميع ٠٠ فان جميع الزعماء الذين تكون زعامتهم موضع تشكك ، يفتقدون القوة والنفوذ ٠٠ ومن ثم وجب أن يكون للزعيم الذى ينتخب ، نفوذ لا مراء فيه على أولئك الذين آثروه بالاختيار ٠٠ على أنه كثيرا ما يحدث أن ينتخب شخص لصفات غير تلك التى تتطلب فى الزعيم ـ كأن يكون لبقا أو طيب النفس ـ فلا يلبث أن يكشف عن ضعف وقلة شأن ٠٠ كذلك قد يحدث فى الامة التى تفرقها الاحزاب ، أن لا يمثل الزعيم المنتخب سوى قسم يزيد قليـــلا عن نصف الناخبين ، فاذا ما أبغضه القسم الآخر ، نشأ عن ذلك موقف يهدد الدولة بالخطر ٠٠ وكم من دولة كبرى رأيناها حائرة ، متخاذلة ، لان الاغلبية فيها انتخبت زعيما لا يحوز ثقة الشعب بأكمله ٠٠

وتزداد خطورة انتخاب الزعيم حين يقتصر الامر على جماعة صغيرة ـ لا دولة ـ فهنا يمارس الزعيم سلطته مباشرة ٠٠ وكذلك الحال حين يتحتم اعادة انتخابه فى فترات معينة ، اذ كيف يستطيع فى هذه الحال أن يحظى بطاعة أولئك الذين سيتملقهم بعد قليل ليظفر بأصواتهم ؟

ولقد كانت الصين فيمـــا مضى تختار حكامها عن طريق امتحانات ، اذا اجتازوها بنجاح فازوا باجازات ومناصب ٠٠ وتتبع هذه الطريقة فى فرنسا اليوم ، الى حد ما ، اذ يتعين على الفرنسى أن يجتاز امتحانات معينة كى يفوز بمناصب الجيش، والسلك الديبلوماسى ، ومعظم الادارات الحكومية الاخرى ٠٠ وهذه طريقة عادلة فى ظاهرها ، اذ يخضع المتنافسون فيهـــا

لظروف واحدة .. ولكنها - فى واقعها - تنطوى على عيوب جسيمة ، اذ أن تحديد السن فى الامتحان قد يضيع الفرصة على رجل منى ببطء النضوج العقلى .. فلا يشفع له أن يثبت حين يبلغ الاربعين من عمره انه زعيم حاذق .. ذلك لان صفات الزعيم الصالح قد تبقى كامنة ، لا تظهرها حتى الامتحانات في الغالب ! ولذا نجد « بول فاليرى » لا يتردد فى القول بأن الانتخابات والشهادات هى أكبر عيوب عصرنا ..

ولا يكتمل نظام الاحتكام الى الامتحان لملء المناصب ، الا اذا تكرر عند كل ترقية جديدة تكون موضع تنافس - وهذا هو المتبع في مهنة الطب فى فرنسا ..

هل يكون كبر السن فيصل التفرقة ؟

◆ **ولا يحتاج** نظام الاعتماد على كبر السن فى اختيار القادة ورجال الحكم ، الى كثير شرح .. فمن المسلم به ان النـاس يكتسبون خبرة وتجربة كلما تقدمت بهم السن - ما لم يكونوا أغبياء أو بلهاء أو أغلقت عقولهم دون المعرفة والعلم ! - على أن أحدا لم يزعم يوما أن شـــهادات الميلاد تكفى لاختيار أفضل المسنين على كثرتهم .. ومن ثم لا يمكن اعتبار كبر السن شرطا مطلقا فى التعيين للمناصب ..

ويبدو أن خير طريقة معقولة هى أن يتولى الرؤساء أنفسهم اختيارمساعديهم التالين لهم مباشرة، اذ أنهم سيكونونمضطرين الى الاعتماد عليهم ، والى تحمل مسئولياتهم .. فالحاكم الذى ورث السـلطان ، أو الرئيس المنتخب ، يختار رئيس وزرائه بموافقة جمعية تشرف على تصرفاته أو برلمان.. ورئيس الوزراء يختار بدوره وزراءه .. وهؤلاء يختارون موظفى اداراتهم .. وهكذا يتألف جهاز الحكم بشكل هرمى معكوس ، يبدأ عند الرأس وينحدر الى القاعدة !

والواقع ان هذا النظام صالح ما صلح البشر .. وهو يقوم

على مبدأ حكيم ، ولكن تطبيقه غير ميسور من الوجهة العملية ، اذ أننا اذا استثنينا مناصب رئيس الدولة وعـدد من الوزراء السياسيين ، **نجد ان التعيين فى جميع الوظائف ـ بما فيها تلك التي تتطلب دراية علمية ـ يجب أن يقوم على أسس من القيم الفنية والامانة الخلقية ·· فمن مصلحة البلاد ـ وبالتالى من يحكمونها ـ أن يكون قائد الجيش أو مدير السكك الحديدية ممن لا ترقى اليهم الشبهات ، مهما كانت آراؤه السياسية مثلا ·· ومهما كان أصدقاؤه أو علاقاته ··**

ولكننا لانستطيع أن نجرد البشر من العواطف القوية ·· ومن ثم نجد الصداقة والقرابة والزمالة السياسية تلعب دورا فى ملء المناصب ، وهى ظاهرة يؤسف لها أحيانا ·· ومن ثم وجب أن نحاول أن نسيطر على أنفسنا وغيرنا ، حتى لا تضيع المواهب فى غمرة العواطف !

وهناك حالات يبلغ فيها الارتباك بالامة درجة تبعث على اليأس والقنوط ·· وفى هذه الحالات ، لا يختار الزعيم أحد ، وانما تختاره الظروف ·· من ذلك أن « كروموبل » لم تعينه سلطة عليا حين قفز الى زعامة انجلترا ، ولم يكن سوى شخص مغمور على رأس شرذمة من الفرسان !·· ولقد جعلت الثورة الفرنسية من « بونابرت » قائدا ، فجعل هو من نفسه زعيما للامة ·· الى غير ذلك من الامثلة التي تتكرر فى جميع الشعوب وجميع العصور ·· ومن الواضح أن الزعيم الذى يفوز بمكانته عنوة ، لا بد وأن يكون حائزا للصفات اللازم توفرها للزعامة ، والا ما استطاع أن يحصل على السلطة ·· واذا كانت ثمة صعوبة ، فانما تتمثل فى تعرف ما اذا كانت مواهبه تؤهله لان يكون زعيما قوميا ، أو مجرد زعيم حزبى ··

وعندما يظفر زعيم لنفسه بالسلطة تنبت مشكلة من يخلفه فى زعامته ·· ولقد خلف « كروموبل » ابنه ولكنه لم يبق فى

الحكم طويلا .. ومات ابن « بونابرت » فى منفاه بعيدا عن الوطن .. وأبغض خليفة « لينين » أعمال سلفه فقضى عليها ..

نخلص من كل هذا الى أن اختيار الزعيم مشكلة لم تلق حتى اليوم حلا حاسما ، اذ يعتمد كل شيء على الظروف الماضية وأهداف الامة فى مستقبلها .. على أن الزعيم لا يستطيع أن يبقى فى زعامته — سواء كان قد نالها بالانتخاب أو بالتعيين ، وسواء فرض على أمته بحكم مولده أو بقوته — ما لم يكن حائزا لتلك الصفات التى تتطلبها الزعامة .. والتى نشرحها فيما يلى:

الحزم والصرامة من لوازم الزعيم

◆ **تتمثل** رسالة الزعيم فى توجيه أعمال سواه ، ومن ثم كان لزاما محتوما عليه أن يعرف الى أى هدف ينتوى أن يقودهم .. واذن فأهم صفة يجب أن تتوفر له هى قوة الارادة ، اذ يجب أن يدرى كيف يتخذ القرارات وكيف يتحمل تبعاتها .. ومن الطبيعى أن عليه قبل أن يتخذ قرارا ، أن يلم بكافة المعلومات المتعلقة به ، وأن يتدبر جميع الظروف .. فاذا ما انتهى الى القرار وأصدر أمره به ، وجب أن يصبر عليه ويتمسك به ، ما لم تعترضه عقبة كأداء لم تكن فى الحسبان .. فليس أدعى لتثبيط همم الاعوان من رئيس متردد .. وقد قال نابليون فى هذا الصدد : « ان الحزم يغلب كل شيء .. »

ولا بد للزعيم من شجاعة أدبية عارمة كى يتخذ القرارات ، فانها كثيرا ما تكون مؤلمة له .. كما حدث للقائد الفرنسى « جوفر » فى بداية حرب سنة ١٩١٤ ، حين اضطر الى أن يقصى عن الجيش عددا كبيرا من القادة الذين كانوا أصدقاء له !.. ذلك لان سلامة الكثيرين ، تتطلب أحيانا التضحية بنفر قليل من الرجال .. وللزعيم أن يكون صارما ، بل أن الصرامة واجبة فى بعض الاحيان ، غير انه لا ينبغى له أن يكون شريرا ، أو قاسيا ، أو متعطشا للانتقام .. وعليه أن يزدرى لغط القول ، وأن يحرمه ان استطاع ..

النزاهة ألزم للزعيم من الذكاء ..

◆ **ويجب** أن يحيط الزعيم نفسه بهيئة من الاعوان المخلصين الدين يتولون عنه القرارات غير ذات الاهمية الخطيرة ، على أن لا يدعهم يطغون عليه ، أو يدع تصرفاتهم تحجب تصرفاته .. وليختر لتنفيذ أوامره طائفة من الفنيين يصطفيهم ويودعهم ثقته، ويبيح لهم حرية التصرف ، مكتفيا بأن يراجع ما يوافونه به من معلومات بين آن وآخر ليستوثق من صحتها ودقتها ..

والزعيم المجرب الخبير يدرك أن ليس فى طوقه أن يقتفى كل صغيرة وكبيرة من أعمال كل واحد من أعوانه .. وانما ينبغي أن يقتصر – لا سيما فى المسائل الاقتصادية – على أن يبين بعض الاتجاهات العامة ، وأن يصر على احترام المصالح الخاصة صونا للمصالح العامة ، فلا يسعى الى أن يضع خطة تعارض النتائج التى لا بد أن تتجه اليها رغبات الملايين .. مثله فى ذلك مثل جندى المرور ، ينظم انسياب حركة المرور ، دون أن يأخذ على عاتقه أن يعين طريقا معينة لكل مركبة !

وعلى الزعيم أن يوقر احترامه فى نفوس مستشاريه وأعوانه، والا أفسح المجال للهواجس والدسائس . ولا سبيل للظفر بالاحترام الا بأن يكون جديرا به .. **والزعيم العظيم هو ذو الشخصية العظيمة ، الذى ينزه نفسه عن المحاباة والمصلحة الشخصية .. ولقد كان « بلدوين » و « بوانكاريه » يفتقران الى الذكاء المتألق ، ولكنهما كانا فوق مستوى الشبهات فى امانتهما واسرافهما فى التدقيق فى المسائل المـــالية .. ولقد وقف « بلدوين » قسطا من ثروته على امته ، ولم يفكر « بوانكاريه » يوما فى أن يستخدم موظفى الحكومة فى مآربه الشخصية ..** كان كل منهما يتصف بتلك الصفات « المستقيمة » التى ينشدها صاحب المصنع فى مدير مصنعه ، أو فى الزوج الذى يرجوه لابنته .. وقد مكنتهما هذه الفضائل الاساسية من أن يكونا

فوبين ٠٠ ولا عجب ، فان الديكتاتور يستطيع أن يفوز بالسلطان اذا ما كان مستقيما وفوق متناول الفساد ٠٠

فليحذر الزعيم من ٠٠ النساء !

◆ **ولا** ينبغي للزعيم أن ينساق لغير عاطفة واحدة : عاطفته نحو عمله ومهنته ٠٠ وعليه أن يكون متحفظا ، وأن يذهب في ذلك الى درجة أن يحيط نفسه بالغموض ٠٠ ولست الومه اذا هو حرص على أن يبدو كشخصيات الخيال أو الخرافات ٠٠ وانا لنرى في قصة كبلينج «الرجل الذي قدر له أن يكون ملكا»، مغامرا استطاع بقوة شخصيته وحدها أن يسيطر على عدة قبائل من أهالى الجبال وأن يغدو زعيمها الاكبر ٠٠ ولكنه ما لبث أن فقد هيبته وعرشه ، حين ساقه ضعفه الى الوقوع في هوى امرأة من رعاياه ، فسمح لها أن تستبين انه ليس سوى ٠٠ رجل من البشر ! وقد قال نابليون : «كم من رجال وقعوا في صعاب لمجرد ضعفهم بازاء النساء » !٠٠

ويسوقنا هذا الى الحديث عن زوجة الزعيم ٠٠ فهي تضطلع بدور شاق ، اذ عليها أن تذود عنه الدنيا بأسرها ، وأن تجنبه أن يتعب نفسه فيما لا طائل من ورائه ، وأن تكبح نفسها عن أن تقترح أي عمل ينطوي على تهور او اندفاع، وأن تجعل له من بيته ملاذا آمنا ، لا دولة أخرى يضنيه حكمها ٠٠ فان البيت أصعب الدول حكما !

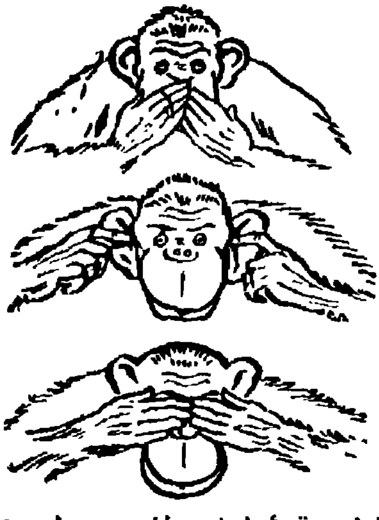
دار الجدل يوما حول أهم الصفات اللازمة للسياسي ، في حضرة « وليم بيت » ــ أصغر سياسي تولى رئاسة الوزارة البريطانية ــ فذكر أحدهم الجد ، وذكر آخر النشاط ، وذكر ثالث اللباقة ٠٠ أما « بيت » فلم يذهب مذهبهم ، بل قال ان ألزم صفة لرئيس الوزراء هي « الصبر » ٠٠ وكان مصيبا ، ولكن الصبر ليس لازما لرئيس الوزراء وحده ، بل هو لازم لكل من يقتضيه واجبه أن يتزعم جماعة من الناس ٠٠ ذلك لان

الغباء عامل يخالط شئون البشر ، والزعيم الحق هو الذى يتوقع دائما أن يصادفه ، فيروض نفسه على احتماله طالما كان غباء عاديا ‥ وهو الذى يدرك أن آراءه ستتعرض للتشويه ، وأن أوامره ستنفذ في اهمال ، وأن الغيرة لا بد أن تدب بين أعوانه، فيحسب لكل هذه الظواهر التى لا مناص منها حسابا ، وبدلا من أن يسعى للبحث عن رجال منزهين عن الخطأ ـ وهو نوع لا وجود له بين الناس ـ ينجه الى الافادة من خير من تحت امرته من الناس ، كما هم فى واقع الامر ، لا كما ينبغي أن يكونوا ‥

النظام ‥ والكتمان

◆ **ومن** أنواع الصبر مواصلة الجهد ‥ فالزعيم الحق لا يخال اذا ما بلغ هدفا أن كل شـــئون دولته قد سويت الى الابد !‥ فليس فى الدنيا استقرار دائم لشيء ‥ وقد أثر عن « نابليون » قوله : « ان أكثر اللحظات خطورة هي تلك التى نصحب النصر ! » ‥ وما من دولة ، ولو كانت غنية قوية ، تستطيع أن تبقى سنين عديدة دون أن تساس على النظام ، والا وقعت أزمتها فى أيدى أسوأ مواطنيها . وهزمتها جاراتها !‥ وانما يخلق بزعيمها أن يدرك أن جهوده لا تثمر نتائج « خالدة»، بل يجب أن يبدأ الجهاد من جديد فى كل صباح ‥!

والحكمة أو التعقل فضـــيلة لا تقل عن الصبر لزوما ‥ وقد قال ريشليو ان « الكتمان هو روح الشئون القومية » ‥ وفقد تشارلس الاول ـ ملك انجلترا ـ عرشه ورأسه نتيجة عدم حكمته ، اذ بلغت به الغفلة أن أفضى الى زوجته الفاتنة بخطة وضعها للتخلص من نفر من أعضاء البرلمان ، فأفضت بها بدورها الى وصيفة كانت موضع ثقتها ‥ وكان لهذه أصدقاء بين غرماء الملك ، فبادرت الى انذارهم !‥ وهكذا وجد الملك ـ حين حانت ساعة العمل ـ أن صيده قد فر ، وان الشعب قد هب مشهرا سلاحه ‥ ومن هذا نستخلص العبرة التالية : « لا تقل الا القول الضرورى ‥ ولا تفضِ الا لمن ينبغي الافضاء له ، وحين



يكون ذلك الافضاء واجبا » ..
ومن ثم كان الصمت مرغوبا، فالكلام يفضح الافكار ، ويبدد شجاعة المرء.. وهو بالاختصار، يقضى على التركز الذى لا غنى عنه ..

وليس من شك فى أن من أصعب الامور على الزعيم أن يوفق بين التحفظ والوقار اللازمين لمركزه، وبين الانس والود اللذين يعوزانه عند اختيار أعوانه .. ولكن من السهل التغلب على هذه الصعوبة بالحصافة التى تودعها الطبيعة أولئك الذين يولدون ليحملوا التبعات الجسام ..

الشجاعة .. والصحة !

يضاف الى هذه الصفات جميعا : الشجاعة الجسدية ـ الفضيلة الوحيدة التى تحول دون النفاق ـ والصحة .. فان الصحة الجيدة تزيد الزعيم نفوذا وقوة ، وتيسر له الاسباب لكى يكون صبورا ، دائب العمل ، قوى العزيمة .. ولقد كان من أعظم صفات المارشال « جوفر » شهوته للطعام ، وقدرته على النوم حينما يطلبه .. فان التوازن البدنى يهيىء للعقل اليقظة والمبادرة ..

و « الهدوء البارد » أهم صفة لمن يقدر له الحكم .. ويؤثر عن القائد الفرنسى « جالييني » انه بعد أن أصدر أوامره فى الميدان ، فى احدى المعارك ، تحول يقرأ كتابا .. فلما عجب « بييرلوتى » من هذا التصرف ، وكان بعد شابا ، قال له جالييني :

ـ لقــد فعلت كل ما فى طوقى ، وآن لى أن أنتظر وأرقب ما يجرى٠٠ وخير لى أن أفكر ـ خلال الانتظار ـ فى شيء آخر٠٠' وكانت هذه طريقة نافعة لتصفية الذهن وحفظ اتزانه ٠٠

الذكاء ٠٠ والثقافة ٠٠ وسرعة البت

◆ **واذا** كان للخلق الاهمية الاولى ، فان الذكاء لا يقل عنه لزوما ٠٠ ومن الامور المرغوبة للزعيم أن يكون واسع العلم ٠٠ فالتاريخ والشعرينميان معرفته بأحاسيس البشر ٠ والثقافه نتيح للرجل العامل الفرص كى يسترد هدوءه بين وقت وآخر ، اذ تضع تحت امرته نماذج للصفاء الذهنى ، فضلا عن أثرها فى توسيع أفق التفكير ٠٠

وينبغي أن يحتفظ ذكاء الزعيم بالبساطة والصفاء ٠٠ فمن المتعذر الاقدام على اتخاذ قرار أو عمل اذا كان الذهن مليئـــا بالنظريات والمشروعات المعقدة ٠٠ والمصنع الذى ينكب بتنظيم « معقد » لا يقل تبديدا للمال عن المصنع غير المنظم اطلاقا ٠٠ وكذا نجد أن المشروع الذى يديره رجل واحد ، يفوق المشروع الكبير ، لان نفقاته تقل عن نفقات هذا ، فى حين أن منتجاته تفوق منتجات الاخير جودة ٠٠ ومن ثم وجب على الزعيم أن لا يعتنق سواه مبادىء قليلة بسيطة ، يستخلصها من التجربة ، ويعززها التطبيق ٠٠

ويجب على الزعيم ان يعرف كيف يستخدم عقول سواه ٠٠ وقد قال ريشليو: « على المرء ان ينصت طويلا ، وأن يتكلم قليلا ، اذا شاء أن يحكم أمة كما ينبغي للحكم ان يكون ! » ٠٠ على ان الانصات لا ينبغي ان يكون الا لاولئك الرجال الذين يؤتون الدراية الدقيقة ٠٠ والصمت خليق ان يفرض على الثرثارين الذين لا ينطقون الا لغوا ٠٠!

وينبغي أن يكون الزعيم سريع البت فى الامور، فالوقت عامل هام فى كل عمل ٠٠ وان مشروعا غير كامل يشرع فى تنفيذه فى

الوقت المناسب ، لأفضل من مشروع كامل يأتي تحقيقه متأخرا .. وأحيانا يكون الوقت من الاهمية بدرجـــة تجعله موضوع الاعتبار الاول ..

◆ **ويتصل** الزعيم بأعوانه بثـــلاث طرق : بالاوامر التى يصدرها ، وبالتقارير التى يتلقاها ، وبجولات التفتيش والتفقد التى يقوم بها ..

ويجب أن يكون الامر الذى يصدره الى مرؤوسيه واضحا ، قبل كل شىء .. فقد يجوز أن يكون التفكير مبهما ، وأن يكون فى المشروع شىء من الخيال ، ولكن « الامر » يجب أن يكون دقيقا .. فكل الاوامر عرضة لان يساء فهمها ، ومن باب أولى ، فان الامر المبهم عرضة لان لا يفهم اطلاقا .. **والزعيم الحكيم هو الذى يقر بأن الذين يفهمون بين الناس قلة ، وأن كل امرىء ـ في الغالب ـ مهيأ للنسيان .. ومن ثم وجب على الزعيم ان لا يقتصر على اصدار الاوامر ، بل ويراقب تنفيذها ، وان يتدبر عند اصدارها كل احتمال قد يقضى على مفعولها . .فليس لغباء المخلوقات ولا لسوء الحظ حدود .. والشىء غير المرتقب هو الذى يحدث دائما .. ومن ثم فان الزعيم الذى يعمل على احباط عوامل سوء الحظ ، والذى يحصن نقاط الضعف فى مشروعاته ضد الغباء ، يكون أكثر قدرة على فرض ارادته ، ممن لا يعبأ بهذه الاجراءات ..**

على أن هذه الاحتياطات تغدو أقل لزوما ، حين يوفق الزعيم فى أن يجمع حوله أعوانا دلته تجاربه على أنهم أهل لثقته .. ومن ثم نرى لكل زعيم قومي وزراءه، ولكل قائد أركان حربه.. وهؤلاء الاعوان يمتازون بأنهم يألفون الغريب من صفاته ، فهم يعرفون كيف يخدمونه ، وهم يفهمون على الفور أوامره ، ويعنون بتنفيذها بحرفيتها .. على أن العالم لم يؤت من الرجال الذين يمكن الركون اليهم سوى قلة ضئيلة . وقد قيل عن الرئيس

« ويلسن » انه كان يؤمن بالانسانية عامة ، لكنه كان يضن بثقته على الافراد ٠٠ أما الزعيم الصادق، فهو الذى لا يثق بالانسانية، ولكنه يثق بنفر قليل من الناس ٠٠

فكيف يختار هؤلاء الناس ؟٠٠

◆ **ان** من واجبات الزعيم أن يأتلف بالجماعات التى يستطيع أن يجند منها لنفسه أعوانا ٠٠ ولقد كان « جامبيتا » يجوس خلال كل بقعة فى فرنســا حتى يتعرف على رؤساء الاقلام الحكومية !٠٠ ومن واجب الشخص الذى يحظى بشرف حكم أى بلد ، أن يسعى لاكتشاف خير رجال هذا البلد ليبوئهم المناصب الحكومية الهامة ٠٠ وهـــو يجب أن لا يقتصر على الافادة من الموجودين منهم، بل ان عليه أن يكتشف عناصرجديدة٠٠ وتتولى الاحزاب السياسية ، فى بعض البلاد الاجنبية ، هذه المهمة ــ كما يفعل حزب المحافظين فى انجلترا، الذى يكلف بعض أعضائه بأن يظلوا على اتصال بالجامعات الكبرى ، أملا فى العثور على شبان يمكن أن يتحولوا يوما الى ساسة ٠٠ ولديهم مدرسة لتدريب هؤلاء تدريبا خاصا ، فاذا أظهروا ذكاء وتألقا ، سعى الحزب حتى يحصل لهم على مقاعد فى البرلمان ، وأقدم رئيس الحكومة على أن يتيح لافضلهم شيئا من التجربة بأن يتخذ منهم سكرتيرين برلمانيين ثم لا يلبث أن يجعلهم وكلاء وزارات ٠٠ ومعنى ذلك أن من واجب رئيس الحزب أن يعنى بتكوين « طبقة » حاكمة ، وكذلك الحال بالنسبة لرؤساء الشركات أوالمؤسسات الكبرى٠

وكثيرا ما يكون من الصعب خلق تفاهم تام بين الاعوان ٠٠ على أنه يجب أن لا تقوم للخيلاء ولا للعصبية المحلية ــ أى اعتزاز كل ادارة بنفسها ــ قائمة فى أية ادارة ، بحيث تعادى بقية الادارات ٠٠ ولك أن تتصور حال السكك الحديدية اذا قامت خلافات بين الادارة وأقسام الحركة ٠٠ أو حال الجيش اذا دب نزاع بين القيادة والضباط فى ميدان القتال ٠٠ ومن ثم كان

من المهم أن يفهم كل امرىء أن الجيش أو المصنع أو الدولة نسبه في مجموعها جسدا حيا ، منفصلا ، اذا تنازعت أجهزته بعضها مع البعض كان فى ذلك « انتحار » أدبى له ٠٠ !

وكثيرا ما يحدث أن تدب الغيرة والحسد بين الاعوان الذين يكنون لرئيسهم اعجابا فائقا يحفزهم على أن يجدوا في العمل من أجله ٠٠ اذ يشتد طمع كل منهم فى أن يحظى بالاثرة لديه ! ومن ثم كان على الزعيم أن يتوقع هذه المواقف الشائكة، وأن يعالجها ، اذ أنها تتهدد كفاية « فريقه » بأبلغ الاخطار ٠٠ وكما يستطيع سائق السيارة الخبير أن يحدس أى خلل فى محرك سيارته بالانصات الى صوته،كذلك يشعر الزعيم ـ الذى فطر على الزعامة ـ بتحول أتباعه عن الاخلاص له ، فيبحث عن السبب ويصل اليه !٠٠ وغالبا ما يكون السبب تافها ٠ وقد يهز أحدهم كتفيه بدافع من حركة عصبية ، فيسىء آخر فهم حركته ويظنها مقصودة لاهانته !٠٠

أثر الاتصالات الشخصية !

ويتلقى الزعيم عادة تقارير عن الروح المعنوية والنفسية لاعوانه ، وعن نتائج الاوامر التي يصدرها ، ولكنه دائما لا يثق فى هذه التقارير ٠٠ اذ أنها قد تشتمل على معلومات مغالى فيها ، أو مشوهة ، أو ناقصة ٠٠ **والطريقة الوحيدة لتفادى الوقائع الخاطئة ، هي التفتيش الشخصى من آن الى آخر ، فان هذه الزيارات تكون ذات آثار عجيبة ، اذ تعقبها فى الحال تقارير لحمتها الصدق وسداها الدقة** ٠٠ وقد روى المارشال بيتان انه تولى فى سنة ١٩١٥ قيادة قطاع كانت القيادة تصر من أسابيع عديدة على المضى فى مهاجمته ، وكانت النشرات تنبىء عن مغانم ضئيلة وخسائر جسيمة من وراء هذا الهجوم ٠٠ وهدت الحكمة « بيتان » الى أن يرتاب فى الامر ، فذهب بنفسه الى الخطوط الامامية مستصحبا أجهزة المساحة والكشف ، واذا به يرى أن

النشرات كانت تزيف لارضاء القيادة ، وأن المغانم كانت من وحي الخيال ·· ذلك لان التقارير التى ترفع لذوى الامر غالبا ما تصاغ لتلائم ما يهوون ، أو توضع فى قالب يعزز نظريات الموظف الذى يعدها ··

اظهار الثقة والصراحة في النقد ·· لازمان !

◆ **والزعيم** المدقق أقدر على بث روح الحماس للعمـــل مَن الزعيم الذى لا يكترث ·· وخير سبيل الى فرض الشدة هى أن يحيط الزعيم نفسه بأولئك الذين يعرف قيمة مواهبهم دون سواهم·· فان أى رجل قد يسهل عليه احتمال النقد اذا ما تبين بجلاء أن خلقه وذكاءه بعيدان عن أى ارتياب ·· وأحكم مسلك بصدد هذا النقد هو أن يذكر الانسان فى سرعة وقوة ما يشتد بنفسه الشعور به ، فان اللوم القاسى اذا وجه بسرعة ، يكون أقل ايلاما من اظهار الاستياء بالمناجزة والتجهم ·· وجدير بالاعوان أن يتبينوا أن الامر الذى لا ينفذ كفيل بأن يجر عليهم المتاعب·· وانهم براء من الامر الذى يؤدى تنفيذه الى ضرر ، لان الزعيم الحق ، يتحمل دائما كل مسئوليات أعماله ··

والزعيم هو الدافع الطبيعي عن شعبه ضد جشع القوى ، ومن ثم فعليه أن يستوثق من أن أعوانه يعاملون عماله وجنوده بالعدل والاحترام ·· وهذا أصعب قسم فى واجباته ، اذ عليه ـ فى الوقت ذاته ـ أن لا يوهن من نفوذ معاونيه ، أو يحتمل أية اساءة الى سلطتهم ·· وليست ثمة قاعدة لتبيان هذا الامر، وانما عليه ان يعمل بنفسه على حفظ التوازن بين الحالين ··

ومن واجب الزعيم أن يتبين قدر الامكان أى استياء يسرى فى صفوف المحكومين ، وأن يعالج الظلم قبل أن تترامى اليه الشكايات ·· ولكى يتسنى له ذلك ، يجب أن يظل على اتصال وثيق بالرجال الذين تحت امرته ·· وليذهب الى الخنادق ان كان قائدا ، أو ليذهب الى المصنع مع عماله من آن الى آخر ان كان

مديرا ٠٠ وليكن واسع الخيال الى حد ما ، اذ لا بد له من أن يفهم حياة غيره من الناس حتى يستطيع أن يقى أولئك الذين تحت زعامته ، متاعب لا داعي لها ٠٠ ولا سبيل الى كسب ودهم الا بمنحهم الود . والا بأن يكون قادرا على أن يؤدى مهامهم بنفس الاجادة التى يؤدونها بها ٠٠ وقد فطر الناس على احتمال تلقى الاوامر ، بل واستساغتها ، اذا اتبعت الحصافة فى اصدارها ٠٠

توطين النفس على احتمال النقد !

◆ **والحكم** والقيادة فنان يتباينان فى وقت السلم ٠٠ فالقيادة هى تسيير جماعة من البشر تحت حكم النظام الى هدف معين ٠٠ ومن ثم يدرك ضابط الجيش أن رجاله فى طاعته دائما ، اللهم الا فى حالات نادرة يشتد فيها العصيان ٠٠ كذلك هو يدرك هدفه تمام الادراك ٠٠ كما يدرك رئيس أى مشروع تجارى أن عليه أن ينتج سلعة معينة بثمن معلوم وبكميات محددة ، وانه اذا أخفق قضى على نفسه بالخراب وعلى مستخدميه بالبطالة ٠٠ ومن ثم فهو سيد نفسه ــ طالما التزم حدود القانون ــ اللهم الا حين ترتبك الظروف الاجتماعية ٠٠



والديكتاتور كالقائد : يقود بقوة النظام أكثر مما يحكم ٠٠

وعلى رئيس حكومة أية أمة حرة أن يوجه أعمال أية جماعة ــ لا تجد ما يضطرها الى طاعته الا خوفها من الفوضى ــ نحو أهداف مبهمة ، متغيرة ٠٠ وعليه أن يتوقع أنه لا سبيل له الى عمل ما دون انتقاد من معارضيه ٠٠ وكلما قويت رغبتهم فى أن

يضعوا غيره محله ، اشتدت قسوتهم عليه ٠٠ كما ان عليه أن يروض نفسه على أن أعوانه ليسوا مجرد أتباع يجب أن يدينوا له بالطاعة العمياء ، وانما هم سواسية معـــه ، وهم خلفاؤه المرتقبون ٠٠

◆ **والآن** ٠٠ ما الفضائل التي يجب أن نتطلبها في الرجل الذى نأتمنه على تولى أمورنا ؟٠٠

تفادى الاصطدام بالعقبات !

ان الفضيلة الاولى ، هى أن يكون واسع الافق ، قادرا على أن يدرك ما يحتمل وما لا يحتمل ٠٠ ما يمكن وما لا يمكن ٠٠ فليس يجدى فى السياسة أن تصاغ المشروعات العظيمة السامية اذا لم يكن فى الوسع تنفيذها بسبب الحالة القائمة فى الدولة٠٠ والسياسى العظيم هو ذلك الذى يتعرف على البواعث والدوافع التى تحرك الشعب ، ثم يقدر الى أى مدى يستطيع أن يمضى فى طريقه دون أن يصطدم بها ٠٠ ولا يجب أن يسمح لنفسه بأن يحابى طبقة ما ، متغافلا عن رد الفعل الذى لا مفر من أن يثور فى نفوس الجماعات التى يهملها ٠٠ **وانما عليه أن ينظر الى الشعب كجسد حى كبير ، يعتمد كل عضو فيه على بقيـة الاعضاء ٠٠ وكما يفعل الطبيب ، يجب على الزعيم أن يتعرف درجة حرارة الرأى العام كل يوم ، فاذا اشتدت « الحمى » عمل على أن يتيح للبلاد أسباب « الراحة » فترة من الوقت ٠٠**

وكما يقدر السياسى الماهر قوة الرأى العام تقديرا تاما ، فانه يدرى أيضا أن من الميسور له أن يؤثر عليها ٠٠ فهو اذ يحسب مدى قدرة الناس على أن يظلوا غير مبالين بأعماله ، يجب أن لا يغفل ان لهم لحظات عنف ، وأن احتجاجاتهم الغاضبة تكون مشروعة اذا كانت تصرفات الحكومة تجر عليهم الفقر ، وتذهب بحريتهم التقليدية ، أو تتدخل فى حياتهم الخاصة بدرجة كبيرة ٠٠ **على أنهم لا يتوانون عن أن يسلموا قيادهم**

لرجل يدرك الى أين يسير ، ويريهم بوضوح انه يضع مصلحة الامة نصب عينيه ، وأن لهم أن يثقوا به ويركنوا اليه ٠٠

وليس تقدير طاقة الشعب وامكانياته هو مجرد القدرة على الاعتراف بأن ثمة أشياء مستحيلة ٠٠ فهذه فضيلة سلبية ٠٠ وانما الفضيلة الايجابية أن يقدر الرجل الشجاع أن هناك أمورا ممكنة وان بدت شديدة الصعوبة٠٠ والسياسى العظيم لا يكتفى بأن يقول : « ان هذه الامة ضعيفة ٠٠ نائمة ٠٠ ولسوف أوقظها ٠٠ ان القوانين والمبادىء والافكار من صنع الناس ، ومن ثم فسوف أغيرها اذا دعت الضرورة » ٠٠ وانما يجب قبل كل شىء ، أن لا يكتفي بالكلمات ، بل يتبع العزم بالعمل ٠٠ وأن يقدم على تحقيق الاهداف التي يحددها ويعينها بدقة ، بالطرق التى تبدو له ٠٠ فاذا اعترضته عقبات وجب أن يلف حولها ٠٠ فان الغرور ، والاعتزاز بالعقل ، والتحمس للاسلوب ، من أخطر العقبات التى تعترض طريق السياسى ، حتى لنجد بين زعماء الاحزاب من لا يتورع عن تضحية بلاده فى سبيل نظرية أو مجموعة من المبادىء ٠٠ فى حين أن الزعيم الصادق هو الذى يقول : « لندع المبادىء كى ننقذ الامة » ٠٠

◆ **وينبغى** أن يكون الزعيم واقعيا ٠٠ فليس فى وسع « نبى » من الانبياء أن يحول جماعة من الناس الى رجال ونساء كاملى الاستقامة !٠٠ وانما حسب السياسى العظيم أن يكون مثل صاحب المتجر الحكيم ، الذى يدرك أن عليه أن ينظف متجره كل صباح ٠٠ واذا ما وقعت مشاجرة ، تحملها فى صبر وهو يوطن نفسه على أن أخرى لن تلبث أن تنشب بعد أن تخمد هذه !٠٠ وهو يوافق على أية تسوية أو صلح ولو لم يكن مرضيا ، أو كان مجرد حل مؤقت ، لانه يدرك أن لا شىء يدعو الى الرضى التام ، أو يستمتع بالدوام ، فى شئون البشر ٠٠ وأن السلام (الدولى أو الاجتماعي) لن يلبث أن يقترب مهما

يكرر تأخره .. ولن تمضي عشر سنوات أو عشرون ، ثم تت. مهمة جيله .. ولا يلبث الجيل التالى أن يتسلم العلم ليواصل حمل الرسالة ..!

من حق الزعيم أن يعطى فرصة كافية ..

◆ ومن حق الزعيم ـ الجدير بلقبه ـ أن يطاع .. والشعب الذى لا يستطيع احترام زعماءه يقضي على نفسه بالدمار ، اذ يغدو عاجزا عن اتيان أى عمل .. وقد يؤثر المجتمع نظاما للحكم على نظام آخر ، كأن يستبدل بالحكومة المدنية أخرى عسكرية، وعندئذ يصبح الولاء للزعيم المختار فرضا واجبا .. اذ أن نقص النظام كفيل بأن يقضي بالهزيمة على أى جيش ، وبالخراب على أى صاحب مصنع ..

كذلك من حق الزعيم أن يطمئن الى احتفاظه بزعامته ، اذ لا سبيل له الى تحقيق نتائج طيبة ما لم يتح له الوقت الكافى.. فينبغي أن يمنح وقتا يمكنه من أن يكتسب خبرة وتجربة ، وأن يظل فى زعامته ما لم يتضح أن الشعب قد اخطأ الاختيار ، وأن المختار غير اهل للزعامة ..!

ولكن .. كيف يتسنى التوفيق بين النظام ، وطول أمد تولى الزعيم لمنصبه .. وبين حرية ممارسة حق الانتقاد ؟.. أو لا يحتمل أن ينقلب الزعيم الذى أوتى سلطانا غير محدود ، الى طاغية أو مجنون ؟..

الواقع ان الطاعة يجب أن تكون مطلقة ، سواء فى الجيش أو فى كل الحالات « المدنية » التي تتطلب عملا عاجـــلا ، على العموم .. وليس لاحد ـ سوى القادة ـ أن ينتقد .. أما فى الحياة العادية للدولة الحرة ، فلكل انسان حق الانتقاد ، في حدود تعينها التجربة .. **واذا اقتضت ارادة الامة بوضوح أن تغير زعمائها من وقت الى آخر ، وجب ان يتم هذا التغيير .. ولا يجب ان يكون التغيير متكررا فى اوقات قصيرة ، أو ان يأتى نتيجة املاء رجل الشارع ..!**

◆ **والتربية الخلقية** ألزم لاولئك الذين يعدون للزعامة ، منها لسواهم ٠٠ اذ ينبغي على الزعيم أن يحرز ـ الى جانب تدربه على الاشراف على زملائه ـ شعورا قويا بالواجب ٠٠ اذ لا سبيل له الى الاحتفاظ بمركزه ما لم يجعل نفسه ـ في كل يوم ـ أهلا لهذا المركز ٠٠ وليس بالزعيم الصالح ذلك الذي يقتصر ـ اذا وضع على رأس جماعة أو مشروع تجارى ـ على السعى لتحسين شئونه الخاصة فحسب ٠٠ لا ولا هو بالقائد الصالح ذلك الذي يقبل عبء الزعامة ثم يضع ملذاته فوق مسئولياته ٠٠ لا ولا ذلك الذى اذا وضع على رأس غيره من الناس ، أطلق لغضبه وعناده العنان ، أو أسرف ـ من ناحية أخرى ـ فى المحاباة والمحسوبية ٠٠ لا ولا ذلك الذى اذا صار اليه نصيب من ادارة السياسة الخارجية لبلاده ، ضحى بالخير الدائم للبلاد ، من أجل الحزازات والدسائس الداخلية ٠٠

ان الدور الذى يجب على الطبقات الزعيمة أن تؤديه ، هو أن توجه ٠٠ أن ترشد الى سبيل الكرامة والعمل ٠٠ فالزعامة ليست امتيازا وتفضيلا ، وانما هى شرف وثقة ٠٠



وينبغي أن يكون شعار الزعيم وأعوانه جميعا أن يعملوا « يدا واحدة»، متكاتفين، متساندين، متكاملي المهام والمسؤوليات، كالجوقة الموسيقية التي يسود عازفيها جميعا التوافق والانسجام ٠٠!

آراء لابن المقفع : الزعيم وصاحب السلطان

٠٠ اما وقد عرفت آراء فيلسوف من الغرب ، فى الزعامة وفنونها ٠٠ فيحسن ان تعرف آراء فيلسوف من الشرق ، فى نفس الموضوع ، كى تقارن بين العقليتين ، والاسلوبين ٠٠ وسترى ان الشبه بين افكار الاثنين كبير !!

◆ **ولاية** الناس بلاء عظيم ٠ وعلى الوالى أربع خصال ، هى أعمدة السلطان وأركانه التى بها يقوم وعليها يثبت : الاجتهاد فى التخير ، والمبالغة فى التقدم ، والتعهد (أى الرقابة والتفقد) الشديد ، والجزاء العتيد (العظيم) ٠٠

فأما تخير الوالى للعمال (الاعوان) والوزراء ، فانه عسى أن يكون بتخيره رجلا واحدا قد اختار ألفا ٠٠ لانه من كان من العمال خيارا (أى طيبا) فسيختار كما اختير ٠٠

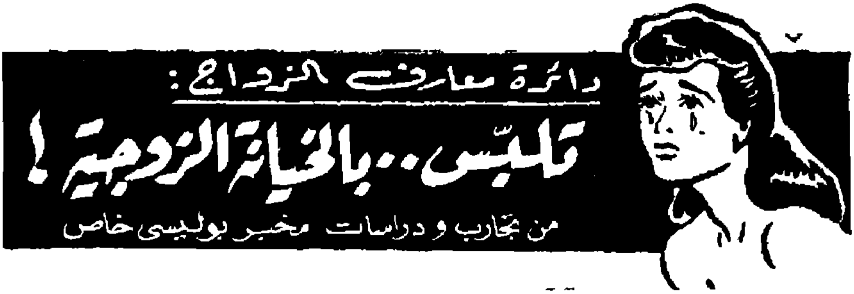
وأما التقديم والتوكيد ، فانه ليس كل ذى لب أو ذى أمانة يعرف وجوه الامور والاعمال ٠

وأما التعهد (أى الرقابة والتفقد) ، فان الوالى اذا فعل ذلك كان سميعا بصيرا ، وان العامل اذا فعـــل ذلك به (أى شعر بالرقابه والتدقيق فى فحص أعماله) كان متحصنا حريزا ٠٠

وأما الجزاء ، فانه تثبيت المحسن والراحة من المسىء ٠٠

وأعمال السلطان كثيرة ، وقليـل ماتستجمع الخصـــال المحمودة عند أحـــد ، وانما الوجه فى ذلك والسبيل الذى به يستقيم العمل أن يكون صاحب السلطان عالما بأمور من يريد الاستعانة به ، وبما عند كل رجل من الرأى والغناء ، ومافيه من العيوب ، كى يوجه لكل عمل من يصلح له ٠٠

ثم على الولاة ، بعد ذلك ، تعاهد عمالهم وتفقـد أمورهم ، حتى لايخفى عليهم احسان محسن ولااساءة مسىء ٠٠ ثم عليهم أن لايتركوا محسنا بغير جزاء ، ولا يقروا مسيئا ولا عاجزا على الاساءة والعجز ، فانهم ان تركوا ذلك ، تهاون المحسن ، واجترأ المسىء ، وفسد الامر ، وضاع العمل ٠٠



◆ «دوجلاس بنتليف» ـ كاتب هذا المقال ـ يكسب عيشه مـن العمل كمخبر خاص ومستخدم مدنى بمكتب «حكمدار» منطقة «لوس انجيلس» بامريكا ، لعلاج قضايا الزواج .. ومع ذلك فهو ازهـد الناس فى التدخل بين اى زوجين على غير وئام ، لانه يؤمن ـ علـى ضوء الخبرة التى اكتسبها ـ ان اشد الخلافات الزوجية استعصاء، يسهل حلها لو ان الزوجين بحثا معا اسبابها فى صراحة تامة منـذ البداية .. فان تفاهم الزوجين كفيل بأن يصون زواجهما من الانهيار !

استغاثة زوجة !

◆ خيل الى ان صوتها يشق «سماعة» التليفون شقا ليخرق اذنى وهى تقـــول :

ـ لقد غادرا الحانة منذ قليل ، واقتفيت أثرهما حتى انتهيا الى فندق خاص .. فاسرع .. فى وسعنا الان ان نفاجئهما متلبسين !..

ـ حسنا .. هدئى من روعك ، وانتظرى ..

وارشدتها الى مقهى قريب من الفندق الذى ذكرت لى عنوانه ، لتنتظرنى ريثما ألحق بها .. اذ كنت قد اعتدت مثل هذا الموقف ، فكلهن ينسقن اليه بنفس اللهفة حين يلجأن الى مشورتى !.. وكانت صاحبة هذا النداء المنفعل قد حدثتنى من قبل عن عدم وفاء زوجها ، وعن رغبتها فى فضح خيانته .. ووقعت عقدا أقرت فيه بأنها استأجرتنى لهذه الغاية .. وكانت موزعة بين الاسى والرغبة فى الانتقام ، ولا تفتأ تردد العبارة الخالدة : «صبرا .. الى ان افاجئه متلبسا !» ..

وها قد حانت لها الفرصة !..

تحبه •• رغم خيانته لها !

◆ وعندما لحقت بها فى المقهى ، اشارت الى سيارته التى كانت مستقره امام الفندق .. واستطعنا ان نفاجئه مع خليلته فى موقف لا يحتاج الى تعليق !.. وعندئذ التفت انا الى الزوجة الثائرة .. كى ارى تاثير الموقف على اعصابها ، وكم كانت دهشتى حين رأيتها لم تنظر الى زوجها ، وانما اشرأبت بعنقها تتامل المراة التى كانت فى الفراش !.. وبعد ان اشبعت فضولها النسوى الى رؤية شكل غريمتها ، تحولت معى مولية ظهرها الى مسرح الماساة ، متجهة فى صمت نحو سيارتى ، وهى تنتحب وتردد : « لا اريد ان أراه ثانية بعد اليوم ! »

.. ولكن بكاءها كان ينطوى على معان اخرى .. لم تخف على !

◆ وصحبتها الى مقهى هادىء .. وكانت قد كفت عن البكاء تقريبا ، وراحت تعدد اخطاء زوجها منذ عرفته ، حتى اذا استذكرت شهر العسل ، لم تتمالك نفسها ، فعادت الى البكاء قائلة : «لا اريد ان انفصل عنه ، فانا احبه .. احبه من كل قلبى .. ولعل حماقتى وافلاطى هى التى ساقته الى هذا المسلك .. لا .. لا اريد ان اتركه ، ولكننى اريد ان اعرف مدى العلاقة التى تورط فيهـــا ..! »

وكان هذا عين ما اعتادت ان تفعله مثيلاتها ممن تملأ قضاياهن الملفات المكدسة فى مكتبى !!

اذا ذهبت الحيرة •• عاد الحب !

◆ والانسان يحار لاول وهلة ازاء هذا التناقض العجيب .. اذ كيف تنشد زوجة العودة الى زوجها ، بعد ان تبينت بعينيها خيانته ؟.. لقد ظلت بطلة هذه القصة اربعة اشهر وهى مفعمة القلب بالالم من مسلك زوجها والحقد عليه ، فكيف تطلب بعد ذلك ان تعود اليه ؟

ولكنهن جميعا يفعلن ما فعلت .. ولعل السر فى ذلك يرجع الى ان نفس المراة منهن تهدأ بعد كشف الخيانة ، فلا تعود تحيا فى غمرة الريب والهواجس، وتتخبط بين الشكوك ، وانما هى تصل الى لحظة التاكد ، فتتخلص من الحيرة ، ويصبح فى وسعها ان تقطع برأى حاسم : اما ان تنفصل عن الزوج الخائن ، واما ان تصفح عنه !.. ويبدو ان التاكد من الخيانة ، اخف على نفس الزوجة من قسوة الشك.. او ـ على الاقل ـ هذا ما خبرته بنفسى خلال السنوات الطوال التى قضيتها اعمل كمخبر خاص .

الزوج يخون وهو كاره !

◆ ولا يقل موقف الزوج عن موقف الزوجة غرابة .. وانك لتخطىء اذا ظننته يترفع عن ان ينشد الغفران ، بعد أن يفاجأ متلبسا بالخيانة .. فالواقع انه يسعى الى التماس صفح زوجته ، اذ ان ضميره لا يلبث ان سنيقظ .. بل انه ربما استيقظ قبل افتضاح الامر ، فان معظم حوادث الخيانة الزوجية تنشأ عن رغبة الزوج في الفرار من عدم الوفاق في البيت .. وعن الرغبة في تجنب الشقاق مع الزوجة ، والتخلص من شكاياتها ولومها و.. «مناكفتها» !

ولا يكون للرغبة الجنسية في اكثر الحالات دور يذكر في هذا الشأن .. فكم من زوج صارحني ان كل لقاء بينه وبين خليلته كان لا يزيد عواطفه الا حنينا الى زوجته !.. ولكن الواحد منهم لا يكاد يتورط في علاقة آثمة ، حتى تتعذر عليه اسباب الخلاص .. ولا يجد سبيلا الى العودة الى زوجته بطريقة تحفظ عليه كرامته .. ومن ثم يظل سادرا في غيه ، عن غير رغبة !.. ومن الغريب حقاً ان الزوج الاثم كثيرا ما يتمنى ان ينكشف اثمه، فتمهد الفضيحة امامه طريق النهاية : اما الى صلح ، واما الى طلاق ..

وفي معظم القضايا التي من هذا النوع ، كنت اتحرى رغبة الزوج الخائن ، ثم أجمع بينه وبين زوجته ، واتركهما يصفيان موقفهما امامي ، دون أن اقترح حلا..

أهم مايجب معرفته قبل الزواج

◆ وترجع القصة في العادة الى أن الشابين يلتقيان .. رجل وفتاة .. فلا يلبثان ان يقعا في الهوى ، ويتزوجان ، وقد وقر في نفس كل منهما انه عرف صاحبه تمام المعرفة .. والواقع انهما يكونان قد غفلا عن معرفة اهم الامور ، فلم يتدبرا الوسيلة لتسوية ما قد ينجم بينهما من خلاف .. ولم يتفقا على حكم يحكمانه بينهما اذا اشتد الشقاق ..

فاذا تطورت الامور الى اسوأ حدودها ، واستدعيت للتدخل بينهما ، يكونان قد بلغا نهاية التردد والتذبذب بين الحلول ، فيجلسان امامي ، ويبدآن في استعراض اسباب الشقاق من البداية ، ليتعرفا سر ما اصابهما ..!

دور الناحية الجنسية في الخلافات الزوجية ..

◆ ومن أكثر الاسباب شيوعا ، الخطأ في التمهيد للعلاقة الجنسية بين الزوجين ، والعجز عن تنظيمها .. فان هذه الناحية من العلاقات الزوجية كثيرا ما تكون غائبة عن ذهن الفتاة عند الزواج ! .. وكم من فتاة زفت الى زوجها وهي أجهل ما تكون بواجباتها .. اذ أن الحواجز التقليدية تحول بين امها او قريباتها وبين مصارحتها وتزويدها بما يكفل لها أن تكون على استعداد لان توفق بين أحلام العذارى ، وما فيها من ترفع عن الجسد ، وبين الغريزة الطبيعية التي لابد من اشباعها بين الزوجين ..

وتكون النتيجة ان تصطدم مشاعر العذراء .. أو ان تروض نفسها على جهل .. أو أن يخفق الزوجان في تنظيم هذه العلاقة بينهما ..

◆ واذكر ان رجلا جاءني يوما يشكو من أن زوجته لم تعد الى دارهما منذ خمسة أيام !

وكان هو شابا في حوالي الثلاثين من عمره ، مقبول المظهر ، متوسط القامة ، عاديا في كل شيء .. وقد اخبرني بانه تزوج قبل عامين ، ولم تشأ زوجته ان تقبع في البيت ، بل أصرت ان تتخذ لنفسها عملا شغل معظم وقتها .. وكانت اذا انصرفت من العمل ، رافقت زملاءها وزميلاتها في سهراتهم، حتى أدمنت على الخمر .. الخ

ومع ذلك فقد كان الزوج توافا الى أن يستعيدها ..!

ودلتني تحرياتي على أن مسلك الزوجة كفيل بأن يحيطها بالشبهات .. فسعيت الى لقائها .. وتحملت كل ما صبته على رأسي من سخط حين اطلعتها على مهمتي وتحرياتي التي تكفي لان تبيح لزوجها ان يطلقها !.. ثم انبأتها بان الزوج المهجور ما يزال باقيا على حبها ، راغبا في أن تعود اليه .. وأن مهمتي هي ان اوفق بينهما !

الصراحة بين الزوجين أساس التعاون

◆ واذ سألتها عن أهم أسباب هجرها اياه ، تبدت عليها الحيرة والارتباك — وهما ظاهرتان تنمان في الغالب عن التردد والاستحياء من الكشف عن المتاعب الجنسية ! — فسعيت الى استدراجها برفق ، حتى استطعت أن احملها على الحديث بصراحة .. واذ ذاك انفجرت باكية ، وراحت تتحدث

وبفيض ، وقد وجدت فى الحديث تخفيفا وتسرية عما كان يثقل على نفسها ..
وهذه ناحية اخرى من غرائب النفس البشرية ، خبرتها فى مهنتى ..
فان الشابة تستحى أن تتحدث عن متاعبها فى الناحية الجنسية ، حتى الى زوجها .. ولكنها ما تكاد تطمئن الى — وانا الغريب عنها — وما تكاد تواجه صراحتى ، حتى تنطلق فى الحديث .. فى صدق وصراحة .. فهى بهـــذا الحديث تستعرض المشكلات وقد جردتها لاول مرة من الاغطية الكثيفة التى تخلعها عليها التقاليد ، وتنقب بينها عن سر فشل حياتها الزوجية !
وكأنما هذا الحديث يزيل غشاوة عن عينيها ، فلا تلبث أن تقتنع بأن من أهم دعائم الحياة الزوجية ، ومن الزم واجبات الزوجة ، أن تصارح زوجها دائما بمتاعبها فى هذه الناحية .. وان تقترح عليه — اذا استدعى الامر — ان يستشيرا طبيبا اخصائيا .. الخ

الصلح فى ٦٥٪ من الحالات !

◆ وكان هذا ما اقتنعت به بطلة قصتى هذه .. فعادت الى زوجها ، وهما الان من أسعد الازواج .. وان كنت أشعر اننى لم أفم بنصيب يذكر فى تحقيق هذه النهاية الموفقة ، فلولا أن كلا منهما كان صادق الرغبة فى تعرف سر مشكلتهما والسعى الى حلها ، لكان الطلاق قد فرق بينهما منذ سنوات..
والواقع اننى كلما عدت الى ملفات القضايا التى تناولتها ، اجدنى ازاء ظاهرة ذات معنى هام ، فان ٦٥ فى المائة من القضايا الخاصة بالخيانة الزوجية، قد انتهت الى صلح بين الزوجين، مهد لتفاهم عميق، واستقرار فى الزوجية..!
ذلك لانه ليس ثمة عملية من الدقة والخطورة كالزواج .. انه شركة قد تنتهى الى افلاس سريع ، لانفه خطأ فى ادارتها .. ومع ذلك « فهو فى افلاسه او ازدهاره ، يتألف من عواطف وصلات انسانية مرهفة .. ويبدو أن أهم اسس الخلاف فيه ، يتمثل فى حاجة الشركة الى أن يبحث طرفاها أمورها معا ، ويناقشا مسائلهما فى صراحة وتفاهم » ويستشيرا أهل الخبرة ان استدعت الحاجة .. ولا يجب ان تستمر الشركة على زغل وعدم رضى وتفاهم بين الشريكين .. ومن ثم فان الزواج المزعزع ، الذى لا يقدم فيه الزوجان على بحث مشكلاتهما معا وحلها سويا فى تفاهم ، لا يمكن أن يكون زواجا ناجحا ، ولا يمكن ان يضفى على الزوجين سعادة ما ..

الخالدون



عظماء .. في غير السياسة

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حياة : ((ديفاليرا)) .. و((غاريبالدى)) .. و((لويس باستير)) .. و((اميل زولا)).. و((ماركونى)) .. و((تشايكوفسكى)) .. ((فمصطفى كمال)) .. وهم من هم من العظماء فى السياسة ، والطب ، والادب، والاختراع .. والموسيقى .. الخ

وفى العدد الماضى قدمت لك القسم الاول من قصة حياة الموسيقى العالمى الخالد ((شوبان)) ، واليوم اقدم لك الشطر الثانى والاخير من حياته وغرامه الفاجع مع عشيقة رجال الفن ((جورج صاند)) ..

وفى الاعداد التالية اعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : لورد بيرون ، شيللى ، براوننج، دانتى .. بيتهوفن، شوبرت .. فولتير، شوبنهاور ، نيتشة ، ارسطو .. بوذا ، كونفوشيوس .. داروين ، اينشتين .. شكسبير ، جوتـه ، اديسون ، فورد .. بلزاك ، ديكنز ، والتر سكوت، ديماس ، دستويفسكى ، موباسان .. كولمبوس ، الاسكندر المقدونى ، بطرس الاكبر ، فردريك ، بسمارك .. مايكل انجلو ، رفاييل ، ليوناردو دى فنشى ، وغيرهم


CHOPIN
By
R. ANTHONY
LEONARD
شوبان
فنه..
وغرامه..
ومأساته

شبابه الباكر ..

◆ فى القسم الذى نشرناه فى العدد الماضى - من سيرة الموسيقى العالمى فردريك شوبان - رأينا كيف هاجر الفنان الشاب ، وهو فى سن العشرين ، من وطنه بولندا وحط رحاله فى باريس - عاصمة الفن ووطن الفنانين - مدفوعا بنصح أساتذته له بالابتعاد عن مركز الصراع الطاحن بين مواطنيه وبين جيش الاحتـلال الروسى ، والسعى الى جو من الهدوء والاستقرار يكفل له التفرغ للانتاج الفنى ..

فلما استقر به المقام فى باريس اقام عدة حفلات موسيقية لـم تحقق له الكسب المادى المرجو ، لكنها لفتت اليه انظار أعلام الموسيقى ذوى النفوذ ، الذين قدموه الى المحافل والدوائر الفنية فى المجتمع الباريسى الراقى .. فلم يلبث أن تهافت عليـه النشء من هواة الموسيقى كى يتعلموا اصولها على يديه . وفتحت له أبواب القصور ليعزف فى حفلاتها الحانه الرقيقة ذات الطابع الحزين ، الذى هـو انعكاس لنفسيته المكتئبة ، ونتيجة طبيعية لعوامل ثلاثة : أولها اصابته بمرض ذات الرئة منذ شبابه الباكر .. وثانيها حنينه العنيف الى وطنه الجريح وقلقه على مصيره .. وثالثها فشله فى غرامياته السابقة، وكانت بدورها ثلاثة ، هى على التتابع : عشقه الجنسى «الشـاذ» لشاب عملاق من اصدقائه .. فغرامه بفتاة من تلميذات معهد الموسيقى تدعى «كونستانتيا جلادكوفسكا» .. ثم حبه لابنة نبيل بولندى هى «مارى وودزنسكا» التى عارضت اسرتها فى زواجها منه ! .. لكن كل هذه الغراميات لم تكن الا بمثابة المقدمة لحبه العظيم للاديبة العاشقة «جورج صاند» .. الذى نروى قصته اليوم :

صـــداقة العمر

◆ **لم تمض** على شوبان فى باريس بضعة أشهر ، حتى بدأ قلقه الفكرى وهواجسه النفسية يخليان مكانهما من رأسه للامل العريض، فى أن تحقق شمس باريس المشرقة ومجتمعاتها اللامعة للغريب الوافد عليها هدفيه : تقوية بدنه الهش ، وشفاء نفسيته المكتئبة !

وكانت فرنسا في ذلك الحين ـ بعد ما استنزفت حروب نابليون من دمائها الغزيرة ـ أشبه بامرأة جريحة من محاربات « الامازون » البواسل عادت الى أسرتها، وبدأت تستمتع بالجيل الجديد القوى من أبنائها الذين يعبدونها وينسجون حولها هالة من الاساطير ، بل ويمدونها بدمهم وقواهم المتجددة · وكان على رأس ذلك الجيل من المتغنين بمجد بلادهم : الشاعران الفريد دى موسيه ، وبودلير ، والموسيقى برليوز ، والاديبان هيجو وبلزاك ·· ثم وفد الى هؤلاء من وراء « الرين » اخوتهم فى الرضاع : هاينريك هاينى ، وفرانز ليست ، ومندلسون·· الخ

فى هذا المجتمع من الفنانين الحالمين الذين واتتهم الجرأة على أن يتخيلوا فيصوروا عالما أفضل ، عاش الفتى البولندى الساهم المريض !·· كان يجلس الى البيانو فيسحرهم جميعا بفنه، بموسيقاه الشبيهة بأبيات الشعر!·· وفى احدى الحفلات التى أقامها الوافد الغريب كان بين الحاضرين « فرانز ليست » أعظم عازفى البيانو فى عصره، والى جواره جلس ساحر الموسيقى « فيلكس مندلسون » ··· فلما بدأ الشاب البولندى فى عزف ألحانه أحس الاثنان كأنهما يسمعان ألحانا من السماء ·· فلما انتهى من العزف افتتحا عاصفة حماسية من التصفيق له ··· وقد انتابت « ليست » على الاثر طائفة من الشكوك والهواجس خشى معها أن يكسف هذا المنافس الخطر ذو الوجه النحيل ضوء عبقريته هو ·· لكن هذه الافكار الانانية لم تلبث أن تبخرت على وهج تحمسه لاكتشاف النجم الجديد ·· وهكذا عاش ليست وشوبان الى النهاية أخلص صديقين · ولم يتوان الاول ـ يعاونه مندلسون ـ عن تشجيع الفنان المبتدىء وتقديمه للاوساط الفنية والمجتمعات الرفيعة فى كل مناسبة ، فكانا أول من أخذا بيده فى الطريق الشاق الذى اختطه لنفسه ··



لكن شوبان كان ـ على العكس من صـــديقه ليست ـ ناسكا منزمتا ، مترفعا بطبيعته، يكره المجتمعـــات ، ويخشى زحام الجماهير ·· ولو انه لم يكن يتردد فى غشيان صـــالونات الارستقراطيين ·· وحيثما كان يعزف لهم « كان الهواء يموج بحوريات من الجنة ! » ، على حد تعبير أحد معاصريه! ·· وبدأ الحظ يبسم له ، والمال ينهال عليه من الحفلات ، ومن دروس البيانو الخاصة ·· فاتخذ له مسكنا أنيقا ، وعقد صلات مع عدد من النساء اللواتى قدرن نبوغه فغمرنه بمزيج من شعور الشفقة والحب ، الشبيه بحب الام لطفلها ·· لكن حبه اياهن كان مجردا من غريزة الجنس ، فان ضعف بدنه الهش اضطره الى أن يلتزم حياة العفة المطلقة ، وان تكن عفته الجثمانية الاجبارية قد أضفت على موسيقاه ـ كتعويض عن حرمانه ـ ثملا روحيا ، وروعـــة منقطعة النظير ··!

الفالس ·· والمازوركا ·· والبولونيز !

◆ ولعل مما يدهش كل من يحصي ألحان شوبان أن يجد عددها ضئيلا نسبيا ، بالقياس الى من ســبقه من الموسيقيين المكثرين أمثال : باخ ، وهاندل ، وموتســـارت ، وبيتهوفن ، وشوبيرت ·· الذين كانوا ينتجون ألحانهم بالعشرات ، والذين يعتبر شوبان الى جانبهم متكاسلا عقيما ! ·· **لكن الواقع انه كان من فئة الفنانين الذين ينشدون الكمال فى انتـاجهم ، فتراهم يدققون ويمحصون ·· وهكذا لم يكن يضع « نوتة » واحدة بغير**

عناية ، و لايمل المراجعة والتغيير والتبديل ٠٠ بل كان يعذب نفسه بالشك والتردد فى أدق دقائق ألحانه وأضأل جزئياتها !

٠٠ وكما كان انتاجه قليلا فى عدده كان أيضا محدودا فى نوعه وألوانه ٠ فان جميع أسلافه من الموسيقيين المعروفين كانوا يدلون بدلوهم فى شتى أبواب التأليف الموسيقى، فيضعون السمفونيات ، والاوبرات ، والالحان الكنسية ، وألحان الآلات الموسيقية المنفردة ٠٠ الخ ــ أما شوبان فلم يبعثر جهوده بل احتص بها آلة واحدة هى البيانو ٠٠ وحتى فى هـــذا المجال الضيق لم ينتج من الالحان الجدية التقليدية ــ وهى ألحان « السوناتا » و « الكونشرتو » ــ غير ثلاثة من الاولى واثنين من الثانية ٠٠ أما أكثرية ألحانه فكانت من أنواع جديدة وغريبة على الفن الجدى حتى ذلك التاريخ ، وأهمها ثلاثة أنواع : الفالس والمازوركا والبولونيز ٠٠ التى وان كانت كلها معروفة من قبل الا انه انفرد فيها بلون خاص فريد ، ميزه عن جميع من طرقوا هذه الابواب الثلاثة ٠٠ **حتى لقد أجمع النقاد على أن شوبان هو أول موسيقى سيطر على البيانو سيطرة أحاطت بكل طاقتـــه وأخرجت مكنون كنوزه ٠٠ بل وأنطقته بألحان لم يكن العالم يحسب انه ــ كآلة موسيقية ــ قدير على اخراجها ٠٠ الامر الذى أخرج الموسيقى الكبير روبرت شومان عن طوره حين سمع احدى مقطوعات زميله البولندى الناشىء فهتف مأخوذا « أيها السادة ، ارفعوا قبعاتكم ٠٠ فنحن أمام عبقرى ! »**

على هذا المنوال سارت حياة شوبان فى باريس حتى بلغ الثامنة والعشرين ، عام ١٨٣٨ ٠ كان يؤلف الالحان للبيانو ، ويبصق دما من رئتيه الهالكتين . ويحظى باعجاب الناس بموسيقاه . وسخريتهم من تخنثه !٠٠ حتى لقد بات فى أشد الحاجة الى دافع نفسانى جديد قوى ، والا عجز عن المضى فى طريقه ٠٠ فمن ذا الذى يستطيع أن يضع موسيقى قوية، وقلبه خائر؟٠٠ وكانت

كآبته ما نزال تلازمه : « **رغم اني أرى الخطرة حتى فى الشتاء ، فانى أراها برأسى فقط • أما قلبى فهو دائما غارق فى الوحشة والصقيع ! »**

وبالاختصار •• فقد كان فى حاجة الى حب قوى عارم يوقظ النـــار الكامنة فى أعماقه •• أو الى لمسة سحرية تجرى تيار الحياة فى أصابعه المريضة !!

عندئذ ، وفى اللحظة المناسبة ، اقتحمت عليه حياته الخاوية جورج صاند !

الغرام الذى أوقد الشعلة !

◆ **وغرام** شوبان وجورج صاند يعتبر من أعقد الالغاز فى تاريخ الموسيقى العالمية ـ بل وفى تاريخ القلب البشرى قاطبة ، هذا المركز المظلم للعواطف الانسانية !

فقد كان الفنان مختل الاعصاب ، لكن مدام صاند كانت تفوقه شذوذا ! كانت كتلة من المتناقضات النفسية• وقد زادت الحقيقة غموضا والقصة اضطرابا محاولات المؤرخين تحديد المســئول منهما عن النهاية التعسة التى انتهى اليها حبهما الطويل !•• كما أسرف رواة حياة شوبان فى القسوة والمهاجمة لجورج صاند، وصبغ شخصيتها باللون الاسود الفاحم، مما يتنافى مع الحقائق فى كثير من المواضع •• وان يكن الامر المؤكد انها واحدة من اغرب الشخصيات النسائية التى عاشت على وجه الارض !

كان اسمها الاصلى « اورورا دوبان » •• انحدرت من سلالة الماريشال ساكس ، الذى كان ابنا غير شرعى لاوغسطس الثانى ملك سكسونيا ، وجرت فى دماء أســـلافها كثير من اللوثات الاخرى المشئومة •• **لكن ذلك كله لم يردع أسرتها عن القائها ، وهى فى الثامنة عشرة ، بين ذراعى زوج داعر فظ لا تحبه ، يدعى « كازيمير دوديفان » ، وكان من سراة الريف فاحتملته ثمانى ســـنوات ثم لم تطق صبرا فهجرته ورحلت الى باريس**

.. وهناك ألفت قصة طويلة تافهة بالاشتراك مع شاب اسمه جول صاندو ـ ومنه اشتقت لقبها جورج صاند ـ أعقبتها بقصة أخرى ألفتها بمفردها وسمتها «انديانا».. فظفرت القصة برواج هائل رفعها الى مصاف « أوسع الكتب انتشارا » في تلك السنة، ورفع مؤلفتها الى مرتبة الشهرة بين يوم وليلة !.. ومنذ ذلك التاريخ حتى آخر حياتها الطويلة ـ في سنة ١٨٧٦ ـ ظلت مدام صاند تؤلف القصص بنشاط خارق ، حتى جاوزت مؤلفاتها المائة كتاب ..!

لكن الشهرة التي واتتها صحبت معها السمعة السيئة ، فان مدام صاند لم تستطع أن تعيش على وفاق مع المجتمع أو تحترم تقاليده ، حتى في أبسط الامور ، وهو الزى النسائى !.. فحين بينت أنها تستطيع أن تذرع شوارع باريس في زى طلبة الحى اللاتيني ، منحت نفسها حرية ارتداء ملابس الرجال أينما ووقتما شاءت !.. حتى ليمكن أن يقال انها كانت الزعيمة الروحية أو الجدة الاولى لانصار الحركة النسوية الذين أقروا حرية المرأة في عصرنا الحديث !...

لكنها لم تكتف بارتداء ثياب الرجال ، بل اقتبست عنهم هواياتهم ، فصارت تدخن السيجار ، ثم الجوزة !.. وحين رفعت ضد زوجها دعوى الطلاق أثار الامر ضجة وفضيحة شائنة، لكنها واجهت العاصفة بعدم مبالاة، مفضلة حريتها على سمعتها.!

على أن الشيء الذى لم يستطع ان يغفره لها مؤرخو حياتها ـ أكثر من مغامراتها العديدة الفاضحة وشذوذها ـ انتحالها لنفسها ذلك الحق الذى كان دائما من حقوق الرجال الخاصة ، وهو حق انهاء الصلة الغرامية وهجر الحبيب !.. فقد كانت دائمة التنقل بين أحضان الرجال وفق هواها ، وكانت هى التى تهجرهم في كل مرة دون سبب معقول ، الا العثور على عشيق آخر !..

لكن مغامراتها جميعا لم تحقق لها السعادة المنشودة ، فكانت دائما نهبا للألم النفسي الناشيء من خيبة الامل والفشـل في الحب ٠٠!

وقد قضى « بلزاك » اياما فى ضيافتها ، ببيتها الريفى الكائن فى ضاحية « نوان » ـ فى يناير سنة ١٨٣٨ ـ فكتب يصف مشاعره التى خلفتها في نفسه اقامته عندها ، قال : لقد وجدت « الرفيقة » جورج صاند جالسة أمام المدفأة في غرفة واسعة تدخن سيجارا ٠ وكانت مرتدية بنطلونا أحمر وجوربا جميلا وخفين أصفرين مزركشين بالحواشي والاهــداب ٠٠ أما عن جسمها فقد لاحظت ان أسفل ذقنها قد امتلأ شحما ولحما ، لكن شعرها ما يزال فاحم السواد لا تتخلله شعرة واحدة بيضاء ، برغم الكوارث التى تتنابها فى غرامياتهـــا ! وبالمثل لم تتغير بشرتها السمراء ، ولا عيناها اللامعتان ، ولا طابع الغباء الذى يبدو عليها حين تستغرق فى التفكير ، فان جمالها كله ـ كما قلت لها بعد دراسة شخصيتها ـ يكمن فى عينيها ، حين تكون منتبهة ! »

كيف بدأت العلاقة ٠٠

◆ **وقد** التقت صاند بشوبان سنة ١٨٣٨ ، (وكانت قد نفضت يدها لتوها من علاقتها بالشاعر الفريد دى موســـيه وختمت الفصل الاخير من قصة حبهما الحار العنيف !) ٠٠ وكانت وقتئذ فى الرابعة والثلاثين ـ تكبر شـــوبان بثمانى ســـنوات ـ والدة طفلين شرعيين وراعية ألف ذكرى غير شرعية !٠٠ لا تنى تبحث وتنقب عن تلك العاطفة الآسرة التى طالما حلمت بها ٠٠ لكن أحدا من عشاقها لم يكن فى مثل قوة شخصيتها ، أواقوى منها بحيث يسيطر عليها ويخضعها ، ومن ثم فانها كانت لهم بمثابة الام والعشيقة فى آن واحد ! لكنها لم تخضع لواحد منهم خضوع العبيد ، وفى أثناء بحثها عن

غزوات جديدة كانت أشد النساء شوقا الى من يغزوها !·· وقد عبرت عن هذا في مجال الحديث عن الاديب الفرنسي بروسبر مريميه ـ مؤلف قصة «كارمن» ـ بقولها : « **لو ان ميريميه فهمني لربما أحبني·· ولو أحبني لربما قهرني·· ولو استطعت أن أخضع لرجل لكان في ذلك خلاصي ، فان حريتي تخنقني وتقتلني !** »

·· وعلى ضوء هذه الطبيعة الطاغية نستطيع أن نفهم سر وقوع شوبان ـ رغم ذوقه المرهف وشغفه بالجمال ـ في شباك هوى هذه المرأة المحرومة من الجمال ، بقامتها القصيرة البدينة وبشرتها السمراء كالهنود ، وأنفها الكبير وفمها الواسع !·· فيما عدا عينيها الجذابتين ، الشبيهتين ببحيرتين واسعتين من السواد السائل ـ لم يكن فيها ما يعجب شوبان ، بل كان في طباعها الكثير مما ينفره ، ولا يلائم تحفظه وارستقراطيته !

والواقع انها أحبته قبل أن يحبها ، فعلى أثر لقائهما الاول ـ الذي سبقته فترة انتظار ولهفة كان كلاهما خلالها يسمع عن شهرة الآخر ويتوق الى معرفته ـ كتب هو يصف شعوره فقال : « يا لها من امرأة منفرة ·· ، ولكن أهي امرأة حقيقية ؟ انني على استعداد لان أشك في ذلك ! » ·· فلما أقبل صيف ذلك العام ، وكانت صحة الفنان على غير ما يروم ، دعته صاند كي يقضي فترة استجمام في بيتها الريفي في « نوان »·· **فلم تمض أسابيع حتى كانت أشهر قصة غرام في الجيل تختمر في قلبيهما !·· صارت هي تدعوه « ملاكي » وتعنى به كما تعني بأطفالها ، بل وعدته بأن تكرس حياتها كلها في سبيل شفائه من مرضه ·· وسرعان ما بادلها هو حبها بل فاقها فيه ·· لم يعد يستطيع العيش بعيدا عنها ، وان أحس في البداية بالخجل من غرامه الى حد الحرص على كتمان أمره عن أسرته وأصدقائه ، والاحجام عن توجيه عبارات اهداء أي لحن من ألحانه اليها ·· رغم كونها الموحية له بأروعها !**

وفى الشتاء التالى (١٨٣٨ ــ ١٨٣٩) قررت صاند أن تقضى أشهرا فى جزيرة « مايورقا » ، وأقنعت شوبان بأن يصحبها هى وطفليها الى هناك · فذهب وهو يتوقع أن يجد فى الجزيرة جنة استوائية يسترد فى شمسها الدافئة صحته المضمحلة ·· لكن أقدامهم لم تطأ أرض الجزيرة حتى بدأت الامطار تنهمر بشدة ، والعواصف تعصف براحة العليل ، بل انه أصيب فوق اصابته بنزلة شعبية حادة ·· وسرعان ما تواترت الاشاعات فى الجزيرة بانه مريض بالسل ــ فى وقت لم يكن يعرف فيه للداء الوبيل علاج ! ــ فحاول الاهالى الاعتداء على حياته أكثر من مرة · وتقاطر أطباء الجزيرة عليه ، يفحصون بصاقه ويسمعون رئتيه ويهزون رؤوسهم يائسين ·· أو على حد تعبيره فى أحد خطاباته : « انهم يعاملوننى كحيوان ·· قال أحدهم اننى سوف أموت ·· وقال ثان ان بينى وبين الموت خطوة ·· ، أما الثالث فقال اننى ميت بالفعـــل ! »

ايام تعسة ··

ولم يكد يستقر بالوافدين المقام فى الفيلا التى استأجروها حتى أصدرت السلطات الطبية أوامرها الى شـــوبان بمغادرة المدينة فورا ، وأعادت طلاء جدران البيت كله على نفقته !·· فاضطر العاشقان الى الانسحاب الى أطلال دير عتيق مهجور فوق التلال القريبة من البلدة ، لقضاء بقية « أشهر العسل » المشؤومة تحت سقفه ·· وكان الدير من أبنية القرن الخامس عشرالمشيدة على الطراز القوطى ، سمك جدرانه ثلاثة أقدام ، وأسقفه شاهقة الارتفاع ، ونوافذه ضيقة صغيرة ــ مثل كوى السجون ! ــ وحجراته (أو بالاحرى زنزاناته) خاوية مخيفة ، وممراته رطبة مظلمة ومتعرجة مثل « بيت جحا » !·· وكان يطل على المقابر المحيطة التى يحدها سور من أشجار السرو ·· فاضطر القادمون الى أن يشغلوا منه ثلاث زنزانات ــ أو « نعوش » على حد تعبير

سوبان ! ـ عاشوا فيها في حال يرثى لها، وبؤس لا يوصف!٠٠ وزاد الطين بلة ان الاهالى قاطعوهم ، فتعذر عليهم الحصول على غير الاطعمة القذرة الفاسدة !

وبعد أن قضوا فى هذا الجحيم ثلاثة أشهر ، قرروا العودة الى فرنسا ، قبل فوات الاوان !٠٠ وأثناء الرحلة لم ينقطع نزيف الدم من رئتى شوبان ٠٠ وحين بلغا «برشلونة» فقد قدرا كبيرا من دمه قبل أن يتمكن الطبيب من وقف النزيف !٠٠ وعنـــد وصولهما الى مارسيليا كان أشبه بشبح يسير على قدمين ٠٠ وهناك استراح الركب أياما حتى عاودت المريض بعض عافيته فاستأنفا السفر الى بيت صاند الريفى فى « نوان » ٠٠ لكن سوء تأثير اقامته فى جزيرة « مايورقا » لم يزايله قط ، فلم يسترد صحته بعد ذلك يوما كما كان قبل الرحلة المشؤومة ٠٠ **أما تعلقه بجورج صاند ـ التى صارت فى هذه الاثناء خليلته ، تحت تأثير الشفقة من جانبها أكثر من الحب ! ـ فقد تضاعف بعد البطولة التى أبدتها فى خدمته بالجزيرة ، والتفانى فى رعايته ٠٠!**

وفى فرنسا سارت حياتهما فى السنوات التالية على وتيرة واحدة ٠ كانا يقضيان الصيف فى بيتها بضاحية «نوان» ، وبقية العام فى باريس فى بيتين متقاربين ٠٠ وكل مساء يلتقيان فى صالونها العامر بعلية القوم ، فقد غدت وقتئذ أشهر امرأة فى أوربا !

ومرت سبع سنوات ٠٠

الحلقة المفقودة ٠٠؟

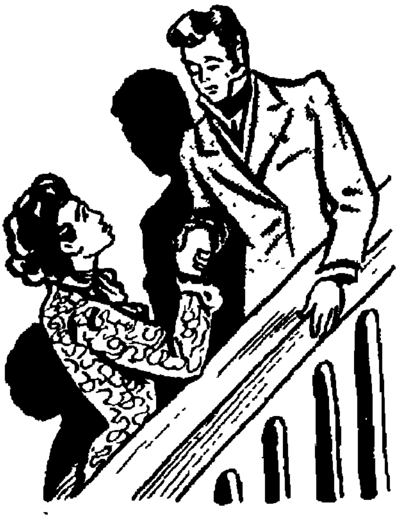
◆ أما الفصل الاخير من القصة فهو أكثرها غموضا واضطرابا، ففى سنة ١٨٤٧ انقطعت الصلة بين العـــاشقين ، فى ظروف اختلف فى تعليلها المؤرخون ، وان كانت تتلخص فى أن نزاعا عائليا نشب بين المرأة وبين ابنتها وابنها أثناء اقامتهم فى « نوان » ، فانحاز شوبان وهو فى باريس الى صف الابنة ضد أمها ٠٠ الامر الذى ساء صاند فكتبت الى عشيقها خطابا اعتبره

بمثابة فرار بطرده من حياتها وقلبها !٠٠ أما محتويات الخطاب بالضبط فما تزال مجهولة ، اذ مزقه شوبان بعد أن اطلع عليه صديقه الرسام ديلاكروا دون غيره ٠٠ وقد كتب الرسام في مدكراته يصف الخطاب بأنه « شرير وفظيع للغاية » ولم يزد!٠٠ على أن المرجح أن المرأة كانت قد ملت الحياة مع حطام مقضى عليه بالموت البطىء ، وضاقت ذرعا بسعاله المزعج ، فظلت تترقب الفرصة المناسبة للخلاص من أسره ٠٠ حتى وجـدتها أخيرا ، فسارعت بانتهازها في غير رحمة ، آملة أن تقتنص من شبابها الباقي فرصة الظفر بغرام أخير مع رجل قوى صحيح الجســم يعيد اليها ايمانها بالحياة ، بعد ان لم يعد لدى شوبان ما يقدمه اليهـــا ، وخاصة منذ أشبعت منه فضولها وشهواتها وهجرت حسمه الفانى مكتفية بالاستمرار فى صداقتها «الروحية» له ٠٠!

على أن المنصف لا يستطيع أن يغمط مدام صاند فضلها على شوبان ، من أكثر من زاوية ٠٠ فقد طالما استحثته على الانتاج **فأشبعت غروره كفنان وأرضت كبرياءه وطموحه الى الشهرة ٠٠ ثم غمرته بفضلها الاكبر حين سهرت على العناية بصحته فأطالت عمره سنوات، هي أحفل فترات حياته بالانتاج الفني** ٠٠ ولا شك أنه لولا تمريضها اياه بنفس التفانى الذى كانت تعامل به فلذات كبدها لما عاش أكثر من أسابيع معدودة بعد عودته من جزيرة « مايورقا » المشؤومة ٠٠!

اللقـــاء الاخير

◆ **أما** هو ، فلم يبق ـ بعد أن هجرته ـ ثمة شيء يحول بينه وبين ذراعي عشيقته التالية : الموت !٠٠ وفي انتظار عناقها الابدى لم يلتق الفنان بعشيقته السابقة مدام صاند غير مرة واحدة بعد انفصالهما ، وكان ذلك فى مارس سنة ١٨٤٨ ، حين تقابلا على سلم منزل صديق مشترك لكليهما ٠٠ وقد كتبت هي تصف ما حدث : « **ضغطت على يده المرتجفة الباردة كالثلج ٠٠**



كنت أريد أن أكلمه ٠٠ لكنه سحب يده وابتعد مسرعا !»٠٠ وفي تلك اللحظة العابرة أنبأها بأنها قد صارت جدة ، فان ابنتها التي خاصمتها قد وضعت طفلا !٠٠ وحين عاد الى البيت كتب في مذكراته : « لم أعد أومن بالدموع ٠٠ فقد رأيتها تبكى ! »

والواقع ان القدر لو كان رحيما بالفنان المعذب لختم صحيفة حياته عقب قطيعته مع مدام صاند مباشرة ٠٠ فانه فى العامين اللذين عاشهما بعد القطيعة كان أشبه بالجثة التى تتحامل على نفسها وهي بثياب الكفن ! تفوح منه رائحة القبر ، ولا يخال من يراه أن تحت ثيابه بقية من لحم ودم ٠٠ بل صار أشبه بشخصية خرافية من شخصيات الاساطير ، أو شبح يسير على أنغام لحنه الجنائزى ، مشيعا نفسه الى مثواه الاخير ٠٠!

٠٠ ولم ينتج فنا خلال ذينك العامين ، فان جناحه المكشوف ـ كبرياءه ـ كان قد جرح فى الصميم جرحا غائرا لا سبيل الى التئامه ٠٠ فضلا عن انه من العسير أن تطالب بالانتاج الفنى شخصا سئم الحياة ولم يعد يريد أن يعيش ٠٠!

وحين نشبت في فرنسا ثورة ١٨٤٨ اضطر للانتقال من باريس الى انجلترا ، حيث قضى ثمانية أشهر كان خلالها موضع حفاوة وتكريم مجتمعات لندن ومحافلها ٠٠ لكن ظهره قد احدودب من فرط نحوله ، وسعاله لم يكن ينقطع ٠ ورغم بؤسه فانه لم يحجم عن احياء عدة حفلات لاغاثة اللاجئين البولنديين ٠٠

وأخيرا نجا بنفسه من ضباب لندن البارد عائدا الى باريس ،

حيث أوشك ماله على النفاد ، لولا أن أسعفته اسكتلندية ثرية من تلميذاته بمبلغ ٢٥ ألف فرنك أرسلته اليه سرا !٠٠ وظلت ذؤابة الشمعة المترنحة تتأرجح فى مدينة النور أسابيع أخر ، كان فيها جسمه الفانى يتنقل بين قاعات الموسيقى فى العاصمة كالظل ، وموسيقاه الرقيقة تردد أغانى الريح والنجوم وغوامض الليل ، فيفهمها الشعراء والعشاق والاطفال ٠٠ لم يبق حيا منه غير ذهنه وأصابعه فقط ٠٠ **ونشرت الصحف نبأ وفاته أكثر من مرة ، قبل وقوعها ٠٠ وفى ١٧ اكتوبر سنة ١٨٤٩ وقد يلفظ انفاسه الاخيرة ، وسمعوه يهمس : « لقد وعدتنى بأنى لن أموت الا بين ذراعيها ! » ثم أوصى الذين يحفون بفراشه : « عند ما أنتهى اعزفوا لى شيئا من الموسيقى ، فسوف أسمعها من العالم الآخر ! »**

عبقرية « موزار »

◆ **سأل** شاب ذات مرة الموسيقى الشهير « موزار » عن كيفية وضع « السمفونى » ٠٠ فأجابه موزار : « انك شاب ، حديث السن ٠ فلم لا تبدأ بوضـع المقطوعات السهلة قبل التفكير فى وضع السيمفونيات ؟ »

فقال الشاب : « لكنك ألفت سيمفونيات وأنت فى سن العاشرة ، أليس كذلك ؟ »

فأجاب موزار : « نعم ، ولكنى لم أسأل أحدا عن كيفية تأليفها ! »



غراميات الشاعر من أقوى عوامل وحيه . وشاعرنا اليوم هو «الفريد دى فيني» الذى أتحف الادب الفرنسي بمقطوعات من أخلد آياته ، وخاصة في الفترة التى ألهب فيها وجدانه حبه وصلته بالممثلة الفرنسية «ماري دورفال» ، التى اشتهرت في عصرها بانوثتها القوية وجاذبيتها الفائقة .. وفيما يلي مقتطفات من أروع ما «نثر» الشاعر في رسائله الى محبوبته ، وهي رسائل تفيض بالالم الدافق والاسى العميـــق :

- ١ -

باريس : ٣ يوليو ١٨٣٣

يا حبيبتي ..

◆ ان ما قاسيته بسببك منذ ان اقمتِ في مسكنك الجديد، يجل عن الوصف ولا يكفي ما بقي من عمري كي يجعلني انساه !.. ولكن ، اخيراً ، رأيتك بالامس .. وبعد الساعات الاربع التي قضيناها في الهوى والقبل ، شعرت بانك قد فتحت لي روحك على مصراعيها ، كما اعتدت أن تفتحي لي ذراعيك!. . فشكرا لك الف مرة يا ملاكي ، ياجميلتي الغالية .. فلقد استرددتك ! ان توبتك الرقيقة يا طفلتي قد محت كل شيء .. وها أنا أعود فامنحك ثقتي ؛ واعهد اليك بحراسة حبك ، وشرفك ، فلا تنسي هذا .. ولا تفرطي فيهما

اما ما بقي راسبا في أعماق روحي من سيئات الماضي ، فهو الاسى من الحزن .. هو التعاسة ، والخيبة القاتلة .. وانى لاحس في نفسي ، لاول

مرة فى حياتى ، بعار فظيع .. فان الكلمات التى جاهدت نفسى بالامس كى انطقها قد اسخطتنى على نفسى ، الى حد لا استطيع التعبير عنه .. أحسست انى اقتطع قطعا من لحمى وعظمى ، وفى سبيل انتقامى طعنت قلبى !.. انه لفظيع ما فعلت ، ولكن ثقى انه اشد ايلاما لى .. منه لك !

- ٢ -

الخميس ٤ يوليو سنة ١٨٣٣

(على أثر عودته من لقائها فى الساعة الاولى صباحا !)

يا حبيبتى ..

اعود من لقائك بقلب كسير يعانى هما يفوق الف مرة ما قاسيته منك فى الماضى .. فلكم تسببين لى قلقا وحزنا يا ملاكى الغالى ، ولشد ماتزرعين فى نفسى اسى ممضا يا جميلتى المسكينة المحبوبة ! والا ، او حقا تفكرين فى ان تنيبى عنك «لويزا» فى الكتابة الى بين الحين والحين ؟ انك لو أردت أن تقتلينى شجنا وحزنا لما كان عليك ان تفعلى غير ذلك !.. فان خط يدك هو الذى يلزمنى ، وما انشده هو ظل ذراعك على الورق ، اليوم وغدا وعلى الدوام .. الى اخر نسمة من حياتى !

اواه ، اية قسوة ان تتهمينى انا ـ انا الذى تعرفين ادق دقائق شعورى ـ باننى لم ابذل من اجلك ما فيه الكفاية .. كاننى استطيع ان امن عليك بشىء !.. ورغم ذلك فانى اصفح عنك ، ولئن كان فى طوقى بقية من جهد يبذل فسوف ترينه مراقا من اجلك ، يوم تمنحيننى ثقتك كاملة ..

فاتوسل اليك يا جميلتى «مارى» ان تكفى عن اثارة الرعب فى قلبى بتهديدك اياى على هذه الصورة فى كل مناسبة.. وان تؤمنينى على المستقبل، كيما استطيع ان افكر فيك واكتب اليك وانا مطمئن الخاطر !

صباح الجمعة

لقد نال منى الاعياء الليلة فنمت نوما عميقا .. وحين صحوت ادهشنى ان اجد وجهى سابحا فى دمعى ، وعينى ما زالتا تفيضان ! اى حلم بالله ذاك الذى تراءى لى فجعلنى انشج فى منامى ؟.. لقد اسات الى وآلمتنى مساء امس ياملاكى الجميل ، فمتى تكفين عن غيرتك ؟ اما تعلمين كم احبك .. واى انفعال دائم يلهب قلبى من نحوك ؟

- ٣ -

الخميس ٢٩ اغسطس

ما تزال آلام راسي تعذبني ، وشعوري بالوحشة يضنيني .. فلكم احس اني وحيد ، لانك لست معي !.. ولكم احبك يا حبيبتي الغالية ماري!

انك لا تكفين عن الشكوى من الحياة ، فماذا تركت لي أنا الآن ؟ انك تعيشين في اعياد متصلة ، اما انا فاعيش في شبه مستشفى !.. وليخيل الي انك تتعمدين التظاهر نحوي بالغيرة والغضب كي توهميني انك مهتمة بامري اكثر من الواقع !.. اواه ، لن أستطيع المضي في الكتابة اليك الآن فانني مكتئـــب ..

وهكذا يمضي الشاعر في خطاباته الى محبوبته على هـــذا النمط فيسكب على الورق أناته وأساه ، وضحكه وبكاه ٠٠ دون أن يرق له قلبها ٠٠ أو ترق له دنياه !
وهكذا الحياة !

احـــلام ٠٠ مثمرة !

◆ كان المؤلف الانجليزي المعروف « روبرت لويس ستيفنسون » يلهم الكثير من موضوعات قصصه أثناء أحلامه ، فاذا ما استيقظ من نومه بدأ يكتبها !٠٠ وقد روت زوجته فيهذا الصدد في مذكراتها ما يلي : « صحوت من نومي ذات ليلة على صوت صرخات مزعجة كان يطلقها زوجي وهو نائم ، فظننت انه يعاني كابوسا وأيقظته ٠٠ وكم كانت دهشتي حين عنفني غاضبا بقوله : « لماذا أيقظتني ؟ كنت أرى في الحلم قصة رائعة ! »

وكانت تلك بداية قصته المشهـــورة (دكتور جيكل ومستر هايد) !

رياضة الذهن



غوامض القصص البوليسى !

عزيزى القارىء ...

قدمت لك من القصص البوليسية فى الاعداد السابقة : (لغز المرآة المختفية) لاجاثا كريستى .. و(جريمة شارع مورج) لادجار الان بـو .. ثم (قارىء الافكار) لادجار والاس ..

واليوم اقدم اليك فيما يلى هـذه القصة البوليسية (حانة الرعب) لفيلبس اوبنهايم .. وقـد ارتـحلنا فى هـذه القصص على التوالى الى : لندن ، ثم باريس ، ومونت كارلو .. فشهدنا فى كل عاصمة مغامرة غامضة ..

وفى الاعداد التالية نطوف معا بمشيئة الله ببقية العواصم ، فى ركاب هؤلاء السادة من الكتاب العالميين : البارونة اوركزى ، لتشارلس ديكنز ، سير ارثر كونان دويل ، ادجار الان بو ، موريس لوبلان ، اجاثا كريستى ، سير والتر سكوت ، اونوريه دى بلزاك .. تيوفيل جوتييه .. واشنجتون ارفنـج .. اوستن فريمان .. وغيرهم من كتاب القصص البوليسية وقصص الرعـب والمغامرات ..


THE CAFÉ
OF TERROR
By
PHILIPS
OPENHEIM
حانة الرعب
للروائي البوليسي الأشهر
فيليبس أوبنهايم

المؤلف

يعتبر « فيليبس اوبنهايم » من اقطاب كتـــاب قصص الجريمة والقصص البوليسية فى اوربا فى أواخر القرن التاسع عشر وخلال الثلث الاول من القرن العشرين ·· وقد جاء يوم كانت قصصه تنشر بعدة لغات فى مختلف البلاد ، فى وقت واحد ·· وكان بارعا فى حبـــك المواقف التى تنطوى على المفاجآت والانفعالات العاطفية ·· وقد اعتاد ان يستمد موضوعاته من القضايا الدولية الواقعية ·· قضايا الجرائم ، والاغتيالات ، والجاسوسية ، والاختفاء فى ظروف غامضة ، والفرار من يد العدالة ، أو من يد الجريمة ، على السواء ··

كتب اول قصة له فى العشرين من عمره ، فكانما كانت السدادة التى ازيلت من طريق مادة فوارة ، اذ اندفع بعد هذه القصة فى انتـــاج فياض من القصص القصيرة والمقالات ، فضلا عن الروايات الطويلة التى كان ينشر اثنتين منها فى العام ·· فى المتوسط !

ومن اطرف مايروى عنه ، انه اقبل عـــلى كشف الخطر التيوتونى والمطامع الالمانية فى عدد من قصصه ومقالاته قبيل وخلال الحرب العالمية الاولى ، مما اثار حنق السلطات الالمانية عليه ، فاصدرت خلال الحـرب حكما باعدامه ·· « على أن ينفذ هذا الحكم حين تحتل القوات الالمانيـة انجلترا » !··

نزهة تكشف عن جريمة !

◆ كان «المركيز» غاضـــــبا فى ذلك الصباح ·· فما كان ليستمرىء المضى فى ذلك الممر الجبلى الضيق المشرف على « مونت كارلو » ، المحفـــوف بالوهاد والصـــخور المقلقلة ، والمكســـو بالاعشاب والطحالب والاحجار الصغيرة ·· وكان يغيظه منظر مرافقته «ماديلون» وهى تنطلق برأسها العارى وخطاها الخفيفة ·· وضحكاتها المرحة تعلن أن هذه النزهة المضنية انما كانت تبعث فى نفسها الحبور بدلا من الارهاق !·· وكان يزيد من حنق صاحبنا المركيز ذلك الابتهاج الذى تبـــدى على ثالثهم « مستر صمويل بيللينجهام » وهو يسير بخطى نشيطة ، وسيجاره فى

ءمه ، كأنه لايجد أية مشقه أو عناء ٠٠ حتى اذا اشتد بالمركيز التعب ، تهالك على كومة من الاحجار ، وراح يجفف بمنـديله العرق الذى كان يتفصد من جبينه ، ثم صاح :

ـ لن أمضى خطوة أخرى فيهذه النزهة السخيفة ٠٠ أجل ، انها سخافة !٠٠ انني لاشعر بالآلام تجتاح معدتي ، وركبتي ، وظهرى ٠٠ مالهذا جئت !٠٠ أين السيارة !؟٠٠

وهتفت «ماديلون» في رثاء :

ـ مسكين ياعماه !٠٠ لقد نسيت أنك لم تألف مثـل هـذه الرياضة ٠٠ وكان خليقا بك أن تعيش في انجلترا كما عشـت أنا ، لتألفها ٠٠ ولكنى ما أظنك تنكر روعة المنظــر الذى نطل عليه !٠٠

وانساب تعليقه على المنظر في سيل من السباب باللغــه الفرنسية ، حتىفطن أخيرا الى ماقد يسببه للمستر «بيللينجهام» من امتعاض ، فأمسك لحظة محرجا ، ثم قال :

ـ سأعتذر عما قلت ، حين تهدأ ثائرتي ٠٠ أما الآن ٠٠

فأجابه «بيللينجهام» قائلا : «لم يبق أمامنا سوى مسافه تقل عن كيلومتر واحـد ٠٠ اذ أعتقد أننا سنجد الطريق العام خلف تلك الاكمة ٠٠ وقد أمرت بالسيارة أن تلحق بنا هناك ، فلا ينقضيربع الساعة يا «مركيز»حتى نكون فى«سانفليكس»!٠٠

فقال «المركيز» في حسرة وهو يستوى قائما على قدميه :

« آه ، لو استطاع المرء أن يجد شيئا من الشراب !٠٠ »

ـ سنعوضك عنصبرك بالتأكيد ٠٠ فلقد قمت بهذه النزهة من قبل ، وأظن ـ اذا لم أكن مخطئا ـ ان ثمة حانة أو مقهى يقوم عند التقاء هذا الممر بطريق العربات التى تحمل الاخشاب من الغابة ٠٠

وألفى «المركيز» فى هذا الامل مابث فيه شيئا من القوة ، فعاد الى السير متعثرا ٠٠ وان هي الا خمسون ياردة تقريبـا ،

حتى ألفى الثلاثة أنفسهم ينتهون الى الطريق الذى تسلكه عربات حمل الخشب ٠٠ ولاح لهم عن كثب مبنى صغير أبيض ، فأشار المستر «بيللينجهام» قائلا :

ـ ها هو ذا مقهى الغابة ٠٠ ولعله أسوأ مقهى عرفته ، ولكنا لن نعدم فيه قسطا من خمر « ديبونيه » دون أن نصاب بتسمم ٠٠

فقال «المركيز» وهو لايتمالك نفسه من الابتسام : «لابأس بخمر «ديبونيه» ٠٠ ان المكان يحمل معالم الفقر والقذارة . ولكنى أرجو أن نجد زجاجة من هذه الخمر لم يفض خاتمها ٠٠

المقهى المهجور !

◆ **وواصلوا** تسلق الطريق دقائق أخرى ، انتهوا بعدها الى المقهى ٠٠ وكان المبنى صغيرا ، كئيب المنظر ، لايشجع مظهره على الدخول ٠٠ وقد قامت فى خارجه ثلاث مناضد حديدية . حول كل منها مقعدان ٠٠ ولم يكن ثمة مايدل على الحياة فى المكان ، وان كان الباب مفتوحا ٠٠ وولج الثلاثة ، فلم يروا أحدا وراء مائدة «البار» ولا فى الحجرة الزرية المظهر ٠٠ وان رأوا زجاجات على الارفف ، وكوبا على «البار» مليئا الى نصفه بالكونياك ٠٠

ورفع مستر «بيللينجهام» عقيرته بالنداء ٠٠ وحذا «الكونت» حذوه ، فلم يجبهما سوى صدى أجوف ، موحش ٠٠ وتريثوا لحظة ، ثم تقدم المستر «بيللينجهام» الى باب خلف «البار» ففتحه ، واذا به يفضى الى مطبخ فقير فى اثاثه ، تناثر فيه بعض البصل ، وتدلى من سقفه مشجب علق فيه ارنب ذبيح ٠ ٠ولم يكن ثمة نار موقدة ولا ماينم عن أن أحدا عمر المكان من عهد قريب ٠٠

وعاد مستر «بيللينجهام» ينادى ، فلما لم يتلق جوابا ، فتح بابا آخر يكشف عن درجات سلم ٠٠ ونادى الانجليزى فى

«بترالسلم» ، ولكنه لم يكن أسعد حظا من ذى قبل ، فكر الى زميليه قائلا :

ـ ليس فى المكان مخلوق ما ..

فاقترحت «ماديلون» أن يبحثوا عن أهل المقهى فىالخارج ، فانبرى المستر «ببللينجهام» للبحث ، وهو لايكف عن النداء .. ثم ارتد عائدا وهو يقول :

ـ ان المكان مهجور !..

فقالت الفتاة : « لقد لاحظت أن القرية التى مررنا بها كانت تستعد للاحتفال بأحد الاعياد .. فلعل أهلالمقهى ذهبوا اليها .. أو لعل الرجل الذى يتولاه يقتطع خشبا فىالغابة »..

وابتسم «المركيز» وهو يتأمل الزجاجات التى كانت على الارفف ، ثم أشار الى واحدة قائلا :

ـ ليس يعنينا سوى أنهم تركوا لنا زجاجه من خمر «ديبونيه» ، فلنفض سدادتها ياصديقى «بيللينجهام» فنطفىء منها غلتنا ، ونترك الثمن ..

وتناول الزجاجة من مكانها .. وسرعان ماوجدوا ثلاث كؤوس ، حملوها الى احدىالمناضد الخشنة القائمة خارج المقهى، وجلسوا ينعمون بالشمس الساطعة ..

◆ **وندت** من «ماديلون» زفرة ارتياح وهى تقول : « ان هذا المكان يبعث فىكيانى قشعريرة .. فهو يبدو خاويا ، ساكنا..

فأجاب «بيللينجهام» : « انه فى بقعة منعزلة .. نضبت أخشاب الغابة عندها ، فلم يعد يرتادها قاطعو الاخشاب .. »

وقال المركيز : «خليق بنا أن نحمد للقوم صنيعهم ، اذ تركوا الباب مفتوحا فىغيابهم .. ماشعرت يوما لخمر «ديبونيه» بمثل هذه النكهة اللذيذة .. ولكن ، كم بقى بيننا وبين البقعة التى تنتظرنا فيها السيارة ياصديقى «بيللينجهام» ؟..

ـ لا أكثر من نصف كيلو متر .. وثمة درب غير وعر يفضى بنا الى السيارة ..

وتنهد «المركيز» فى ارتياح وهو يعيد ملء كأسه ، فى حين أبت «ماديلون» أن تتناول مزيدا من الشراب ٠٠ وراحت تتململ فى جلستها ، ثم قالت :

ـ لست أدرى لم أكره هذا المكان ؟٠٠ أترانى منساقة مع الوهم اذا قلت انه يبعث فى نفسى شعورا بالرهبة ؟٠٠

وأشعل «المركيز» سيجارا ، واضطجع فى مقعده وقال :

ـ انني أدرك السر فى ذلك ٠٠ فها هو ذا مقهى على حافة غابة ٠٠ وقد اجتمعت كل الظروف المهيئة لقصة مؤثرة ٠٠ أذكر انني قرأت مرة ٠٠

وأمسك عن الكلام فجأة ، وأفلت السيجار من بين أصابعه ٠٠ وقفز مستر «بيللينجهام» عن مقعده ، اذ رأيا «ماديلون» تجمد فى مكانها وقد شحب وجهها ، وندت منها صرخة مرتاعة ٠٠ وأشارت الى نافذة تعلو باب المقهى ، وصاحت :

ـ لقد رأيت وجها ٠٠ هناك شخص فى الحجرة !٠٠

فتمالك مستر «بيللينجهام» نفسه وقال : «وماذا يروعك من هذا ؟٠٠ لعل فى المكان مريضا رهن الفراش ٠٠ أكان ذلك الوجه لرجل أم لامرأة ؟٠٠

ـ لست أدرى ٠٠ كل ما استرعى انتباهى أنه وجه !٠٠

وأسرع مستر «بيللينجهام» الى داخل المبنى فغاب حوالى خمس دقائق ثم عاد قائلا : «ليس فى الطابق العلوى سوى غرفة واحدة ٠٠ ولم أجد بها مخلوقا ٠٠ وليس بها مخبئا يلوذ به أى انسان ٠٠ ولا صوان ، فكل مابها سريران يبدو من مظهرهما انهما لم يرتبا بعد آخر مرة نام فيهما صاحباهما ٠٠ ولكننى أؤكد أن ليس فى المبنى كله مخلوق واحد ! » ٠٠

فتطلعت اليه «ماديلون» وقالت فى اصرار : « وأنا أؤكد انني رأيت وجها ٠٠»



فقـال «المركيز» : « لابد وأنك تسـتطيعين أن تحكمي ما اذا كان وجه رجـل أو وجه امرأة »

ـ كدتأقول انه وجه شاب صغير ، لولا أن شـعره كان أسود كثا ، ومن ثم يحتمل أن يكون وجه فتاة ٠٠ وانما روعني منه عيناه ٠٠ ناشـدتكما أن تنصرفا معي ، فلست أقدر على البقاء هنا ٠٠ ولا على الخوض في هذا الحديث ثانية ٠٠ بنفسي شعور بأن شيئا رهيبـا وقع هنا ٠٠ وكل ما أرجوه أن أنسى هـذا المكان والوجه الذي رأيت ٠٠!

◆ ودس مستر «بيللينجهام» ورقة ماليـة من فئـة العشرة فرنكات تحت زجاجة الخمر ، ثم انصرفوا ٠٠ ولم يسيروا طويلا حتى لاحت لهم السيارة التي استأجرها المسـتر «بيللينجهام » لتكون تحت امرتهم في ذلك اليوم ٠٠ فما أن استووا فيها حتى تنهد «المركيز» في ارتياح ، وقال المستر «بيللينجهام» :

ـ والآن يا «مس ماديلون » ، لننس المقهى القذر ، والشبح الذي رأيته ٠٠

ولكن نسيان ذلك الشبح لم يكن هينا ٠٠ فبينما كانت «ماديلون» تسير مع مستر «بيللينجهام» في ذلك المســاء ، بين كازينو «مونت كارلو» وملهى «شيرو» ، اذا بها تتشبث بذراع زميلها فجاة في ذعر ٠٠ وتصيح مرتاعة :

ـ انظر !٠٠ انظر !٠٠ هذا الفتى الجالس في المشرب !٠٠

وتبع بصر مستر «بيللينجهام» اشارتها ، فوقع على فتى

يجلس الى مائدة فى مشرب قريب ، وقد بدا مظهره غريبا فى الوسط الذى كان يحوطه ٠٠ اذ بدت ملابسه ـ رغم جدتها ـ مخالفة لازياء الحضر ، شبيهة بتلك الملابس التي يرتديها الريفيون فى أعيادهم ٠٠ وكانت قبعته منزلقة الى مؤخرة رأسه ، مماثلة لقبعات أهل الجبال ، ذات حافة عريضة واسعة ٠٠ وقد بدا تحتها شعر أسود كث ، أضفى على وجه الشاب مظهراً خاصا ٠٠ أما بشرته فكانت فى سمرة بشرة العمال الزراعيين ٠٠ ولكن عينيه كانتا أقوى مايجتذب النظر اليه ٠٠ كانتا واسعتين ، سوداوين ، لايشع منهما أى حبور يوحى بأن الفتى فى نزهة فى المدينة ٠٠ ولم تكن نظراتهما موجهة الى الناس ولا الى الاشجار والزهور ، ولا الى زجاجة النبيذ التى استوت أمامه على المائدة وقد فرغ نصفها ٠٠ وانما كانت تترامى الى أفق بعيد غير منظور ٠٠

وقالت «ماديلون» : « هذا هو الوجه الذى رأيته هذا الصباح فى نافذة الطابق الذى يعلو المقهى » !

وكانت يدها تتشبث بذراع زميلها فى انفعال ، فربت هذا عليها ملاطفا وقال :

ـ يبدو ان منظر هذا الفتى أثار اعصابك ٠٠ امكثى هنا وسأذهب اليه ٠٠

وتركها على أحد المقاعد العامة الى جانب الطريق ، ثم سار الى الفتى ، فسأله فى لغة فرنسية مفهومة :

ـ هل تنتمى الى ذلك المقهى المنعزل القريب من «سان فليكس»؟ ٠٠

وتطلع اليه الفتى لحظة فى ارتياع ، وقد انفرجت شفتاه ٠٠ ولكنه لم يجب ٠٠ فعاد مستر «بيللينجهام» يسأله وهو ينتقى كلماته فى عناء :

ـ اننا لم نعثر على أحد فى المقهى ، فخشينا أن يكون ثمة سوء ٠٠

وهنا اندفع الفتى يتكلم بسرعة ، وانفعال ، فى لهجــــة حول مستر «بيللينجهام» جاهدا أن يفهمها ، ولكن دون جدوى ! .. فتلفت حوله ، واذا «ماديلون» قد لحقت به .. فقال لها فى حيرة .

ـ يبدو أن هذا الراعى يتكلم لغة من ابتكاره .. والظاهر انى ضايقته ، ولكننى لاأفهم كلمة مما يقول ..!

ـ هذه لهجه الايطاليين المقيمين فى أطراف «مونت كارلو» ، دعنى أحاول التفاهم معه ..

وراحت تتحدث الى الفتى فى رفق وصبر ، ولكنه هـــز رأسه ، وملأ كوبه من زجاجة الخمر ، ثم أشاح عنهما ، غير مكترث بوجودهما ، ولا بأسئلة «ماديلون» ، حتى برمت به اخــــيرا ، فجذبت صاحبها قائلة :

ـ هيا بنا ، فهو يابى أن يجيب .. انه يتظاهر بعدم الفهم ، ولكننى موقنة من أنه يعى ما أقول .. فلنتركه ..

ـ أصبت .. وعلى كل حال ، فأمره لايعنينا فى شىء ..

وانطلقا .. وتبعهما الفتى ببصره متجهما ، ثم تحـــول بملأ كوبه بمزيد من النبيذ ..

ولم يكد مستر «بيللينجهام» يسـلم «ماديلون» الى بعض معارفهما ، حتى غافلها وتسلل عائدا الى المشرب الذى رأيا فيه الفتى .. ولكنه لم يجد لذلك الفتى أثرا ..

وهز كتفيه ، وحدث نفسه وهو يغالب قلقا غريبا خالجه : « على كل حال .. أمره لايعنينا فى شىء ! »

غموض متزايد !

◆ **ومع** أنه كرر هذه العبارة مرتين ، الا أنه وجد نفسه فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ، يسعى الى المقهى القائم على حافة الغابة !

وغادر السيارة التى أقلته ، قبل أن يبلغ المقهى بقليل ، وقطع المسافة الباقيـــة على قدميه ٠٠ ولم ير دخانا ينبعث من مدخنة المبنى ٠٠ وأجفل اذ رأى المائدة التى كانوا يجلســون حولها في اليوم السابق ، لاتزال تحمـــل الكؤوس والزجاجة والنقود ، كما هي . لم يمسسها أحد ! فتمتم لنفسه :

ـ يظهر أن أحدا لايمر بهذا المكان الا نادرا ٠٠ ثم ٠٠ لابد أن الذى كان يعنى بالمكان غادره فى عجلة ، حتى انه لم يعـن باغلاق بابه ٠٠

وولج المكان ، فاذا كل شيء على مارآه عليه بالامس تماما ٠٠ وفتح الباب المؤدى الى المطبخ ، ونادى بصوت مرتفع ٠٠ ولكنه لم يتلق جوابا !٠٠ وصعد الى الغرفة العلوية ، فاذا هي كمـــا وجدها بالامس ٠٠ وفيما هو يهبط ثانية ، لاحظ بابا يفضي الى الغابة ، فتبين أن صاحب الوجه الذى رآته «ماديلون» فى النافذة ، كان قادرا على أن يغادر البيت في ثوان قلائل خلال هذا الباب ٠٠

وارتد الى المطبخ ، ففطن الى باب صغير الى جوار الموقد . غفل عنه من قبل .. وكان يبدو كباب صوان انشىء فى الجدار. فسار اليه ، ودفع المزلاج الذى كان يقفله .. وقبل ان يجذب اليه الباب ، كان قد أدرك ما هناك ، فاسرع يغلقه ثانية .. وترنح فى وقفته والعرق يتصبب من جبينه ، وانفاسه تتتابع فى سرعة وتهدج !

جثة في دولاب !

◆**ولم** ينقض ربع الساعة حتى كان مستر «بيللينجهام» يجلس الى قاضى التحقيق فى قرية «سان فليـكس» .. واذ تمالك نفسه ، راح ينتقى عباراته الفرنسـية بعناء ، ليقول للمحقق :

ـ هناك امرأة قتلت فى حانة صغيرة عند طرف الغابة !..

وشهق المحقق .. وشهق معه رجل البوليس الذى كان يزامله فى الغرفة .. وبينما اخذ المستر «بيللينجهام» يروى



القصة ، انهمك المحقق فى تدوين بعض الملاحظات فى انفعال .. فقد كانت جريمة القتل حدثا كبيرا نادرا فى المنطقة ..

ورفع المحقق راسه ليسأل : «اتقول ان ذلك الفتى .. ؟»

فقال المستر «بيللينجهام» مستطردا : «انه غريب .. واغرب ما فيه نظراته .. انه يبدو ابله .. خائفا ، مذعورا ، كأنما ثمة رعب يطارده .. ومع ذلك ، فان منظره لا يخلو من شيء يوحي بالخبث .. !»

◆ **وقال** قاضي التحقيق للمستر «بيللينجهام» وهو ينطلق معه الى الحانة ، يصحبهما رجل البوليس : «ان المقهى يتولاه رجل طيب السمعة يدعى «بيير آنسون» ، وقد اعتاد ان يقيم فى المبنى معه ومع زوجته — وهى بلا شك القتيل — قريب لهما فى باكورة الشباب ، لم نسمع عنه ما يوحى بحسن السيرة .. **وكان «آنسون» يلازم الحانة لا يبرحها الا مرة كل شهر ، ليشترى حاجيات التموين .. اما زوجته ، فالمعروف انها كانت تدخر مالا .. واما الشاب ، فيقال ان امه قريبة لهما فقيرة ، تقيم فى «نيس» .. ويقال ايضا ان سمعتها ليست فوق الشبهات ، وانها كانت تجد فى ابنها عبئا ثقيلا ، وقد كادت تتخلص منه بطريقة ما ، لولا ان كفله «انسون» وزوجته !**

وتساءل بيللينجهام : «ولكن .. الم يستثر اهتمامكم امر الرحلة الشهرية التى يقوم بها «آنسون» ؟ ..»

ـ الواقع ان الرجل حسن السمعة كما ذكرت لك .. به ان بوسعه ان يتعلل بانه يطوف بالاسواق ؛ وهى عاده القوم هنا ، فليس ثمة ما يدعو الى الريب ..

ـ واين هو الآن ؟..

ـ حدث من ثلاثة ايام ان تلقى نبأ عن وفاة قريب له فى «مارسيليا» .. وقد عرفت ذلك لانه جاءنى يستفهم عن الاجراءات التى يجب ان تتخذ لدفن الميت .. ثم رحل . وكان المرتقب ان يعود الليلة .. وقد ترك زوجته وابن قريبتها وحدهما .. وما اظن المرء فى حاجة الى عناء ليحدس ما جرى !!

فزفر مستر «بيللينجهام» فى اشفاق ، وقال على كره منه:

ـ لقد كان ذلك الشاب ـ الذى تبينت الان انه ابن قريبه زوجة «آنسون» ـ يشرب الخمر فى «كافيه دو بارى» بمونت كارلو ليلة امس .. وقد ارشدتنى اليه الفتاة التى كانت معى فى المقهى .. اذ اكدت ان وجهه هو نفس الوجه الذى لاح لها فى نافذة الغرفة التى تعلو المقهى ..

وهز المحقق رأسه قائلا :

ـ الواقع انها جريمة غير مستغربة فى هذا الوسط .. فان اراقة الدماء تبدو هينة للريفى الذى من هذا الصنف ، اذا ما لعبت الخمر برأسه واستهوته المتعة التى ينتظر ان ينعم بها اذا ما توفر له المال ..!

وصل ثلاثتهم الى المقهى ، فغاب المحقق ورجل البوليس فى المبنى ، بينما آثر المستر «بيللينجهام» ان يجلس فى الخارج. مشفقا على نفسه من رهبة الجو الذى كان يخيم على المكان..

وعاد الرجلان اليه بعد ساعة ، فقال قاضى التحقيق يخاطب بيللينجهام :

ـ ان الامر واضح لا يحتاج الى امعان فكر .. لقد

اختفى مال المرأة المسكينة .. ولن ينقضي يوم حتى يكون الفتى في قبضتنا .. وما اظنك يا سيدى تضن بحضور التحقيق لتدلي بشهادتك ..!

وهز رأسه فى رثاء وقال : «مسكين آنسون» .. لسوف يعود بقطار المساء .. فما ابشع ما سيجده فى انتظاره !».

لايكف عن طلب النقود !

◆ **وكان** منظر «آنسون» فى قاعة التحقيق فى الصباح التالى يدعو الى الاشفاق حقا .. كانت الفجيعة قد احنت ظهره وهدت كيانه ..

وكانت «ماديلون» تتأمله باهتمام ، اذ اصرت على ان تصحب المستر «بيللينجهام» الى التحقيق ..

وسأل المحقق المسيو «آنسون» عما يعلمه عن نقود زوجته ، فقال وقد تبادرت الدموع الى عينيه وانحدرت على وجنتيه فى اسى :

ــ كانت شديدة التقتير .. وكانت تتكتم مالها ، حتى انها لم تذكر لى مقداره قط ..

ــ وهل كان قريبك الشاب ــ الذى القينا القبض عليه ــ اهل لان تترك زوجتك معه حين سافرت الى «مارسيليا» لتدفن قريبك المتوفى ؟.. كيف ائتمنته على زوجتك فى تلك البقعة المنعزلة وانت تدرى ما يسمعه الكل من ان سمعته ليست فوق الشبهات ؟..

ــ انني ادرك انه كان لا يكف عن طلب النقود ، ولكنه كان .. ابن اختها !.. وما كنت احسب انه يقدم يوما على عمل فظيع كهذا ..

ــ ابن اختها !؟ .. واين امه ؟..

ورفع الرجل بصره مرة اخرى فى وجوم .. ثم قال والدموع تنساب من عينيه :

ـ لست ادرى .. اظنها فى «نيــس» .. ان علاقتنا منقطعة بها !..

ـ واين اعتدت ان تذهب كل شهر ؟..

ووجم الرجل مرة اخرى ، ثم قال : «كنت اذهب لابتياع حاجات الحانة من مؤن» ..

ـ من اين ؟.. من «نيس» مثلا ؟..

ـ منها .. ومن سواها ..

وانخرط الرجل فى البكاء .. وانحنى القاضى على الاوراق التى كانت امامه يفحصها ..

وخطت «ماديلون» اذ ذاك بضع كلمات علي وريقة دفعت بها الى المستر «بيللينجهام» فالقي عليها نظرة ، وتطلع الى «ماديلون» فى دهشة .. وارسل الوريقة الي قاضي التحقيق، الذى تأملها بدوره لحظة ، ثم فركها بين اصابعه ، وسأل «انسون» بغتة :

ـ اين نزلت فى ((مارسيليا)) يا ((بيير آنسون)) ؟..

فتطلع الرجل اليه فى وجوم كعادته ، واذ ذاك اعاد المحقق سؤاله ، فهز رأسه واجاب :

ـ فى نزل صغير على مقربة من الميناء ..

ـ ما اسمه .. وما عنوانه ؟..

ـ لست اذكر .. انه نزل صغير قريب من المكان الذى توفى فيه ابن عمى ..

والآن ، ايها القارىء .. هاهى ذى كل تفصيلات الجريمة .. وهى قد لاتحتوى على ادلة مادية تحدد القاتل ، ولكن المعلومات غير المادية وافية ضافية ، تكفى على الاقل لتوجيه اصبع الاتهام .. فاى الرجلين ترجح ان يكون القاتل الحقيقى ؟.. امتحن ذكاءك وفطنتك ، فاذا وصلت الى نتيجة ، فانظر بقية القصة على صفحة ١٧٤ من هذا العدد

شعوب العالم وكيف تعيش - ٣

تعال معي .. إلى بلاد الدانوب

للرحالة ا . ف . اردلي



نهر السحر والجمال .. والمتناقضات!

◆ بين لحن «شتراوس» الخالد - «الدانوب الازرق» - وبين موسيقى الفجر ذات الانغام الساحرة .. بنساب «الدانوب» حالما ، يثير فى رؤوس الشعراء أبدع الخيال .. وفى نفوس الموسيقيين أروع الانغام .. وفى قلوب الشباب اسمى الوان العاطفة .. وفى نفـوس الناس طرا أجمل المنى والاحلام !

على ضفافه يلتقى القديم بالجديد ، فيذوب كل منهما فى الاخر ليخلقا جوا قائما بذاته لا شبيه له فى قديم ولا فى جـديد !.. يلتقى الشرق بروحانياته وتقاليده ، والغرب بمادياته و«تقاليعه» ، فيمتزج كل بالاخر ، واذا منهما عالم فريد فى نوعه ، لاهو الى الغرب ، ولا هو الى الشرق .. لا هـو الى الروحانيات ، ولا هو الى الماديات ..

ذلك هو .. «الدانوب» !.. اطول انهـار اوربا .. يستمد مياهه من بلد يؤمن بالقوة والروح العسكرية - اذ ينبع من الغابة السوداء فى المانيا الجنوبية - ويصب مياهه فى بحـر يتنازع السيادة فيه بلدان ، يؤمنان ايضـا بالقوة والروح العسكرية - وهما تركيا وروسيا .. وفيما بين المنبع والمصب ، ينساب هادئا ، حالما ، فى ست دول ، تمقت القوة والـروح العسكرية ، لانها تؤمن بالسلام ، والحـب ، والفن ، والادب ، و.. الحرية !



مع الدانوب عبر النمسا

◆ والدانوب يبدأ صغيراً ، متواضعا .. ثم ياخذ فى النمو والاتساع ، كلما ابتعد عن المانيا واوغل فى الاراضى النمسوية ، حيث يتعرف على ثانى شعب يعيش على مجراه ..

ونصف أهل النمسا تقريبا من الفلاحين المدينين ، المصرين على التعلق بتقاليدهم ، وبزيهم القومى القديم . وهم مثال للجد والكدح والعمل المثمر.. فما أن وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها ، حتى نشط النمسويون لبناء اقتصادهم القومى من جديد ، فاذا صناعات الالبان والجبن التى انشاوها تنافس اشهر الصناعات المماثلة فى بقية اجزاء العالم .. واذا محصولاتهم من بنجر السكر والبطاطس تنتعش .. واذا هم يستنبتون من الغلال ما يكفيهم مؤونة الاستيراد .. ولم تنقض خمس سنوات حتى كانوا قد شيدوا شبكة من الفنادق فى طول بلادهم وعرضها ، اجتذبت السياح من مختلف البلدان ، فى مختلف فصول السنة .. فان النمسا تمتاز بمصايف على ضفاف البحيرات ، ومشات على سفوح الالب النمسوية التى تتيح ميادين لهواة الانزلاق على الجليد ، فضلا عما فيها من مراع وغابات تدر الاخشاب .. وليست هذه كل ميزات جبال النمسا ، بل أنها تضم فى جوفها ثروة طائلة من الفحم والحديد مكنت للمصانع أن تقوم وللاهالى ان يجدوا ميادين للعمل..

ليالى الانس فى « فينا » !

◆ على ان كثيرا من الصناعات النمسوية راحت تزحف حتى استقرت فى «فيينا» وضواحيها .. فى العاصمة التى ابت ان تكون للنمسا وحدها ، فاكتسبت لنفسها صبغة دولية صبغت كل نواحى الحياة فيها ، وتمثلت فى كل شىء .. بل وفى اهلها انفسهم .. حتى ليقال ان اشد ابناء «فيينا» انتماء اليها لا يعدم بين اجداده جدا «تشيكيا» وجدة مجرية !

ويتعرف «الدانوب» فى «فيينا» على أول الوان حياة الشرق .. فهى اول مدينة فى اوربا الشرقية تجد فيها المقاهى الزاخرة بالرواد من هواة التسلية وقتل الوقت ، حتى لتكاد تكون تلك المقاهى من المنتديات التى لا غنى للمجتمع عنها !.. وفى حوانيت فيينا تسمع اولى عبارات الجدل والمساومة بين الباعة والمشترين .. على ان اجمل ما فى «فيينا» حقا ، هى ملاهيها ، وموسيقاها ، و.. لياليها الحافلة بالانس والطرب .. لم ينتقص منها انها اليوم موزعة بين أكبر كتلتين تتنازعان النفوذ فى تاريخ المسرح السياسى الدولى ..

الى تشيكوسلوفاكيا .. بلد الحرية !

◆ ومن النمسا ، ينحدر «الدانوب» الى «تشيكوسلوفاكيا» ، الدولة التى ظهرت فى الوجود فى اعقاب الحرب العالمية الاولى ، فسرعان ما ضربت للعالم مثلا فى تعشق الحرية وتشرب معانيها وروحها ..

والشعب التشيكوسلوفاكى تواق الى تنمية مواهبه الطبيعية واستغلال خيرات بلاده ، رغم النكبات التى جثمت على صدره نتيجة للحرب العالمية الثانية .. وليست القومية لدى التشيكيين مجرد نعرة وعاطفة ، وانما هى فلسفة متغلغلة فى أعماق نفوسهم .. ومن هنا ينبعث رجاء الديموقراطية فى انهم لن يلبثوا يوما أن ينتفضوا على ربقة الشيوعية

وقد يبدو التشيكيون شعبا هادئا ، وادعا ، ولكنه اذا ثارت مشاعره ، انقلب متحمسا ، متقدا فى حماسة .. وهو من ارقى الشعوب حضارة ، ومن ثم تجد افراده يبرزون فى العلوم والاداب والفنون .. وتجد قادته وزعماءه بين استاذ ، وعالم ، واديب ، وفنان ..

◆ على أن الصفة الغالبة فى التشيكيين هى انهم عمليون .. لم يكادوا يفطنون الى ثروة بلادهم من الحديد والفحم حتى اقاموا الصناعات .. ويكفيهم فخرا أن منهم سليل اسكافى ــ هو «توماس باتا» ــ استطاع أن يقاوم الحفاء فى مختلف ارجاء العالم ، من الهند حتى اقصى امريكا الجنوبية ، بفضل ما ابتكر من احذية رخيصة !

وهم أيضا صناع بيرة «بيلسن» ذات الشهرة الذائعة فى مشارب الدنيا.. فهم شعب ينزل البيرة منزلة الماء .. وتجد الصغار والكبار يلتفون حول اقداحها فى المشارب يتجاذبون اطراف الحديث .. وللمقاهى عندهم مالها فى «فيينا» من انتشار ، لا يفوقها فى ذلك سوى المطاعم .. حتى ليقال ان بين كل متجر واخر فى شوارع «براج» ، مطعما للشواء ، يقدم «السجق» واللحم المشوى لرواده فى اية ساعة من النهار او الليل ..

ويهوى اهالى المدن الصغيرة والقرى تكوين الجمعيات .. ومن النوادر التى يتفكهون بها فى «بوهيميا» ان ما من ثلاثة من التشيكيين اجتمعوا ، الا واتفقوا على انشاء جمعية ، يوقفون انفسهم على احيائها .. ومن ثم تجد فى كل قرية فرقة للتمثيل ومنتدى رياضيا يخضع فى الغالب لهيئة «سوكول» التى كانت تشرف على الرياضة فى البلاد كلها ، والتى لقى الشيوعيون منها اقوى مقاومة فى بداية حكمهم ..

بين دخان الغليون وقصص المغامرات

◆ وينتشر التشيكيون في ارجاء العالم ، حتى انك لتجد منهم صاحب مشرب ، او مهندسا ، او ترزيا ، أو اسكافيا ، في أقصى مجاهل الارض .. ويتالف الشطر الثاني من هذا الشعب من فلاحين «السلوفاك» الذين يعيشون في جبال الكربات ، لا يشاطرون «التشيكيين» ولعهم بالنشاط الاجتماعي ، وان كانت لهم اجتماعاتهم الريفية الخاصة ، حيث يرددون الاغاني السلوفاكية المليئة بالشجن ، وحيث يمارسون رقصاتهم القومية ..

و«السلوفاك» قوم مغامرون ، اعتادوا ـ قبل ان يساهموا في انشاء دولة «تشيكوسلوفاكيا» ـ ان ينتشروا في الارض .. وكم من الاف منهم هاجروا الى كندا والولايات المتحدة .. فكانوا يمارسون مختلف المهن ليجمعوا الاموال ، بينما تبقى زوجاتهم واولادهم في ارتقابهم في وطنهم .. فاذا عاد الواحد منهم بعد سنوات ، كان في جيبه من المال ما يكفيه لان يشيد لاهله دارا ، وان يضيف الى اراضي اسرته مساحة جديدة ، وان يقضي ما تبقى من العمر يدخن «الغليون» ويروي الاقاصيص عن غرائب الامريكيين و«تقاليعهم»!

سادة المجر .. و «أكل» الديون !

◆ وينتقل بنا «الدانوب» بعد ذلك الى «هنجاريا» ، أو المجر ..واهل المجر ما يزالون يعيشون في ذلك الجو «الرومانتيك» الساحر الذي يسود سهول آسيا التي هاجروا منها منذ نحو قرنين من الزمان .. وهم يتحدثون بلهجة التعالي كاهل الشرق ، ويحتدون سريعا فلا يفض مشاحناتهم سوى الخناجر !..

وتتمثل ثروة المجر في سهولها المنخفضة .. حيث يعيش اكثر المجريين احتفاظا بصفاء عنصرهم ، عاكفين على الزراعة ، وتربية المواشي والاغنام والجياد .. تماما كاهالي السهول الاسيوية التي انحدر اجدادهم منها !

ولقد كان ثراة المجر يعيشون الى عهد قريب عيش السادة في عهد الاقطاع ، لا يزاولون سوى أرقى الاعمال الرفيعة .. كملكية الضياع ، وشغل مناصب الجيش العالية .. وكان من حكم القوم المأثورة : «اذا شئت ان تبدو سيدا ، فلا تبد دهشة لشيء ، ولا تتعجل في امر ، ولا تكن من الغباء بحيث .. تسدد ديونك» !.. وكان ترفع الثراة يسف الى درجة ترك الاعمال المالية «والتجارية» والصناعة والعلوم والادب» للطبقات الوضيعة .. بالنسبة اليهما..

وكانت «بودابست» ـ عاصمة المجر ـ عروس «الدانوب» الى ما قبل الحرب الاخيرة .. تستلقى على ضفتيه ، فاتحة احضانها ليلقى كل مسافر بنفسه فيها ، ولو لبضع ساعات ، يرتاد خلالها مقاهيها العديدة ، وفنادقها الفاخرة ، ومطاعمها الانيقة ، ومشاربها .. ومسارحها .. وصالات الموسيقى.. وغيرها من الملاهى التى تتصاعد فى جوها انغام «الفجر» الساحرة !..

والآن الى .. يوجوسلافيا

◆ ثم يلتوى «الدانوب» الى الجنوب الشرقى ، ليصل الى «يوجوسلافيا» .. اى بلاد «السلاف» الجنوبية !.. اذ تضم ابناء العناصر «السلوفينية» و«الصربية» و«الكرواتية» .. وكلها من «السلاف» الذين وفدوا على اوربا قبل المجر بمائتى عام ، ثم فرقتهم الفوارق الدينية ، وان ظلت لغتهم واحدة فى اصلها لم تغيرها سوى شوائب فى اللهجات ..

و«يوجوسلافيا» من بلاد البلقان فى الواقع .. وهى جبلية فى اغلب بقاعها ، واهلها هم اكثر البلقانيين ديموقراطية ، اذ انهم جميعا سلالة فلاحين اشداء ، ذوى اجسام فارعة عريضة ، وقلوب ساذجة نظيفة .. ولذلك تجد القوم مطبوعين على الطيبة ، والود ، والكرم ، وحب المعاشرة .. لا تكاد تمل الحديث اليهم ، ولا الاستمتاع بطعامهم وشرابهم ورقصهم وغنائهم .. ولا هم يملونك او يضنون عليك بشىء اذا مالت اليك قلوبهم !.. وما اسعدك لو دعيت الى حفلاتهم واعيادهم القروية ، حيث ترى بعض طقوس من بقايا الوثنية .. ولعل اظهرها موكب «الدودول» ـ حين يشتد الجفاف والقحط ، اذ تخرج نساء القرية فى زى خاص غريب ، فيجسن خلال الحقول ينشدن اغانى حزينة يتوسلن فيها الى الامطار ان تهطل ..

قدح للترحيب .. وقدح يدعوك للانصراف !

◆ على ان الكرم ليس وقفا على قرى «الصرب» ، بل انك لتجده فى مدنهم ايضا ، حيث لا تزور صديقا ـ فى بيت او متجر او عمل حكومى ـ الا وقدم لك القهوة التركية ، ومضى يتنقل بك بين الاحاديث جميعا ، الا حديث العمل .. ثم تفاجأ بالقهوة تقدم ثانية وانت لما تطرق الموضوع الذى جئت من أجله .. ولن يقدر لك أن تطرقه الا فى زيارة ثانية ، لان القدح الثانى من القهوة معناه فى عرفهم .. تفضل .. غير مطرود !..

ويولع اهل الصرب ـ كبقية البلقانيين ـ بالحديث ، وخاصة حديث السياسة .. ولا تكاد تصادف عددا منهم ـ في مقهى أو مطعم او اى مكان ـ الا وجدتهم يتكلمون عن اخر الاحداث ..

وعلى نقيضهم «السلوفينيين» .. سلاف الجنوب الغربي ، الذين تسربوا من «تريستا» .. فهؤلاء يشبهون في حياتهم الماني النمسا الى حد كبير .. ولقع بلادهم بين جبال الالب الجنوبية ، وقد تناثرت فيها البحيرات الجميلة .. وهم اكثر اليوجوسلافيين اقبالا على ممارسة الصناعات ، ويرتدون الثياب الغربية ، على عكس معظم مواطنيهم ..

بين عشائر « الكروات »

◆ ويجاورهم ـ الى الشرق ـ الكروات .. سلالة قوم محاربين ، لا تزال تبدو انقاض معسكراتهم الدارسة في القرى ..

وهم فلاحون ، يتشبثون بتقاليدهم وازيائهم القومية .. ويتعصبون في ولائهم للكنيسة الكاثوليكية .. وقد كان هذا الولاء الديني من الاسباب التي ادت الى تمرد يوجوسلافيا الشيوعية على نفوذ روسيا منذ اربعة اعوام ..

ويعتز «الكروات» بالروابط العائلية ، فلا يكاد القروى منهم يبلغ الثامنة عشرة ، حتى يسعى للزواج .. ولا تكاد الفتاة منهم تبلغ الخامسة عشرة حتى تغدو صالحة لان تكون زوجة .. وتستمر افراح القران عندهم ثلاثة ايام تقدم فيها اللحوم والحلوى والخمور بسخاء وكرم ، ولا يكاد القوم خلالها يكفون عن الغناء والرقص ..

ومن تقاليدهم ان ينشا الاطفال في رعاية جدهم وجدتهم ، بينما ينطلق الوالدان للعمل في الحقل ورعاية المواشي .. وتستاثر الزوجة ببعض الدجاج والبان الماشية تبيعها وتنفق ثمنها في شرء لوازمها ..

وتمتاز بلاد «الكروات» بخصوبة سهولها ، ومن ثم يعتبر أهلها اغنى وارفع مكانة من بقية البلقانيين ..

المرأة المسلمة تذهب الى عملها « محجبة » !

◆ اما مقاطعتا «البوسنة» و «الهرسك» فجبليتان ، تكادان ان تكونا بمعزل عن بقية البلاد .. ولاتزال تتوج قمم جبالهما اطلال القلاع القديمة.. وتمتازان عن بقية اوربا بانهما تضمان اكثر من مليون مسلم من سلالات الصرب والكروات والاتراك .. وهم من اشد المسلمين تمسكا بتعاليم دينهم وتقاليده ، فلا تزال «المشربيات» تحجب نوافذ بيوتهم عن أعين المتطلعين ، ولا تزال نساؤهم لا

رين فى الطرقات الا متحجبات ، ملتفات فى الملاءات ، فى حين يحرص رجالهم على ارتداء الطربوش او العمامة ..

وفى صحون مساجدهم ، ترى العلماء يرتلون القرآن .. ومن فمم مآذنهم ينبعث الاذان فى اوقات الصلاة .. وفى بيوتهم لا يزال قسم «الحريم» ذا حرمة وقداسة .. وليس ادعى لغضب المسلم منهم من ان تسأله عن زوجته ، على عادة الغربيين .. او عن زوجاته ، فان كثيرا منهم يقدم على تعدد الزوجات

واقصى مسايرة للعادات الغربية عندهم ، هى ان يصحب «الافندى» الزوجة الاثيرة لديه الى مطعم ليتناولا العشاء . ولكن اى غريب لا يستطيع ـ مع ذلك ـ ان يراها فى بيتها ، أو ان يحييها فى الطريق .. وهى قد تخرج الى السوق وحدها ، وفى أحدث الازياء ، ولكنها ابدا محجبة الوجه ..

وقد تعمل المسلمة فى المتاجر أو المكاتب والشركات ، فاذا خرجت الى عملها ، حرصت على ازارها وحجابها ، لا تخلعهما الا بعد ان تستقر فى مكان عملها .. ومهما بلغت درجة تعلمها ، فهى ابدا لا تاخذ بالسفور !..

صقور الجبل الاسود !

◆ بفى ركن من «يوجوسلافيا» عبر الجبل الاسود ، تقيم فيه عشائر «مونتنجرو» الصربية .. واهل هذه العشائر ـ رجالا ونساء ـ طوال القامة نحاف الاجسام ، محاربون اشداء ، وتجار ورعاة مهرة .. كانوا حتى الحرب العالمية الاولى يقيمون بين صخور بلادهم السوداء ، فى حياة تشبه حياة العصور الوسطى .. وكانوا يؤلفون امارة منفصلة ، يراسها امير او قيصر .. ولكنهم انضموا عقب الحرب الاولى الى «يوجوسلافيا» منذ انشائها ..

وصقور الجبل الاسود ، خصوم اشداء اذا استثيروا .. ولكنهم فى العادة ذوو ود وكرم .. يحتفون بالغريب ، ويرعون الاجنبى ويولونه صداقتهم ..

تعال نسبح الى .. بلغاريا

◆ ويعرج «الدانوب» بعد ذلك على افقر بلد فى وسط بلاد «البلقان» .. على «بلغاريا» التى تمتد خلالها جبال «البلقان» الشامخة التى يطوف الغموض بقممها ..

ويعيش البلغاريون على الاغنام ، و«عباد الشمس» ، والتبغ ، والورود .. فمن الاغنام يحصلون على اللحوم واللبن الذى يصنعون منه «الزبادى» والجبن وهما أهم اصناف طعامهم .. ومن بذور «عباد الشمس» يحصلون على الزيت

.. اما تبغهم ـ وهو من اجود الاصناف التركية ـ واما زيت ورودهم ـ الذى يعتبر من احسن الزيوت العطرية ـ فيؤلفان اهم مادتين فى صادراتهم التجارية ..

وقد ادى عدم وجود مناجم او صناعات فى البلاد الى اقبالهم على النزوح فى اوائل ربيع كل عام الى اوربا الوسطى ، ليستأجروا الاراضى فى المجر والنمسا وتشيكوسلوفاكيا والمانيا ، فيزرعونها بالخضر التى يمدوا بها الاسواق المحلية .. حتى اطلق عليهم لقب «بستانيى الخضر لاوربا الوسطى» .. وقد اعتادوا أن يقضوا فى هذه الحال تسعة شهور من كل عام ، يعملون خلالها دائبين لاربع عشرة ـ بل لثمانى عشرة ساعة ـ فى اليوم ، قانعين بالعيش الكفاف ، ليعودوا الى اهلهم فى اواخر الخريف بما يكفل لهم العيش بقية العام ..

ولا يحب البلغار شعبا قدر حبهم روسيا ، فهى التى حررتهم من ربقة الاستعمار العثمانى فى سنة ١٨٧٧ ، وفيها مركز الكنيسة التى يتبعونها .. وقد ازدادت علاقتهم بالروس توطدا بعد أن حرروهم من الاحتلال النازى ايضا فى الحرب الاخيرة ..

رومانيا .. آخر دول « الدانوب » !

◆ وبعد ان يبارح «الدانوب» مدينة «بلغراد» ، يتسلل الى رومانيا .. آخر دولة فى رحلته الى البحر الاسود ، وهى تشغل ثلث طول مجراه ..

ويعتبر الرومانيون ان «الدانوب» نهرهم دون سواهم ، ومن ثم يتغنى به الشعراء ، ويبدع الكتاب فى وصف جماله وسحره ..

واربعة اخماس شعب رومانيا ، رومانيون اسما .. لمجرد انهم يتحدثون باللغة الرومانية ، ويتبعون العادات الرومانية !.. وتعتبر عاصمتهم «بوخارست» من اغرب العواصم ، فهى تجمع بين المظاهر التى تجدها فى اصغر المدن الشرقية وتلك التى تراها فى اكبر المدن الامريكية .. وتصادف فى اكبر ميادينها ـ «كاليه فيكتورى» ـ مئات من الفلاحين الحفاة ، وحفنة من الوجهاء المتأنقين والموظفين المتباهين بثيابهم الرسمية ، فى وقت واحد ..

ومع ذلك فرومانيا هى اغنى دول البلقان عموما ، فلها من البحر منفذ الى العالم ، وجبالها متوجة بالغابات الكثيفة ، تطوى صخورها على ثروة من الحديد والنحاس والكروم والفضة والذهب .. كما عثر الروس فيها فى السنوات الاخيرة على معدن «الاورانيوم» الذى يعد قوام الصناعات الذرية ..

أما التلال ، فتنبت الكروم الغنية بالخمور .. ومن ارض منطقة «بلويستي» تنبثق البترول بكمية لامثيل لها فى اوربا ..

◆ وانت تجد فى الفنادق الفخمة والمطاعم الانيقة المتناثرة فى «بوخارست» والمدن الاخرى اشهى الاصناف ، من «كافيار» ، و«شمبانيا» فرنسية ، ودجاج سمين شهى .. ولكن نشوة هذه الاصناف تتبخر من راسك حين ترى الفلاح فى جبال رومانيا يعيش على خبز الذرة والجبن «القريش» !.. وحين تجده لا يزال يعيش اسير الخرافات والتقاليد التى قد يرتد بعضها الى عهود الوثنيـــة ..

وعلى الرغم من أن الكنيسة الارثوذكسية كانت تبسط نفوذها الروحى على رومانيا ـ حتى اضطهد الشيوعيون رجالها فى السنوات الاخيرة ـ الا ان القوم ظلوا متمسكين بالاعياد التى توارثوا الاحتفال بها عن اجدادهم الغابرين ، وان خلعوا عليها أسماء مسيحية !..

حيث تعرض العذارى للزواج !

◆ ومن اطرف حفلاتهم القومية «سوق العذارى» التى تعقد على هضبة «جاينا» فى ٢٠ يوليو من كل عام ، ويسوق اليها الآباء بناتهم اللاتى بلغن سن الزواج ، ليختار الشبان منهن زوجات يعقد قرانهم عليهن فى الحال ..

ويعتبر «الغجر» من العناصر الهامة التى لا تكتمل رومانيا بغيرها .. وهم أشد من الرومانيين سمرة ، ولا يزالون يمارسون بعض العادات الوثنية الهندية القديمة .. كموكب «فاسيلكا» فى عيد رأس السنة ، اذ يأتون برأس خنزير ويبالغون فى زخرفته ، ثم يحملونه ويطوفون به على الابواب .. وكرقصة «بباروda» التى ترقصها بناتهم فى اوقات الجفاف .. اذ يتخذن من ورق الاشجار ازارا خفيفا ، وينتقلن من باب الى باب وهن يرقصن ويغنين لاغراء الامطار على السقوط ..

واغانى «الغجر» وموسيقاهم من الالوان التى لا يتم بهاء الحياة الرومانية بدونهـــا ..

وأخيرا .. يصل «الدانوب» الى مصبه ، فتسرى اغانى الرومانيين فى الجو العالم الذى يسيطر على سهول اوكرانيا ، يخالطها خرير الماء وهو ينساب الى البحر الاسود .. الذى يقبع على مر القرون ، ملتفا فى غلالة من السحر الغامـــض ..

حدث ذات يوم

من قصص التاريخ ومآسيه



عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب اعتدت ان اطوف بك فى سياحة فكرية شائقة نزور خلالها شتى البلاد والعصور ، كى نلم من كل منها بقصة .. ونشهد فى كل منها دراما من صميم الحياة والواقع

وهكذا مضينا معا فى عدد سابق الى ايطاليا ، حيث التقينا بسليلة السفاحين «لوكريشيا بورجيا» .. ثم تركناها لنغوص فى بطن الزمن ، فنلتقى بقيصر روما القديمة «تيبريوس» .. ومن هناك عدنا الى فرنسا فى عصر نابليون ، فعرفنا عشيقته البولونية «مارى فاليفسكا» .. ثم عبرنا القنال الانجليزى الى انجلترا ، حيث شهدنا مأساة ملكتها كارولين ، زوجة الملك جورج الرابع.. ومنها الى فينا ، عاصمة النمسا والغناء والخمر والنساء، حيث عشنا مع الاميرة العاشقة التى كانت لها قصة اغرب من اخصب خيال !.. ثم ارتحلنا الى باريس القرن السابع عشر حيث عرفنا قصة لويس الرابع عشر ومدام دى مانتنون

واليوم أنتقل بك الى روما القديمة لنتعرف فيها على طاغيتها السفاح (نيرون) ، الذى بز فى جرائمه اعتى المجرمين ..!

وفى الاعداد القادمة اقدم لك بمشيئة الله مزيدا من هذه القصص والمآسى التاريخية الشائقة



نيرون

الطاغية السفاح..
قاتل أمه..!



عندما تكون الحقيقة أغرب من الخيال !

◆ اذا كنت قد شاهدت فيلم «كوفاديس» أو سمعت عنه ، فاغلب الظن انك تساءلت : ترى هل كان «نيرون» حقا بالصورة التى اظهره عليها الفيلم ، أم هى مغالاة من مخرجيه استلزمتها الاغراض التجارية ؟ ٠٠ واذا كانت شخصيته التى ظهرت على الشاشة صادقة دقيقة ، فماهى جوانب حياته التى اغفلها الفيلم ٠٠ وماذا كان ماضيه الذى لم تتعرض له القصة السينمائية ٠٠ وما هو سجل «جرائمه» بالتفصيل ؟٠٠ وما قصص « اجريبينا » و « بوبيا » وغيرهما من النساء فى حياته ؟

كل هذه وغيرها اسئلة رأيت ان اجيبك عليها فى هذه الصفحات ، التى ستروى لك قصة نيرون الحقيقية كما سجلها التاريخ ، بغير ادنى تحريف او خيال !٠٠ وسترى فيها امثلة متوالية ـ سواء من حياة نيرون نفسه ، او امه ، او زوج امه الامبراطور ـ تؤكد جميعا ان «القاتل يقتل ٠٠ ولو بعد حين ! »

القاتل يقتل ٠٠ ولو بعد حين !

◆ **كانت** حياته منذ البداية سلسلة من الخداع والدسائس والفضائح التى اشتد تفاقمها حتى غدت طغيانا ، واجراما ، ووحشية ٠٠!

ذلك هو « لوسيس » بن « جنيوس دوميتيس اهنسباربس» الذى سجل التاريخ سيرته بالدماء والنيران ، تحت اسم « نيرون » !

فتح عينيه منذ نعومة اظفاره على الفتون والحيل التى راحت أمه « اجريبينا » تبذلها منذ وفاة أبيه ، حتى وفقت الى اغراء الامبراطور « كلوديوس » على أن يتخذها زوجة ـ بعد أن قتل زوجته الاولى بالسم ! ـ ثم على أن يتبنى ابنها هذا وينسبه اليه ٠٠ ثم يزوجه أخيرا من ابنته المدعوة « أوكتافيا » ٠٠ وكان نيرون وقتئذ لم يجاوز السادسة عشرة !!

وعند هذه الخطوة اطمأنت الام « اجريبينا » الى أن سبيلها لايثار ابنها « نيرون » بالعـــــرش ـ دون « بريتانيكس » ابن زوجها الامبراطور ـ قد أصبحت ممهدة ، وكانت تعتقـــد أن نفوذها على فتاها كفيل بأن يجعلها هى صاحبة السلطان والكلمة الاولى ، اذا ما حكم ٠٠!

وظلت تهدهد هذا الامل حينا ، وهى تتشاور مع « لوكستا » ـ أدهى ساحرة برعت فى تحضير السموم فى روما فى منتصف القرن الاول الميلادى ـ حتى حانت لها الفرصة فى سنة ٥٤ ، بعد الميلاد ، فدست لزوجها الامبراطور سما زعافا لم يقو علم طبيبه « اكسينوفون » على انقاذه من فتكه ٠٠ فمـــات بنفس الوسيلة التى قضى بها على زوجته الاولى !

يقتل صاحب العرش الشرعي

◆ **مات** «كلوديوس» ٠٠ وأفلحت «اجريبينا» فى أن تنصب ابنها « نيرون » امبراطورا ، ولما يتجاوز الســـابعة عشرة من عمره !٠٠

وبدأ الفتى بداية طيبة ٠٠ كان لا يبرم أمرا الا بمشورة مربيه ومعلمه ـ الفيلسوف « سنيكا » ـ ولكنه لم يكد يبلغ رشده ، حتى تمرد على أستاذه ، وعلى مستشاريه ٠٠ بل وعلى أمه !

وعز على « اجريبينا » أن يتمرد عليها ابنها وهى صاحبة الفضل فى تسنمه العرش، فراحت تهدده بأن تضيع عليه سلطانه، بأن ترد الى « بريتانيكس » عرشه المغتصب ٠٠!

وهنا لجأ « نيرون » الى « لوكستا » ، كما لجأت اليها أمه من قبل ٠٠ وبفضل سموم الســـــاحرة العجوز ، تخلص من « بريتانيكس » ٠٠ السيف الذى أشهرته أمه فوق عنقه !

◆ **وكانت** هذه الجريمة فاتحة سلسلة من الجرائم البشعة ٠٠ فقد انقلب « نيرون » الى وحش أهاجته رائحة الدماء ٠٠ فكانت

أتفه ريبة تحوم حول شخص كفيلة بأن تغرى الطاغية بالقضاء عليــه !

.. وتتابعت الضحايا ، وهو مغرق فى اللهو والفجــور والشرور ..

غدت ملذاته وأهواؤه فوق كل شيء .. وغدا البطش طابعا يسم كل تصرفاته .. وكان لا يفتأ يقول : « ان أسلافى كانوا يجهلون حقوق السلطان .. ولقـــد يكرهني الشعب ، ولـكنه سيرهبني ويخافني » .. فكان الارهاب سلاحه فى الحكم !

وعندما انتقد أستاذه « سنيكا » تصرفاته ، لم يتورع عن قتله !.. وهجاه الشاعر « لوكان » فألحقه بالفيلسوف !.. ثم اشتد الجفاء بينه وبين أمه فسعى حتى اوردها حتفها ولما تنقض خمس سنوات على رفعها اياه الى العرش ..!

ثم التقى ببوبيا ، الفاتنة التى ملكت قلبه وحواسه ، فلم يتردد فى أن يطلق زوجته « أوكتافيا » من أجلها .. ثم ألحق المطلقة المسكينة بأمه وضحاياه العديدين .. وبذلك خلا له الجو مع عشيقته ، فتزوج منها ، ليغدر بها فيما بعد ، كما سيجيء !

يغني .. وروما تحترق !

◆ **وهكذا** استبد به جنون القتل والتخريب ، حتى ليعزى اليه انه مدبر الحريق الذى اجتاح روما فى سنة ٦٤ ودام ستة أيام وسبع ليال دمر خلالها ثلثى معالمها ، وقضى على أعز تحفها الفنية والتاريخية .. وقيل انه فعل ذلك لتتمثل له صورة حية للحريق الذى قضى على «طروادة» !.. كما قيل انه لم يستبشع الجرم ، ولم يحفل بآلام الشعب ، بل لذ له مرأى النيران ، فراح يرقبها وهو يعزف على قيثارته .. فقد كان يعتقد فى نفسه أنه خير من أوتى الالهام فى الموسيقى والشعر والغناء والتمثيل و .. الحكم !..

نهاية الطاغية

◆ **وقد رمى** « نيرون » رعاياه الذين اعتنقوا الدين المسيحى بأنهم مدبرو الحريق ، فأوقع بهم أفظع اضطهاد عرفه التاريخ .. وطاردهم بالتنكيل فى جميع أرجاء امبراطوريته ...

وكان لا بد للشعب من أن يتحرك ازاء هذه الفظائع الجنونية .. فدبرت المؤامرات ، ولكنها كانت تنتهى الى فشل يلقى بمدبريها في أتون نقمة « نيرون » !.. **حتى قدر فى النهاية لجالبا ـ حاكم اسبانيا ـ أن ينظم ثورة ناجحة .. وقضى مجلس الشيوخ على « نيرون » بالموت .. ولكنه بادر الى الفرار ، حتى اذا أدرك أن مطارديه أوشكوا أن يلحقوا به ، قضى بسيف أحد تابعيه ، على حياته التعسة .. التى لم تطل لاكثر من واحد وثلاثين عاما !..**

ولعل الصورة التالية ـ التى أخذت عن تاريخ زوجته الثانية « بوبيا » ـ خير مايمثل بذخ الامبراطور «نيرون» وجنونه !..

المرأة التى أسرت قلب الطاغية !

◆ **كأنما** كان القدر قد بيت النية على أن يمنحها كل شىء يمكنها من أن تستوى على عروش القلوب !.. كانت أجمل نساء روما جميعا ، حتى لقد كانت تسدل على وجهها قناعا اذا خرجت للنزهة على قدميها ، اشفاقا على الابصار أن يبهرها حسن ذاك الوجه الناصع البياض ، الذى توجه شعر ذهبى فاتن .



اللقاء الاول .. بين نيرون و«بوبيا» !

وزاد من فعلها في القلوب ، أن اجتمع العلم والذكاء على أن يضفيا على حديثها لباقة وطلاوة ورقة ، أخذت بها النساء قبل الرجال !٠٠ وهكذا كانت بوبيا مثالا للفتنة التي تنهار أمامها أعتى حصون القلوب ٠٠ حتى لقد سرت الهمسات في البلاط الروماني عن سحرها ، وأضافت أن (بوبيا) منيعة غالية !٠٠

ولكن « نيرون » لم يعبأ بالثمن في سبيل أن ينالها ٠٠!

دفع الثمن ٠٠ وكان غاليا حقا ، فقد تمثل في قتـل أمه ، وطلاق زوجته الشابة « اوكتافيا » !!

وغدت « بوبيا » عشيقة الامبراطور الطاغية ، بعد أن أقصى زوجها الثاني بأن عينه حاكما للبرتغال ، كي يخلو لهما الجو !٠٠ ولم يلبث « نيرون » أن اتخذها زوجة ، ثم مكن لها من النفوذ والسلطان ما لا قبل لامرأة به ٠٠!

تستحم بلبن ٤٠٠ بغلة

◆ **ولم** يعرف التاريخ امرأة أنفقت ببذخ في سبيل صون جمالها ، كما أنفقت « بوبيا » ٠٠ كانت جدران حمامها مكسوة بالمرايا الفضية المصقولة كي تتأمل فيها كل يوم جسدها الناصع البياض ، الذي اعتادت أن تحفظ لونه الفاتن بالاستحمام بلبن البغال — (حتى ليقال انها كانت تصحب ٤٠٠ بغلة معها أينما سافرت !) — وكانت تكسو وجهها قبيل النوم بطبقة من معجون لا يكاد يختلف عن « الكريم » الذي تستعمله كواكب السينما في أيامنا هذه ٠٠ وفوق المعجون ، كانت تنثر مقادير من «البودرة» ثم تسلم وجهها لوصيفة تدلكه حتى تغدو بشرته كالحرير الناعم٠٠

وما لم تكن مضطرة الى الظهور في البلاط الامبراطوري ، كان المعجون يظل دائما على وجهها ٠٠ فاذا أزالته أخيرا ، بدت بشرتها بيضاء يشيع فيها لون وردي كأنه خجل العذارى !

أما يداها، فكانت تدلكهما بدهن التمساح، ليحتفظا ببياضهما



تستحم بلبن ... ؟ بغلة !

ونعومتهما .. وكـــان العبيد يتولون جسدها بالتدليك عقب الاستحمام ، ثم يربتون لسانها بعصى عاجية مسطحة كى يظل على نعومته المخملية !..

حاشية كبيرة لخدمة الجمال !

◆ **وكانت** لها حاشية كبيرة من العبيـــد .. فالجـوارى الافريقيات لتدليك جسمها .. .. والسـبايا السـكندريات لاختيار الازياء التى تناسـبها وصـنعها .. وعبيد موكلون بجواهرها وحليها .. وآخرون اخصائيون فى تطريز وزركشة نعالها !..

وكانوا جميعا يحيطون بها عقب كل حمام ، حين تجلس الى مرآة تتأمل شعرها وتفحص الشكل الذى نسق عليه .. **فلقد كانت تعرف انها أوتيت أجمل شعر توج رأس امرأة فى روما.. شعر تغنى « نيرون » بجماله ، ووصفه فى أشعاره بأنه « عنبر» .. وقد أوحى هذا الى اخصائيى العطور الذين كانوا فى خدمتها، بأن يستنبطوا لها من العنبر زيتا عطريا يضمخوا به الشـعر الغالى !..**

وكان المكلفون بتنسيق شعرها يفتنون فى عملهم ، حتى لقد كانت أية « تسريحة » تبدو بها « بوبيا » لا تلبث أن تغـــدو «موضة» تتناقلها نساء روما !.. وكانت تثبت الجدائل العنبرية بمشابك مرصعة باللآلىء التى كانت تجلب خصيصا لها من البحر الاحمر ، لما تمتاز به لآلىء هذا البحر من جمال وبياض ناصع ..

أما أذناها ، فكان يتدلى من كل منهما قرط رصع بثلاث ماسات ، ترسل بريقا بخطف الابصار كلما حركت الجميلة رأسها ٠٠!

ذهب وجواهر بلا حساب !٠٠

◆ **وكان** البذخ يمتد حتى قدميها ٠٠ اذ كان نعلاها يصنعان من صفائح من الذهب الموشى باللآلىء ٠٠ ويثبتان الى ساقيها بأشرطة من الذهب والحرير !٠٠

وكانت ساقاها تلفان حتى الركبتين بقماش من التيل الرفيع الناعم ، ينتهى برباط من الذهب المرصع بالماس ٠٠

أما جيدها فيحاط بشد مزخرف ، صنع من خليط من خيوط الصوف والحرير والذهب ، التى كانت تغزل وتنسج فى الشرق ٠٠ وكان يرصع بأغلى الاحجار الثمينة ، ويراعى فى الغلالة السابغة التى تلبس فوقه ، أن تكشف عنه ، فيترك أعلاها منفرجا ، وتثبت عند الوسط بحزام موشى بالجواهر ٠٠ على أن لا تمتد أطراف الغلالة الى الذراع اليسرى ، لتبقى عارية ، تزدان بالاساور الثمينة ، التى تتسق مع القلائد التى كانت تحيط بالعنق البض ٠٠!

للغواية فنون أتقنتها « بوبيا »

◆ **ولم** تغفل « بوبيا » حيلة من الحيل فى سبيل استبقاء سحرها لدى « نيرون » ، ليظل لها ما نالت من عرش وسلطان ٠٠ وكانت تعرف كيف تسيطر على عاشقها ، وكيف تجعل بهاءها يطغى على بريق أية غريمة لها ٠٠ وكانت بارعة فى اخفاء عيوبها ، واظهار مفاتنها ، واضفاء وقدة من الانوثة على ابتسامتها ، تلهب بها القلوب ٠٠!

ولم تكن تكف عن الابتكار والتجديد لتظل فريدة فى مظهرها ٠٠ فكانت أول امرأة فى روما اتخذت ثيابا من الحرير الخالص ، وأسدلت على رأسها وشاحا طويلا (كما ترى فى الرسم ص ١٤١)

وقد اعتادت أن تقضى الساعات الطوال ، تتأمل نفسها فى

نظرات فاحصة ، وتدرس كل حركة من حركاتها ، لتصلح منها ما يعوزها الفتنة ·· حتى حركة أهدابها ، واختلاجات جوارحها. كانت تحرص أن لا تغفل عن دراستها وانتقادها ·· واستطاعت بالمران أن تجعل لمظهرها كل ما ترجو أن تفرضه على رائيها من تأثير ··!

نهاية الفاتنة ··

◆ **وكانت** لها ضحكة تهز القلوب، فتخضعها للفتنة، وتبعث فيها الحبور ··

وقد ظلت تجرب كل فنون الغواية ، حتى انتهت الى أن أقوى سحر للانوثة يتمثل فى بساطة الطبيعة ، بما يصحبها من مظاهر البراءة والسذاجة والضعف ··!

وعلى قدر ما كان « نيرون » متيما ببوبيا ، فانه لم يتورع اذ أغضبته ملاحظة أبدتها – وهو عائد منتش من السباق ذات يوم – عن أن يركلها فى بطنها بقدمه ، فاذا هى تصاب بنزيف داخلى أدى الى موتها ··!

وعصف الحزن بالطاغية ·· وشاء أن يكرمها فى وفاتها ، تكفيرا عن ذنبه ، وتخفيفا لأساه ، فلم يسمح بحرق جسدها – كما كانت طقوس الرومان – بل أمر بتحنيطه على عادة المصريين!·· وأقام لها جنازا رائعا ، تولى فيه بنفسه القاء المراثى التى كان القوم يتلونها عادة ·· وظل البخور يحرق حول تابوتها عدة أيام ، ثم ووريت التراب فى مدفن أباطرة الرومان !

ولاول مرة عرفت عينا الطاغية الدموع·· فقد بكاها من أعماق قلبه ، وظل وفيا لحبها ، تلف ذكراها قلبه فى غلالة عاطرة لم يقو سحر امرأة أخرى على أن ينفذ خلالها الى ذلك القلب الذى لم يعرف اللين والحب الا نحو « بوبيا » وحدها ··!



- ١ -

◆ لمحنا آثار أقدام راقصة ..
فتلكأنا فى مشيتنا ونحـــن نذرع الشارع الذى غسله ضوء القمر
حتى قادتنا آثار الاقدام الى عتبة بيت غانية ..
وفى الداخل ، فوق أصوات الصخب والضوضاء ..
سمعنا جوقة الموسيقى تعزف
لحنا رائعا من ألحان «ستراوس» !

- ٢ -

◆ مثل اشباح آلية غريبة المنظر ، تقوم برقصات عربيـــة خلابة ..
كانت الظلال تتمايل وراء خشب النافذة ..
فاخذنا نرقب الراقصين يدورون ، على أنغام الكمان والنفير
مثل أوراق الاشجار حين تدور فى دوامة الريح !

- ٣ -

◆ مثل جماعة من الجنس الآلى ..
كانت ظلال هياكلهم النحيلة تترنح على النغم البطىء ..
ثم تناول كل منهم يد الآخر

ورقصوا رقصة اسبانية مرحة
فدوت ضحكاتهم الحادة بين جدران المكان ..

- ٤ -

◆ وبين حين وآخر كانت دمية منهم ..
تضم شبح حبيبها الى صدرها
وأحيانا كانوا يغنون أغنية هادئة ..
وأحيانا كان أراجوز رهيب
يخرج كي يدخن سيجارته على السلم ، كأنه كائن حي !

- ٥ -

◆ عندئذ استدرت الى حبيبتي قائلا :
« الموتى يرقصون مع الموتى ..
.. والتراب مع التراب ! »
لكنها حين سمعت عزف الكمان
تركت ذراعي ودخلت الى داخل المكان
فقلت لنفسي : «ان الحب قد دخل الى بيت الشهوات ! »

- ٦ -

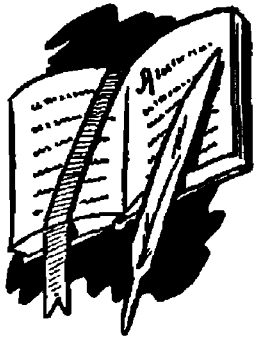
◆ وفجاة صار النغم نشازا
وتعب الراقصون من «الفالس»
وكفت الظلال عن اللف والدوران
وفي اقصى الشارع الطويل الساكن
زحف الفجر بأقدامه ذات النعال الفضية ..
مثل فتاة زحف الخوف على قلبها ..!

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السابقة من ((كتابى)) قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص : ((اموك)) او (غرام تحت سماء الشرق) لستيفان زفايج .. و((شجرة التفاح)) أو (قلب عذراء) لجون جالزورثى .. ثم ((مرتفعات وذرنج)) لاميلى برونتى ..و((التلميذ)) او (عندما يضل الشباب) لبول بورجيه .. و((احدب نوتردام)) لفيكتور هوجو .. و « جريمة حب » لبول بورجيه .. و((جين اير)) لشارلوت برونتى .. ثم ((ايام بومبى الاخيرة)) للورد ليتون .. تليها ((مانون ليسكو)) للاب بريفو .. و((حديقة الله)) لروبرت هتشنز ..

وفى العدد الماضى قدمت لك القسم الاول من هذه القصة المصرية التى يتنبأ لها النقاد بخلود القصص الكلاسيكية .. وفيما يلى القسم الثانى والاخير منها .. يليها فى الاعداد التالية من كتابى باذن الله: ايفانهو (والتر سكوت) صورة دوريان جراى (اوسكار وايلد) اوليفر تويست (تشارلس ديكنز) سافو (الفونس دوديه) البؤساء (فيكتور هوجو) غادة الكاميليا (ديماس) مدام بوفارى (فلوبير) نانا (اميل زولا) تاييس (اناتول فرانس) الجريمة والعقاب (دستويفسكى) الحرب والسلم (تولستوى) .. الخ

الحياة قصة



روائع القصص العالمى


LA DETTE DE
HAINE
Par
GEORGE OHNET
جورج أونيه
عندما تحقد المرأة!

خلاصة مانشر فى العدد الماضى

◆ بعدان قضى الشاب «ريمون بلورانيه » ، الضابط بالبحرية الفرنسية ، عامين فى جحيم القتال بالهند الصينية ، استقال من السلك العسكرى وعاد الى فرنسا ليزف الى خطيبته السمراء ذات الجمال الخمرى الساخن ، التى تعيش ـ مع امها وابنة خالتها الشقراء التى تماثلها فى السـن ، ومربيتها الزنجية ـ فى فيلا بيضاء جميلة تكتنفها الخضرة بضاحية (فيل فرانش) القريبة من مدينة نيس ..

وفى اليوم الذى هبط فيه الشاب من السفينة فى ميناء (طولون) ، وقبل ان يسافر الى حيث تقيم خطيبته ، التقى فى الطريق بصديق له دعاه الى تناول الغداء مع جماعة من الاصدقاء فى منزل احدهم .. فلما ذهب اسـتقبله الكل بالترحيب والاشواق . وكان الوحيد الذى لايعـرفه من الحاضرين شاب ايطالى رائع الوسامة ، فارع القامة ، فاتن السمرة ، فاحم الشعر ، تجذبك اليـه عينان سوداوان نفاذتان ، وفم دقيق يفتر عن اسنان جميلة ناصعة البياض . ويظلله شارب صغير رقيق ..

◆ وطالب الاصدقاء ضيفهم الايطالى ـ ويدعى المركيز جيرانى ـ بان يقص عليهم احدث مغامراته النسائية ، وهو الحجة فى هذا الباب ، فبدا يروى كيف التقى فى احدى المناسبات بفتاتين رائعتى الجمال ، احداهما سمراء والاخـرى شقراء ، تصحبهما امراة متقدمة فى السن وخادم زنجية .. فاسرته فتنة احداهما ، وظل يطاردها ويحوم حول الفيلا البيضاء التى تكتنفها الخضرة ، التى تقطنها ، حتى استطاع بواسطة خادمتها الزنجية ان يلقاها .. واحب كلاهما الآخر حبا جنونيا ، فلم تبخل عليه الفتاة الفاتنـة بشىء . منحته كل ماكان يشتهى .. ووصل معها الى نهاية الشوط !!

وانتهى المركيز جيرانى من قصته بين صياح المجتمعين ، وتعليقاتهم الماجنة .. بينما احس « بلورانيه » ان الارض تميد تحت قدميه ، فالاوصـاف التى ذكرها الايطالى العابث تقطع بان الفتاة التى عناها واحدة من اثنتين : اما خطيبته ، واما ابنة خالتها ! وشعر بالم الشك القاتل يكاد يشطره شطرين .. فانتهـز فرصة تصريح المتحدث بانه لايفكر فى الزواج من ضحيته لانه متزوج بالفعل . وتحرش به عامدا وراح يكيل له الاهانات .. حتى غدت المبارزة بينهمـا امرا محتوما لم تفلح فى تجنبه جهود الاصدقاء ! لاسيما بعد ان ابى الايطالى ان يشفى غليل غريمه الى معرفة اى الفتاتين كانت عشيقته !

◆ وفي جو خيم عليه الوجوم أعدت عدة المبـــارزة ، فقيست المســـافات والابعاد ٠٠ ووقف كل من الفريمين يحمل غدارته في يده ، متاهبا لتلقي الاشارة باطلاق النار !

واحتبست الانفاس ، في انتظار الفاجعة التي كان القدر ينسج خيوطهـــا بسرعة مخيفة ٠٠ ثم حانت اللحظة الحاسمة فصاح الحكم ، بصـــوت مرتعش : « واحد ٠٠ اثنين ٠٠ ثلاثة ! » ٠٠ وانطلق الموت !

والآن ، تستطيع ان تتابع القراءة :

– ١ –

◆ **كان** جيراني هو البادىء باطلاق النار ، لكن رصاصته لم تصب من غريمه غير قبعته ، فأطاحت بها ممزقة في الهواء ٠٠ غير انه لم يجزع مع ذلك بل ظل واقفا في مكانه كالطود ٠٠ وجاء دوره هو فاذا به يسدد غدارته الى المركيز ويطلقها، فتستقر الرصاصة في صدره ٠٠ ويسقط على الارض مضرجا بدمائه !!

وفحص طبيب من الحاضرين المصاب ، فأدرك لتوه ان الاصابة قاتلة ٠٠ ولم يكن جيراني نفسه أقل ادراكا لخطورة حالتـــه واشرافه على الهلاك ، فنظر الى الطبيب والدم ينزف من صدره وابتسم ابتسامة حزينة ، ثم قال : « كل ما أطلبه منك ألا تدعني أتألم طويلا ! »

وطلب أن يتحدث الى قاتله ، فلما دنا منه هـــذا رجاه أن يصافحه ، ويصفح عنه ٠٠ فأجابه بلوارنيه : « **بل أنا الذي أتوسل اليك أن لا تتركني نهبا للشكوك القاتلة بصدد خطيئتي التي أحبها حب الجنون ٠٠ فبربك قل لي من من الفتاتين كنت تعني : تيريز أم ليديا ؟ » ٠٠ فأجاب جيراني ، وقد أخذ الموت ينسج على وجهه ظلاله السوداء : « لا ! » ٠٠ لكن بلوارنيه استطرد في توسل : « لماذا لا تريد أن ترحمني ! من من الفتاتين هي الطاهرة ومن منهما الدنسة ؟ لا تدعني أشك في الاثنتين ٠٠ من منهما : تكلم : ليديا أم تيريز ؟ »**

وانحنى عليه وأخذه بين ذراعيه وهو ينبش بنظراته جسم هذا المحتضر عساه يجد دليلا ينقع غلته ويروى ظمأه !٠٠ لكن جيرانى أجابه بصوت محتبس : « لن أقول لك شيئا ! لن أقول لك شيئا ! »

قالها وفارق الحياة !

أما بلوارنيه فقد مر وهو خارج بجنة جيرانى ، فألقى عليها نظرة أخيرة ، كما لو كان ما يزال يأمل أن يحظى من الميت بالحقيقة التى ضن بها عليه وهو حي !٠٠ وما كاد يصل الى الشارع حتى تمتم قائلا : « ما لم أستطع معرفته منه ٠٠ سأصل الى معرفته « منهما » ؟

- ٢ -

◆ **نبتت** أسرة « سان موريس » فى جزر (المارتنيك) ٠٠ وكان رأس الاسرة ـ الشيفالييه سان موريس ـ قائدا لاحدى المدرعات الحربية فى عهد لويس السادس عشر ، وقد لمع نجمه وعلا صيته بما أداه لوطنه من جليل الخدمات ٠ ومات سنة ١٨١٠ وقد شبع أياما وشبع مجدا ٠٠ مات مبكيا عليه من الجميع فى تلك المستعمرة : من السود والبيض معا !

ومرت الايام والسنون ولم يبق فى جزر المارتينيك من أسرة سان موريس الا سيدة واحدة أرملة وابنتها البالغة من العمر خمسة عشر عاما ، تقيمان فى « فور دى فرانس » وتعيشان عيشة متواضعة من دخل محدود ٠

وبينما كانت هذه السيدة (واسمها مدام دى سان موريس) تعيش عيشتها التى درجت عليها اذا بخطاب يصلها من أوربا قلب نظام حيـــاتها ظهرا على عقب ٠٠٠ ذلك أن شقيقتها « مدام لوتونور » وهى أرملة أحد الاغنياء المعروفين فى باريس ، كتبت اليها تقول لها انها مريضة وتشعر بأنها فى أيامها الاخيرة ، ومن

ثم فهى تستدعيها الى باريس وتوصيها ، فيما لو ماتت قبل ان تراها ، أن تعنى بابنتها الوحيدة « تيريز » ..

وكانت مدام دى سان موريس امرأة عطوفة رقيقة القلب . ولما لم يكن لديها من سبب يحتم عليها الحياة فى «فوردىفرانس» فانها لم تتردد فى اجابة شقيقتها الى رغبتها فأبحرت الى فرنسا تصحبها ابنتها « ليديا » وخادمتها الزنجية « ليلى » .. وما أن وصلت الى باريس وتوجهت الى منزل شقيقتها حتى صدمهـــا الخبر الفاجع ، حين استقبلتها ابنة شقيقتها (تيريز) فى أثواب الحداد ..!

واستقر المقام بمدام سان موريس وابنتها فى المنزل الفخم الذى كانت تملكه شقيقتها مدام « لوتورنور » فى أحد الشوارع القريبة من الشانزيليزيه .. وفى صبيحة يوم وصولها قدم لزيارتها ابن أخت أخرى لها هو الضابط « ريمون دى بلوارنيه »، وهو ضابط ذكى بالبحرية تدل سيماؤه على أن مستقبلا باهرا ينتظره .. وكان قد اعتاد أن يأتى لزيارة خالته مدام لوتورنور عقب كل رحلة بحرية يسافر فيها . فلما آل اليه ميراث أبيه الضخم ـ فقد كان أبوه رجلا ثريا للغاية ـ وجد فى زوج خالته خير مستشار له فى شئون ثروته الواسعة وفى كيفية استثمارها وتنميتها ، حتى ضاعف من ثروته الموروثة وهو لمـــا يزل فى الثلاثين من عمره ..

أما ابنة خالته « تيريز » فقد كانت فى السادسة عشرة، رقيقة الحاشية ، عذبة ، وديعة القلب كالملائكة ، تقية متعبدة الى أبعد حدود التقوى والتعبد . جميلة ذلك الجمال الهادىء الاخاذ فى غير زهو ، الجذاب فى غير خيلاء .. وكان ريمون يحبها حبا جما ، حب الاخ لاخته التى بدأت تستقبل ربيع الحياة كالوردة المتفتحة الاكمام ..

ولما ماتت أمها بكاها ريمون معها جنبا الى جنب ، كما لو كان

ابنها الوحيد ·· ولكن حزن تيريز على أمهـــا ، رغم تقواها وتعبدها ، كان شديدا مفرطا بحيث خشي ريمون عليها مما لاحظه في مسلكها من علامات التصوف والزهد في الدنيا ومتعها ·· وحين صارحها ذات يوم بقلقه هذا ورجاها أن تستسلم لقضاء الله وقدره أجابته بقولها : « لقد أصبحت وحيدة الآن يا ريمون، وأحس بانهيار لانني لا أجد لي سندا روحيا يعيد الى نفسي الثقة والراحة والطمأنينة ·· »

فأجابها ريمون : « كيف تقولين انك وحيدة وأنا بجانبك ؟ ثم ألا تعلمين أن خالتك قررت الحضور من (المارتنيك) لتقيم معك في فرنسا ؟ انك ستجدين فيها أما رؤوما حنونا ، أما ابنتها التي في سنك فستكون رفيقتك ومؤنستك في وحشتك ·· فهـــلا نظرت الى المستقبل بمنظار أقل سوادا ؟ »

فأجابت تيريز : ان هاتين المخلوقتين المجهولتين بالنسبة لي هما بالذات مبعث قلقي وخوفي ، ومجيئهما يزيد في اضطرابي أكثر مما يبعث في نفسي الطمأنينة : كيف هما يا ترى ؟ وماذا هما صانعتان هنا عند ما تصلان ··؟؟

ـ انك وارثة ثروة والديك الطائلة وسوف تكونين صاحبة البيت وسيدة الموقف !

ـ انني أكره هذه الثروة الطائلة وأزهد فيها ، وأود لو تركتها لاكرس حياتي لخدمة الفقراء والمعذبين ·· انني لن أشعر براحة النفس الحقيقية الا عند ما أتخيل نفسي راهبة في دير !

ـ انك يا عزيزتي لست في حاجة لان تترهبي كي تكوني على صلة بالله · ان حزنك يجسم لك الامور ·· ولا أقل من أن تنتظري قدوم خالتك لتعرضي الامر عليها قبل أن تقدمي على أية خطوة كهذه قد تندمين عليها ··

ـ سأفعل ما تريد يا ريمون ·· غير اني لا أتوقع خيرا من حضور خالتي وابنتها، فانني ارى احلاما مزعجة تؤيد عندي هذا

الاحساس ... وتؤيد اعتقادي بأن حضورهما واقامتهما معي سيكونان شؤما على ومبعث ويلات لى !!.. ولكن ، لعلى أخطأت فى الكلام معك عن الاحلام فانك قطعا ستسخر منى ..!!

- ٣ -

◆ **بعد** أسبوع من هذا الحديث وصلت مدام دى سان موريس الى باريس تصحبها ابنتها « ليديا » والخادمة الزنجية «ليلى»..
فماكان أشد دهشة تيريز، بل ذعرها، لدى رؤية ثلاثتهن...؟!
ان الاحلام المفزعة التى رأتها والتى قصتها على بلوارنيه لتنطبق عليهن انطباقا عجيبا ، بل مفزعا !.. ومع ذلك فقد شعرت تيريز بأنها ستحب خالتها وابنة خالتها ..

وفى صبيحة يوم وصولهن جاء ريمون دى بلوارنيه ليحيى خالته وابنتها . ولم يكن قد رأى « ليديا » قبل ذلك ، فما كاد بصره يقع عليها حتى سمر على الارض لفرط ما بهره جمالها الرائع! **فقدكانت فى السادسة عشرة، فارعة القامة ـ كأنما نضجت قبل الاوان ـ سمراء البشرة ، ذات عينين سوداوين ، وأهداب طويلة تعكس على خديها الفاتنين ظلالا رقيقة.. أما فمها فدقيق، ينشق عن شفتين تضمان أسنانا منضدة ناصعة** . وكانت وقت دخول ريمون جالسة بجوار تيريز التى كانت تختلف عنها كل الاختلاف : فقد كانت الاخرى شقراء ، زرقاء العينين . ورغم جمالها فقدكانت أقرب الى براءة الاطفال منها الى فتنة النساء..!

ظل ريمون صامتا لحظات ، حتى تداركته ليديا بقولها : « ألم يحدث فى أسفارك الكثيرة أن اقتربت من جزر المارتنيك؟؟ أتراك نسيت أن لك فى تلك البقاع أقرباء ..؟! »

فرد عليها ريمون ردا يناسب المقام .. واستقر المقام بأسرة سان موريس فى منزل تيريز بعد الحاحها ورفضها أن تقيم خالتها فى أى مكان آخر ..

◆ ومنذ اليوم الاول تسلمت الخادمة ليلى الزنجية ادارة المنزل بحزم وقوة خشيهما سائر الخدم !٠٠ وبالرغم من أن ليلى كانت تبدو قوية تبعث على الخوف الا أنها كانت ضعيفة ضعفا لا حد له أمام ليديا ٠٠ فقد أرضعتها طفلة وربتها ولازمتها منذ ولادتها كظلها ٠ وكانت تجيبها الى جميع رغباتها ونزواتها ٠ أما اعجابها بجمال « سيدتها » فكان أقرب الى العبادة والتقديس حتى لتؤثر أن تجلس عند موطىء قدميها تحرسها كالكلب الامين!

وقد أحست الزنجية منذ أول لحظة بكراهية نحو تيريز، فقد أحنقها أن تكون تيريز صاحبة هذه الثروة الواسعة بينما معبودتها « ليديا » لا تملك شيئا !٠٠ لكن الماكرة أحبت ريمون منذ لمحت بوادر اعجابه بسيدتها ، فكان هذا الاعجاب بمثابة معاهدة عقدت بين حليفين !

وبدأ « اعجاب » ريمون بليديا ينمـــو شيئا فشيئا ويتبلور ويتخذ له شكلا واضحا ليس من السهل اخفاؤه أو تجاهله !٠٠ وحين لحظت ليديا نفسها الامر كاشفت خادمتها به وأبدت لها دهشتها من أن ريمون لم يصارحها بحبه بعد !٠٠ فسألتها ليلى اذا كانت تحبه ، فلم تزد على قولها : « انه يعجبنى » ٠٠ ثم أردفت : « ٠٠ وهو واسع الثراء ، وهذا مما يزيد اعجابى به!! » ٠٠ فقالت الزنجية : « لعل سر احتياطه وتردده فى مكاشفتك انك ما تزالين فى السادسة عشرة ! »

فانبرت ليديا تجيبها : « ان ستة عشر عاما لمن عاشت فى المارتينيك تفوق عشرين عاما لمن تعيش في أوروبا ٠٠ خذى مثلا تيريز : انها فى سنى ولكنها بالنسبة لى طفلة فى كل شىء !! »

ـ ان تيريز ليست طفلة يا سيدتى ٠٠ خذى حذرك منها !٠٠ راقبيها عند ما يحضر بلوارنيه ٠٠ وبدلا من أن تضيعى الوقت فى التطلع اليه ، تطلعى اليها !!

ـ هل تعتقدين انها تحب ريمون !؟ يا لها من مسكينة ! اننى

على كل حال أتركه لها بكل ارتياح ... ولكن هل يرضى هو بذلك ؟؟ اننى أشعر بأنه يحبنى بقوة ..

ـ نعم يا سيدتي . ولكنى ما زلت ألتمس منك ان تاخذى حذرك من تيريز !

ـ آخذ حذرى ؟! أمن هذه الفتاة آخذ حذرى يا ليلى ..؟! انك تجسمين الامور ، فهى فتاة تقية ميالة للرهبنة وتكريس نفسها للعبادات والصلوات .. وهذا طابع النفس الراكدة الفاترة ؟!

◆ **لكن** ليديا تنبهت منذ هذا الحديث فبدأت تراقب تيريز من طرف خفى .. على أن تيريز لم تكن بالانسانة الخبيثة ، بل كانت فتاة مستقيمة الخلق ، طاهرة القلب والضمير ، ولم يكن ليخفى عليها ما أحدثته ليديا من تأثير على ريمون ولا فاتتها حركات الشغف والصبابة التى كانت تصدر منه عندما يراها أو يخلو بها !.. أما حبها هى لريمون فكان حبا صافيا : حب فتاة درجت منذ نعومة اظفارها على لقاء شاب كان يستقبل من أبيها وأمها دائما بالترحاب .. فكانت لا تخفى عنه سرا ، وتأنس اليه ، وترى فيه الملاذ الروحى لهـا فى كل محنة .. **ولكنها ما كادت ترى كيف شغف ريمون بحب ليديا حتى شعرت بأن لها خصما بدأ ينازلها فى عقر دارها . وعندئذ فقط أحست بالغيرة والالم ، واكتشفت لاول مرة حقيقةمشاعرها نحوالضابط الشاب !**

أما ليديا فلم يكن يعنيها ، وهى تلك الفتاة الرعناء الجامحة، أن تتألم تيريز .. فانها كانت من الانانية بحيث لا تعنى الا بنفسها فقط .. فاذا كان ريمون يحبها وكانت هى تحبه فعلى تيريز العفاء ..!؟

وتحالفت المقادير مع ليديا ضد تيريز ، فقد فوجىء الضابط ريمون دى بلوارتيه بأمر لم يكن فى الحسبان ، اذ صدر اليه أمر بأن يضع نفسه تحت تصرف القيـادة فى طولون تمهيدا

لسفره الى « تونكين » في الصين ، حيث كانت المعارك ما زالت تدور طاحنة بين فرنسا والقوات الصينية ...

كان وقع هذا الخبر شديدا على مدام دى سان موريس ، وعلى ليديا وتيريز معا .. فقد التقت مشاعر الفتاتين في نقطة واحدة هي حبهما لريمون !.. وبعد حديث بين الشاب وبين مدام دى سان موريس نزل هو مع الفتاتين الى الحديقة ، وكان بادى الالم لسفره المفاجيء وتركه تيريز ، صديقته منذ الطفولة ، وليديا التى أحبها حبا جنونيا .. **وبقي الثلاثة في الحديقة يسيرون في وجوم . ولكن لم يكن من العسير على فطنة تيريز وهي الفتاة ذات الاحساس المرهف أن تدرك الحقيقة المرة ، وهي أن ريمون يريد أن يخلو بليديا .. وأن حضورها معهما يحول دون أن يبث كل منهما الآخر مشاعره ، فتعللت ببرودة الجو وانسحبت الى مخدعها !**

وبعد لحظة صمت كاشف ريمون ليديا بحبه ، وفوجئت به يطلب منها أن تقبله خطيبا لها حتى يعود، اذا قدر له أن يعود!.. وحين سمعها تقبل طلبه وتجيبه الى توسلاته كاد يفقد عقله من الفرح !

وكانت مدام دى سان موريس جالسة في احدى الحجرات وبجانبها تيريز ، عند ما دخل « الخطيبان » !.. فما كادت تيريز تراهما داخلين حتى أحست بأن أمرا جللا قد وقع !.. ثم قالت ليديا مخاطبة والدتها : « **لقد صارحني ريمون منذ برهة بانه يحبني ، وسألني اذا كنت أقبله خطيبا حتى يعود .. فقبلت .. فما رأيك يا أماه !؟** »

وثبت مدام دى سان موريس من مقعدها من شـــدة الفرح وقالت : « ولكنك ستسافر غدا ، فماذا نحن صانعون ؟؟ » فأجابت ليديا : « سأنتظره حتى يعود.. انه سيحبني على البعد والقرب .. وعندما يعود فلن يفارقنا ثانية .. أليس كذلك يا ريمون ؟؟ »

ـ نعم يا ليديا ؟ سأعود وسأكون لك وحدك ٠٠ الى الابد !

فقالت الام : « ما دام هذا يسعدكما يا ولدى فلتكن ارادة الله ٠٠ » ثم وجهت الكلام الى ابنة اختها : « وانت يا تيريز : هل كنت على علم بهذا السر ؟؟ » ٠٠ فأجابت تيريز وقد سيطرت على أعصابها بقوة حديدية :

ـ كلا ! لقد كنت مثلك أجهل كل شيء ٠٠٠ !! ولكن يسعدنى أن أرى ريمون وليديا سعيدين !

فقالت ليديا وهى تحدق البصر فى تيريز بامعان : « اننى مدينة لك يا تيريز ، فلولاك لما عرفت ريمون ! »

وهنا مد ريمون يده الى تيريز وقال لها : « اننى أترك لك ليديا يا تيريز ٠٠ أترك لك أعز مخلوق على فى الحياة، فأحببيها واسهرى عليها حتى أعود !! »

فأجابته : « اننى أعدك بهذا يا ريمون ! »

وفى اليوم التالى أبحر الشاب الى الشرق الاقصى ٠٠

- ٤ -

◆ **وانقضت** شهور ، وأقبل الشتاء ٠٠ فانتقلت الاسرة الى ضاحية « فيل فرانش » الدافئة ـ بين (نيس) و (موناكو) ـ حيث كانت والدة تيريز قد شيدت قبل موتها فيلا أنيقة تكتنفها الخضرة والازهار من كل جانب ٠٠ وكان من دواعى دهشة تيريز ما لاحظته من فتور مشاعر ليديا نحو خطيبها الغائب ، بحيث لم تكن تذكره الا اذا ذكرتها هى به !٠٠ وحين انقضى الشتاء وعادوا الى باريس أبدت ليديا من اللهفة والاقبال على ملاهيها ما يقطع بعدم اكتراثها بخطيبها ، فى الوقت الذى كان هو فيه يخوض المعارك الرهيبة ويتعرض للموت فى كل لحظة!٠٠ وذات ليلة ذهبت الفتاة بصحبة أمها الى دار الاوبرا فتجاوب المكان بهمهمة الاعجاب بالسمراء الفاتنة التى لم تر باريس مثيلا لحسنها من قبل !٠٠ وكان بين الحاضرين مالى كبير يدعى

« صموئيل بربهايمر » كان على صلة بأسرة تيريز ، فلم يكد ينحني بالتحية للمرأتين حتى ألح عليه شاب من أصدقائه يدعى « المركيز موريس دى روكيير» فى أن يقدمه اليهما ٠٠ فاستجاب « برنهايمر » لضراعته وقدمه اليهما فى فترة الاستراحة ٠٠ ورغم الفنور الملحوظ الذى قوبل به الشاب المتطفل فانه راح يبنى من جراء هذه المقابلة قصورا ضخمة فى الهواء !

وتوالت الايام ، وأقبل الشتاء التالى ٠٠ فعادت الاسرة الى بيتها الريفى الدافىء الجميل ٠ **وذات يوم ورد ذكر « موناكو » فاقترحت تيريز القيام برحلة قصيرة لزيارتها ، فقبلت مدام دى سان موريس وليديا الاقتراح وركب الثلاثة السيارة الى « موناكو » لمشاهدة معالمها والعودة فى المساء ٠ وفى عصر ذلك اليوم وقع أول لقاء بين ليديا وجيرانى ٠٠!**

وحدث بعد ذلك أن كانت ليديا وخادمتها الزنجية تقطفان بعض الزهور عندما فوجئت ليديا بوجدها وجهـــا لوجه أمام جيرانى للمرة الثانية ! وفى هذه المرة راعها منه جماله وأناقته ولباقته ، وشعرت لاول مرة بأن فى هذا الشاب الايطالى شيئا يستهويها ٠٠ لكن الامر لم يزد يومئذ على مجرد النظرة المتبادلة من بعيد !

◆ وفى اليوم التالى بينما كانت ليديا تطل على الحديقة من نافذة غرفتها ، اذا بها ترى جيرانى يحوم حول الدار ٠٠ وظل وقتا طويلا ينتظر خروجهـــا ، فلما تعب ذهب الى الصخور القريبة فجلس عليها حتى الساعة السادسة مساء! ٠٠ وأخيرا يئس وانصرف !٠٠ فلما باحت ليديا بأمره الى خادمتها و (كاتمة سرها) الزنجية قالت هذه تنصحها :

ــ لا تشغلى نفسك به ٠٠!

ــ وأى بأس فى أن أنفـــق بعض الوقت فى تعقب حركاته وأسرى عن نفسى فى آن واحد ؟! اننى لا أعرفه ولا أعرف حتى اسمه ؟؟

ـ لكنى أنا أعرف من هـــو ، اذا كانت معلوماتى تسرك يا سيدتى ..؟

ـ انها تسرنى من غير شك يا ليلى ..

وفى اليوم التالى لم يظهر جيرانى ، فكان عجيبا أن ضايق اختفاؤه ليديا ، فبدا عليها الضجر ! ولم يخف ذلك على مربيتها فقالت لها :

ـ يخيل الى أنك لم ترى ذلك الاجنبى اليوم يا سيدتى ؟

ـ ومن أين عرفت ذلك ؟؟

ـ عرفته لانني قابلته اليوم فى طريق « سان هو » ، وقد تحدث الى !

ـ كيف جرؤ ؟

ـ ان عبدة رقيقه مثلى لا يعتبر التحدث اليها جرأة يا سيدتى ... لقد أراد أن يعرف منى من أنت ؟ ومن أين أتيت .. وطلب منى فى الحاح أن أساعده على الاتصال بك ... وكان بادى الشغف والهيام .. فنبهته الى أن الكتابة اليك أمر لا يليق ، فقال انه اذن سيبعث برسائله الى أنا ..

وقهقهت الزنجية وأردفت تقول: « يكتب الى أنا التى لا أعرف القراءة ولا الكتابة .. اننى طبعا سألقى بخطاباته فى البحر !»

◆ ظلت ليديا فى تلك الليلة مؤرقة لم يغمض لها جفن ! أما جيراني فقد بر بوعده وكتب الى الخادمة ، فكانت ليديا هى التى تفض الخطابات وتقرؤها .. وقد عرفت منها أن اسمه « اميليو جيراني » وانه « ماركيز » .. وشعرت بشىء مجهول يجذبهـــا اليه، فقدكان يبدو لهاكاحد أبطال القصص الغرامية التي قرأت منها الكثير !.. ولم يكتف بالكتابة بل عاد يحوم حول الدار من جديد .. وبينما كانت فى الحديقة تقرأ كتابا ذات صباح اذا بوردة تلقى عليها وتسقط على الكتاب ، فتنبهت ليديا مذعورة

فوجدت أمامها الماركيز جيراني !٠٠ فأشارت اليه اشارة تنم عن عدم الرضى عن فعلته، وهمت بالنهوض ٠٠ ولكنه استوقفها ووقف أمامها مكتوف الذراعين ، ثم قال :

ـ ابقي حيث أنت يا آنسة ٠٠٠ فاني ذاهب !!

ولكنه لم يذهب، بل ظل واقفا كالمشدوه بجمالها٠٠ ثم انحنى أمامها باحترام ، وذهب !٠٠ وعند منعرج الطريق التفت وراءه فاذا الفتاة ما تزال في مكانها، فوضع أصبعه على فمه وبعث اليها بقبلة طويلة ٠٠!

عادت ليديا الى غرفتها٠٠ وفي الغد كانت هي المسرعة الى المكان المعهود !٠٠ لكنه لم يظهر ٠٠ فحرصت فى اليوم الذى تلاه على الذهاب الى نفس المكان ، فما كان أشد سرورها حين أبصرت به قادما يعدو ٠٠ **وفى هذه المرة لم تحاول أن تتجنبه ، فاقترب منها وانحنى امامها حتى أوشك أن يخر ساجدا على ركبتيه ! وبدأ يتكلم فراعها منه صوته الموسيقى الاخاذ ، واذا كلامه قصيدة من شعر زاخر بالحب والسجود !! وأخيرا قال لها :**

ـ ماذا يخيفك مني ؟٠٠ انني أحدثك من بعيد ٠٠ هل هناك خطر من أن يسمعنى أحد ؟؟

كانت تستطيع أن تسكته ، ولكن عذوبة صوته على مسمعها وحلاوة تعبيراته جعلتها تتركه يسترسل فى الكلام ٠٠ ولولا أنها سمعت فى تلك اللحظة صوتا منبعثا من داخل المنزل يناديها لتركته يقول ويطيل فى القول ما شاء !

وظلت هذه الرواية تمثل ثمانية أيام متواليات بلا انقطاع ! ٠٠ وبدأت ليديا تأخذ الحيطة لنفسها فكانت تجعل ليلى تقوم بمهمة الحراسة من بعيد ٠٠

◆ **وبعد** يوم عاصف مطير عن لليديا أن تخرج للتنزه قليلا فى الحدائق والمروج المحيطة بالمنزل ٠٠ وكان الظلام قد أرخى سدوله ، واذا هي تسمع حفيفا بين أوراق الشـــجر ، ووقع

أقدام !٠٠ فوقفت تتطلع يمنة ويسرة لتتبين الامر ، وما هي الا لحظات حتى أبصرت أمامها شبحا يتقدم نحوها رويدا رويدا ٠٠ فلما دنا منها هالها أن تجد أمامها الماركيز جيراني !٠٠

لم يمهلها الشاب المغامر بل ابتدرها بقوله :

- هل أنت هنا بمفردك ؟ يا لسعادتي ٠٠!!

فأجابته في حزم : « انني أمنعك من الاقتراب مني ! » ٠٠ لكنه لم يأبه لها ، بل دنا منها بجرأة حتى أصبحا وجها لوجه وسط الاشجار الباسقة والورود اليانعة والظلام المخيم والسكون المطبق!٠٠ ورأت عينيه يشع منهما بريق وهاج وقد بسط نحوها ذراعيه ٠٠ أما هي فحاولت أن تدفعه بعيدا عنها ، كما حاولت الهرب ٠٠ لكن شجاعتها خانتها ، واعجابها بالشاب الواقف على مقربة منها بدد قواها !٠٠ بحيث لم تحاول الاستغاثة بخادمتها ليلي ، برغم قربها منها !٠٠ فقد تملكتها نشوة عارمة مستها مس الكهرباء ٠٠ وانتفض كيانها كله باحساس ناري مجهول لا يقاوم! وكان جيراني قد طوقها بذراعيه القويتين فظلت تتلوى بينهما محاولة الافلات ، ولكن بلا جدوى ٠٠ فقد اطبق على شفتيها القرمزيتين الراعشتين في نهم وسعار !٠٠ وانقلبت المقاومة الواهنة استسلاما ٠٠ وبدلا من أن تدفعه عنها تركته يجذبها اليه ٠٠ وقد انفلتت من صدرها زفرة طويلة حرى !

وكان ما كان !!

- ٥ -

◆ غداة اليوم المروع المشئوم الذي صرع فيه جيراني بيد ريمون دي بلوارنيه استقل ريمون القطار الى (نيس) فوصلها في الساعة الخامسة بعد الظهر ٠٠ ولم يشأ أن يذهب الى (فيل فرانش) مباشرة لانه أزمع على التخفي لينتزع السر المرهوب الذي مات جيراني طاويا عليه صدره !٠٠ وكان لم يذق طعم النوم منذ ٢٤ ساعة ، وما زالت قصة جيراني التي رواها بين قهقهة زملائه

وسخريتهم تتجاوب أصداؤها في أذنيه كهزيم الرعد ·· وعلى الاخص تلك الجملة التي ختم بها النذل قصته : « لقد كان آخر لقاء بيننا أمس في الحديقة التي تكتنف الفيلا البيضـــاء . وسيكون لقاؤنا التالي غدا في نفس المكان ·· أمام النافذة الكبيرة المطلة على البحر !! »

هذه النافذة الكبيرة يعرفها ريمون جيدا ·· ويعرف السور المنخفض الذي تسلقه جيراني ليدخل الى الحديقة فيلتقى ·· ترى بمن ؟ بخطيبته السمراء « ليديا » ، أم بصديقته الشقراء « تيريز » ؟؟ انه ليتمثل جيراني في سكرات الموت وقد ارتسمت على وجهه ابتسامته الساخرة : ابتســـامة القتيل المنتصر على القاتل ، والمطعون الساخر بالطاعن !! يا لهول الشك ·· انه لاشد أنواع التعذيب نكرا !!

أحكم بلوارنيه وضع الخطة ، ونصب الفخ الذي سيقع فيه الصيد لا محالة : فقد عول على الذهاب في الموعد المضروب الى مكان اللقاء ، بدلا من جيراني ، وبذلك تقع الفتاة الآثمة في الفخ ويعرف من هي ؟

لكن مصادفة ليست في الحسبان وقعت فقلبت خطة الشاب رأسا على عقب !·· ففي الليلة الســـابقة أرقت « تيريز » في فراشها ، فهبطت الى الطابق الاسفل لتحضر كتابا تقــرأه ·· وفيما هي صاعدة حانت منها التفاتة الى الحديقة من نافذة السلم. فلمحت نورا خافتا ينبعث من الكشك الذي في أقصاها · ثم رأت شبح رجل يتسلل منه الى الخارج ، وشخصا من الداخل يودعه !·· وبعد حين أقبلت ليديا متلصصة . وكم كان ذعرها حين وجدت تيريز في مواجهتها ، تسألها في صرامة عن «الرجل» الذي كانت معه !

وفي البداية حاولت ليديا الانكار ·· لكن تيريز ضيقت عليها الخناق، وهددتها بابلاغ الامر لامها ان لم تذكر الحقيقة كاملة!··

فاضطرت الى الاعتراف بمقابلتها للشاب الايطالي ، زاعمة انها انما قبلت لقاءه آخر الامر ، بعد محاولات طويلة ، كي تقنعه بالكف عن مطاردتها !!

وفي الليلة التالية تصدت بيريز لابنة خالتها قبل موعد اللقاء ومنعتها من الخروج ، هي أو خادمتها !·· ومضت هي الى الكشك بدلا منها !·· وكم كان ذهولها حين ألفت نفسها في مواجهة : ابن خالتها « ريمون بلوارنيه » !

وكان موقفا شائكا رهيبا ·· لم تكد تنقضي منه دقائق الصمت الاولى المتخلفة عن المفاجأة ، حتى صارح الشاب ابنة خالته بأنه رغم أسفه على ما انحدرت اليه من ضعة فانه لا يملك نفسه من الشعور « بالارتياح » لان الآثمة لم تكن خطيبته الحبيبه ليديا ، والا ·· لقتلها ثم قتل نفسه !

وكانت هذه العبارة بمثابة « المفتاح » الذى أرشد بيريز الى حل الموقف، فقدكانت تحب ريمون من أعماق قلبها، وفي سبيل حبها اياه وتجنيبه كل ألم أو أذى فلتتحمل هي أية تضحية ·· مهما غلت !

وتركته يعتقد أنها الآثمة !·· وحين اعترف لها بأنه قتل « عشيقها » ندت من صدرها صرخة مكتومة ، مبعثها الجزع مما قد يترتب على الموقف من نتائج ، لا الجزع لمصير الآخر !··

ولكن أنى للتعس أن يعلم الحقيقة ؟!·· وطيب ريمون خاطر الآثمة « المفجوعة » بكلمتين ثم طلب اليها أن تعود الى مخدعها كي تذرف الدمع السخين وتسأل ربها المغفرة !

وعادت المسكينة الى حيث كانت تنتظرها الآثمة الحقيقية ·· فلم تكد هذه تعلم منها بعودة خطيبها ومصرع عشـــيقها حتى صرخت من قلب مكلوم ولاذت بمخدعها تبكي وتنتحب ·· وفي غمرة محنتها راحت خادمتها الزنجية تغذي حقدها على خطيبها بقصة وقعت لها في شبابها : قالت انهاكانت جارية لسيد أبيض

استملحها فأرادها لنفسه ، لكنها كانت تحب زنجيا من جنسها. فلما علم السيد جاء بحبيبها الزنجى وجلده أمام عينيها حتى فارق الحياة .. فطوت ضلوعها على نية مبيتة للانتقام منه ، وذات يوم تظاهرت لسيدها بخضوعها لرغباته وضربت له موعدا فى كوخها . وهناك أعدت له زنجيا آخر من جنسها ترصد له فلم يكد السيد يدخل حتى انقض هذا عليه وأوثقه فى عمود ثم انهال عليه جلدا بالسياط ونال المرأة أمام عينيه امعـــانا فى تعذيبه !.. وأخيرا خرج المتآمران فأضرما النار فى الكوخ بمن فيه وهاما على وجهيهما فى الاحراش ، فرارا من العدالة ، ستة أشهر كاملة ، قتل فى نهايتها العبد فى معركة بينما التقطتها هى سفينة عابرة حملتها الى جزر المارتنيك ، حيث التحقت بخدمة والد ليديا ، وكانت هذه طفلة حديثـة الولادة فتولت الزنجية ارضاعها وتربيتها عوضا عن مولودها ــ ثمرة صلتها بالزنجى ــ الذى ولد ميتا !



لم تكد الزنجيـــة تفرغ من قصتها حتى علقت عليها ليديا بقولها : « الحق معك يا ليلى ، فالمـــرأة القوية لا تبكى ، بل تنتقم ! » .. ثم أوت الى فراشها تفكر فى القصة التى سمعتها. وحين استيقظت فى الصباح ، شاحبة الوجه ، ذابلة العينين ، كانت قصة الزنجية قد سطرت فى وعيهـا بأحرف من نار .. ومنـذ ذلك اليوم بدأت تبيت فى ضميرها خطة محكمة للانتقام!

◆ **في** اليوم التالى أقبل « ريمون بلوارنيه » لزيارة البيت بعد عودته من ميدان القتال فاستقبلته خطيبته مرحبة فى جرأة - كأن شيئا لم يحدث ! - بينما هى قد أضمرت له حقدا أسود لم تكن تكشف عنه الغطاء الا حين تخلو الى خادمتها الزنجية فيدور بينهما مثل هذا الحديث :

- لقد حطم مستقبلى ، وسوف يدفع ثمن فعلته غاليا !
- لا تنسي يا سيدتي ان خطيبك غني موفور الثراء ..
- و « جيرانى » كان بدوره غنيا، وكنت سأصبح «مركيزة»!
- دعى الموتى وشأنهم يا سيدتي وفكرى فى مستقبلك ..
- لقد أحكمت خطتي ، وبدلا من أن أتزوج بدافع الحب . سأتزوج بدافع الحقد .. وسيحس هذا الرجل بأظافرى تنفذ الى قلبه فى الصميم !

وبينما كانت « ليديا » تبيت نيتها هكذا على الانتقام ، كانت الاخرى « تيريز » - تطوى قلبها على تضحيتها النبيلة فى صمت، وتعاود التفكير فى حلمها القديم بشأن نبذ الدنيا والانزواء فى دير !.. وذات مساء أعلنت مدام سان موريس لابنتها وخطيبها ما فاجأتها به تيريز فى هذا الصدد ، وأضافت انها حاولت اقناعها بنبذ مشروعها فلم تقتنع !!.. فقالت الفاجرة ليديا معلقة فى هدوء عجيب :

- انها تحسن صنعا .. فلقد خلقت للرهبنة !

أما ريمون فصمت ولم ينبس بحرف ..!

القسم الثانى

◆ **وذهبت** تيريز الى الدير ..

وتزوجت ليديا من ريمون دى بلوارنيه !

وانقضى عام ، كان كل يوم منه يزيد ريمون تعلقا بزوجته الماكرة ، وعمى عن ادراك نواياها! لم يكن الغبي يفكر الا برأسها، أو يرى الا بعينيها ، أو يعيش الا بها ولها ! أما هى فقد صارت

تعرف في المجتمعات الباريسية بلقب « الكونتة دي بلوارنيه » . ولم تكن تظهر في مجتمع الا ويحدث جمالها وأناقتها دويا في المكان ، وتروح أنظار المعجبين تتقاذفها في شغف .. **وكان في مقدمة هؤلاء المعجبين : المالي الكبير « صموئيل برنهايمر » ، الذي صادفها مرة في دار الاوبرا قبل زواجها ، كما قدمنا .. ثم المركيز الشاب « موريس دي روكيير » الذي ألح عليه ليلتئذ أن يقدمه اليها في مقصورتها !**

وقد وجد « برنهايمر » السبيل ممهدا لتقربه الى ليديا منذ اختير مديرا لشركة مالية ضخمة ساهم فيها كل أصحاب الملايين في فرنسا وأطلقوا عليها « الكونتوار فرانسيه » ، فقد كانت ليديا بحكم جشعها ، حريصة على استغلال ثروة زوجها في كل باب تأمل أن يعود عليها منه ربح وفير .. فانتهز برنهايمر فرصة صلته القديمة بأسرة تيريز وريمون وراح يحاول التسلل الى قلب ليديا عن طريق ارشادها الى صفقات مالية ضخمة درت عليها وعلى زوجها أرباحا طائلة ..

وطيلة الوقت كان ينتهز الفرصة فيحاول أن يدرس نفسية ليديا ، لعله ينفذ منها الى لغز مأساة تيريز ـ ابنة صديقه القديم ـ وسر اختيارها حياة الدير والرهبنة ، وهي ما تزال في ربيع شبابها ..! وكان قد زار تيريز ذات يوم في الدير واستخدم كل دهائه كي يقف منها على أي ايضاح يلقي ضوءا على الموقف ، لكنه باء من محاولته بالفشل ، فقد أصرت الفتاة على أنها اختارت هذا السبيل استجابة منها لميل شخصي متأصل في نفسها !.. **لكنه وهو يودعها رأى عينيها تغرورقان بالدموع ، فانصرف وقد قوي عنده الشك في أن يكون الباعث لها على دخول الدير هو حبها لريمون وايثاره ليديا عليها !**

أما ريمون .. فقد بلغ من حبه الساذج الاعمى لليديا أن ضاعف من اغداق المال عليها بلا حساب ، واشباع شهوتها الى الانفاق والبذخ في اسراف جنوني .. حتى لقد اضطرت أمها آخر

الامر الى مطالبته بكف يده بعض الشيء ، وايقافها عند حدها بعد أن استفحل الامر ٠٠ لكن الشهور توالت والتعس مشفق من مفاتحتها في هذا الشأن !٠٠ وحين تذرع بشجاعتـــه أخيرا وفاتحها في الامر ، محذرا اياها من عواقب اسرافها الاهوج الذى قد يزعزع مركزه المالى ويقوده الى الافلاس ، أدارت دفة الحديث مقترحة عليه أن يشارك برنهايمر في مضارباته بالبورصة !٠٠ وما زالت به حتى زج بنفسه في هذا السبيل ، وربح منـــه بالفعل مبالغ طائلة ، كما ربحت هى مثلها ٠٠ غير انها لخبث طويتها كانت تدخر كل ما تربح وتمعن في انفاق أرباح زوجها !

ذلك ان خطة الانتقام ــ الذى لم تغب فكرته عن ذهنها يوما واحدا ! ــ كانت تنقسم الى شعبتين : الاولى أن تقود زوجهـا الى الافلاس ٠٠ والثانية أن تقضى بعد ذلك على حياته ، بأن توقع الشاب الماجن المركيز دى روكيير في شرك غرامها ، وتدخل في روعه ان زوجها هو الحائل الوحيد بينهما ، وتظل به تراوده عن نفسها حتى يجن بها حبا ٠٠ وتصل رائحة الفضيحة الى الزوج فيتبارز مع روكيير ــ الذى كان مشهورا بأنه من أمهر الرماة وأقدر لاعبى السيف ! ــ فيلقى ريمون حتفه على يديه ٠٠ وبذلك يسدل الستار على هذه المأساة المروعة !!

ولم تكن ليديا تتصور حين بدأت تغـــازل المركيز روكيير وتشجعه على مغازلتها ، ان ما تحسبه لعبا سوف ينقلب جدا في يوم من الايام ! وهكذا ظلت تلعب بالنار حتى أحرقت أصابعها ، وتدحرجت رويدا رويدا حتى استسلمت للشاب وغدت خليلته!
٠٠ واتخذ روكيير للقائها مسكنا خاصا في شارع « لوبيك » ، صارا يلتقيان فيه بمنجاة من العيون ٠٠ لكن المحظور وقع ذات يوم ، حين لمح « برنهايمر » وهو مار بعربته في شارع لوبيك ، امرأة تشبه ليديا خارجة من أحد المنازل وقد أسدلت على وجهها قناعا !٠٠ فتقاذفته الهواجس وعصفت بقلبه الغيرة ، فهرع من

فوره الى بيتها حيث انتهز أول فرصة فسألها عما كانت تفعل في شارع لوبيك ؟! ٠٠ لكن الماكرة أنكرت فى جرأة ذهابها الى هناك ! ومع ذلك فان انكارها لم يقنعه ، فصمم على استجلاء الحقيقة مهما كلفه الامر ٠٠ وهكذا بادر فى صبيحة اليوم التالى الى استدعاء سكرتيره الخاص ـ وكان فضوليا مغامرا ـ وتبسط معه فى الحديث ، **حتى علم منه أن للمركيز دى روكيير مسكنا خاصا فى شارع لوبيك يلقى فيه احدى عشيقاته ، وقد وقف السكرتير على هذه الحقيقة مصادفة من صديقة له تقطن المسكن المواجه لذلك الوكر !** ٠٠ فلم يكد « برونهايمر » يسمع هـذه التفصيلات حتى كلف سكرتيره باغراء صديقته على مراقبة المسكن ومعرفة شخصية العشيقة ومواعيد ترددها عليه ٠٠ الخ

أما ليديا فان استجواب برنهايمر لها بشأن ترددها على ذلك المسكن قد أقنعها بضرورة تغييره فورا ، فأخطرت عشيقها بأنها تود رؤيته فى الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالى لامر هام ٠٠ وبادر هذا فأرسل خادمته الى المسكن قبل هذا الموعد بوقت كاف كى تعد العدة للقاء ٠٠ وعرفت صديقة السكرتير من حضور الخادمة انه تمهيد للقاء جديد فأخطرت صديقها ، الذى أخطر رئيسه بالامر ٠٠ وهكذا لم تكد ليديا تصل الى مواجهة باب مسكن عشيقها حتى فتح باب الشقة الملاصقة على حين غرة وبرز منه رجل أمسك بيدها وجذبها الى الداخل ثم أغلق عليها الباب فى طرفة عين : واذا ليديا وجها لوجه أمام ٠٠ صموئيل برنهايمر !

وعقدت المفاجأة لسانها لحظات ٠٠ ثم دار بين الاثنين حديث باحت أثناءه للرجل بكراهيتها الشديدة لزوجها ! وأثناء الحديث سألها المالى الكبير ، دون قصد : تخيلى ان زوجك كان مكانى الآن ؟ ماذا كان يحدث ؟ »

ـ كان يصفى حسابه الآن مع روكيير !

وهنا خيل الى برنهايمر انه لا يرى أمامه ليديا الفاتنة التى

كان يهيم بها الى درجة الجنون ·· وانما يرى أمامه ماردا من مردة الجحيم ! انها تدبر خطة محكمة لتقتل الزوج بيـــد العشيق ··· فيا للهول !

وعلى أثر انصرافها خطر لبرنهايمر أن يمسك بالخيوط من أطرافها ، فمضى من فوره الى مقابلة تيريز فى الدير ، حيث طلب اليها أن تصلى من أجل « ريمون » ، فان بيته مهدد بالخراب ! ·· فلما استوضحته جلية الامر صارحها بأن ليديا تدبر خطة لاغتيال زوجها ! واذ ذاك أفلتت من تيريز هذه العبارة : « ويل للتعسة ·· انها تريد أن تثأر « للآخر ! » ·· لكن تيريز تنبهت لخطورة تصريحها فأبت أن تزيد ، مكتفية بمطالبة برنهايمر بالسهر على سلامة ريمون ·· فخرج المالى الكبير من الدير وهو يسائل نفسه: « ان ليديا تبغى اغتيال زوجها ثأرا للآخر ·· فمن هو هذا « الآخر » ؟ »

- ٦ -

◆ قبيل هذه الحوادث كان برنهايمر قد شعر بان بعض الايدى الخفيـــه تتلاعب باسهم شركة « الكونتوار فرانسيه » تلاعبا قد يعرضه هو للمسئوليـة القانونية بصفته مديرها ، فلما عجز عن كبح جماح المتلاعبين قدم استقالتـــه من ادارة الشركة ، فقبلت استقالته فورا ·· ولما كانت ليديا وريمون من المساهمين فى الشركة بمبالغ طائلة فقد راى ان واجب الوفاء يقتضـــيه ان يحذرهما من الخطر المحدق بهما كى يتداركا ثروتهما قبل ضياعها ·· فمضى الى ليـــديا وصارحها بالموقف ثم نصحها بان تبيع وزوجها اسهمهما فى الشركة اثنـــاء ارتفاعها المؤقت المصطنع ، الذى سيعقبه انهيار مخيف !·· لكن ليديا ـ تنفيذا لخطتها الجهنمية ـ اكتفت ببيع اسهمها الخاصة ثم عمدت الى تزييف رســـالة برنهايمر الى زوجها فعكستها ، قائلة له ان الرجل ينصحه بعدم بيع اســـهمه باية حال !!

حدث ذلك قبل ان يكتشف برنهايمر حقيقة ليديا ويضبطها امام مســـكن روكيير ·· فلما انكشفت له حقيقتها وبدرت من تيريز تلك الاشارة المقتضبة الى « الآخر » ، ادرك ان خطرا شديدا يحدق بريمون ، فعرج عليه واستفسر منه عما اذا كانت زوجته قد ابلغته نصيحته له ببيـــع اسهمه ؟ وكم كانت

دهشة الطرفين حين صرح الشاب بأن زوجته قد افهمته العكس تماما !٠٠ وانه قد اشترى بالفعل مزيدا من اسهم الشركة ، بدلا من أن يبيع ماعنده منها !

ـ وهل اصبحت هذه الاجراءات نهائية ؟

ـ نعم ، فقد وقعتها بالفعل !

وهنا غير برنهايمر مجرى الحديث عامدا فحدث ريمون عن مقابلته الاخيرة لتيريز ، وعن اهتمامها بامره وعطفها عليه ٠٠ الخ ـ فلما خرج المالي لم يملك ريمون نفسه من المقارنة بين تيريز وليديا ٠٠ واسترجع في ذهنه احداث الماضي والحاضر فراح يربط بينها و «يولف» احدها على الآخر ٠٠ ثم امتطى جـــواده وخرج ليرتاض قليلا ، فصادق زميلا اكد له نبأ الكارثة الماليـــة التي أصـــابت الشركة ٠٠ الذي فقد دق على رأسه ناقوس الخـــراب ، وكانت زوجتـــه هي السبب !٠٠ واذا هو يلوى عنق جواده ثم يدفعه بسرعة جنونية في الطريق الى منزله ، فقد ارتسمت في ذهنه علامات استفهام كثيرة وكبيرة كان يريد الجواب عليها في الحال ٠٠ فلما وصل اندفع الى مخدع زوجته كالسهم ، فوجدها أمام مكتبها الصغير منهمكة في الكتابة ٠٠ فلما رآته اضطربت وأسقطت الورقة التي كانت تكتبها في الدرج ، لكنه بحركة قوية نحاها جانبـــا واختطف الورقة ٠٠ فاذا هي تصيح كالكلب المسعور وتحاول انتزاع الورقة من يده !٠٠ لكنه تجاهل صراخها وتوسلاتها وشرع يقرأ فيها هذه البرقية : « ياحبيبي موريس ٠٠ ان اللغم الذي أحكمنا تعبئته ووضعه قد انفجر الآن ٠٠ فقد افلس الكونتوار ٠٠ ويجب أن اراك في الحال ! » « ليديا »

أمسك ريمون بليديا من كتفيها ودفعها بقوة وحشية ، ثم أضاف وقبضتاه الحديديتان تكادان تشطرانها شطرين :

ـ ليس المجال مجال كلام الآن بل مجـــال اعتراف ٠٠ من هو موريس هذا ؟ هل هو المركيز روكيير ؟

ـ نعم !

ـ انك في هذه المرة عشيقة روكيير . وأما في المرة السابقة فقد كنت عشيقة جيراني ! أليس كذلك ؟؟

ـ نعم !

ـ والآن اجيبيني : مادمت تكرهينني الى هذا الحد فلماذا قبلت الزواج مني ؟

ـ تزوجتك كي اثأر للرجل الذي احببته ، والذي قتلته بيدك الآثمة ٠٠ وها حلمي قد تحقق : فلقد قدتك الى الخراب ، ثم خنتك ٠٠ وسوف يتم انتقـــامي

حين يصرعك روكيير .. هذا اذا واجهته ولم تكن رعديدا !

ـ لقد قتلت عشيقك الاول ، وسأقتل الثانى !.. وبهذه المناسبة دعينى اقدم اليك الدليل على أنك لاتعشقين غير الانذال : اليك الاقرار الذى ســــجل فيه جبرانى على نفسه أنه كاذب مختلق فى كل ماروى ، كى يتجنب المبارزة !

ـ كاذب !.. كاذب !

ـ وهل تعلمين يافاجرة ان عشيقك النبيل الباسل كان متزوجا ؟

ـ كاذب !.. كاذب !

وانطلقت من الغرفة كالصاروخ أو كالمجنونة ، وبعد حين عرف أنها اخـذت كل ما استطاعت حمله من حليها وأموالها ، واختفت !.. فقال ريمون معلقا : « لقد أحسنت صنعا بالفرار .. ان عدد الداعرات فى الدنيا سوف يزيد بفرارها واحدة !.. والآن ، الى روكيير ! »

ـ ٧ ـ

◆ وتبارز الغريمان ، فسقط روكيير صريعا ، بينما أصيب ريمون بجـــرح خطير ، رأى الاطباء معه ضرورة توفير ممرضة خاصة للسهر على راحة الجريح.. فانطلق برنهايمر الى الدير وعاد وبصحبته «تيريز» ، فان التى تهرع لنجـدة الغرباء لا تضن بالنجدة على حبيبها !



واجتاز ريمون مرحلة الخطربسلام ، ثم زف اليه «برنهايمر» بشرى مضاربته باسمه فى البورصـــة عـلى النزول ، واسترداده له جميع أمواله التى كان قد خسرها !.. وحـــين اعربت تيريز عن رغبتها فى العودة الى الدير قال لهـــا برنهايمر : « وخالتـــك المسكينة ؟ ان وجودك بجوارها فى محنتها القاسية لهـو العزاء الوحيد لنفسها الحزينة وقلبهـــا الكسير ، بعد أن برأت من ابنتها الضالة

وقطعت كل صلة بها ! » ٠٠ ومازال الرجلان بها حتى قبلت البقاء . فان طبيعتها السمحة كانت اسخى من ان ترفض اى عمل من شانه اسعاد الآخرين !

اما ريمون ، الذى كان زواجه من ليديا مازال قائما ـ لاانفصام له ! ـ يفرق بينه وبين تيريز بحائل لا فكاك منه ـ فقد شد رحاله بمجرد شفائه الى حيث راح يجوب البلاد فى رحلات طويلة ، عساه ينسى ماصادفه من محن وأهوال ٠٠

وذات يوم ، وهو فى لندن ، عاد الى بيته من رحلة صيد ، ليجد فى انتظاره خطابا من برنهايمر مصحوبا بقصاصة من صحيفة ايطالية جاء فيها : «ان الفاتنة الفرنسية التى كانت ملء عيون وأسماع اهل نابولى طيلة العامين الاخيرين قد اصيبت بحمى التيفوئيد فقضت نحبها ، برغم العناية الفائقة التى بذلها لها الطب !٠٠ أما خادمتها الزنجية التى كانت لاتفارقها دقيقة واحدة ، والتى ربتها وارضعتها ، فانها لم تحتمل الصدمة ٠٠ فوجدت فى صبيحة اليوم التالى بجوار نعش سيدتها ٠٠ جثة هامدة ! »

انتفض بدن ريمون لدى تلاوة هذه القصاصة ، فلما أفاق تذكر أنه لم يقرا خطاب برنهايمر ، فنشره امام ناظريه وقرا فيه : « والآن ياصديقى ، ألا ترى ان مدة غيابك قد طالت اكثر مما يجب ؟٠٠ وانك مطالب امام الله باصلاح الاخطاء الجسيمة التى تحملت تيريز عبئها بغير ذنب ولا جريرة ؟ فاذا كانت فى الدنيا عدالة فان هذه الفتاة القديسة يجب أن تعوض عما بذلت من ذات روحها وماتحملت ٠٠ وانت الوحيد الذى يمكنك ان تعوضها وتجبر كسر جناحها المهيض !٠٠ لقد قلت لى مرة انك مررت بجوار ينبوع السعادة ولكنك لم تره ، فلماذا لاتعود اليه الآن وقد أصبح فى متناول يدك ؟٠٠ اذا قررت العودة فاكتب الى كلمة واحدة افهم منها ماعولت عليه ، وحينئذ سأعرف كيف أعبد لك الطريق فيما يتصل بـ «تيريز» ٠٠ والا ، فالوداع ٠٠ الى غير رجعة !! »

غاص ريمون فى تفكير عميق ، ومرت أمامه صور الماضى البشعة بأكملها : ليديا ، وشرها ، واعمالها ، وحقدها ، وهربها ، وخيانتها ٠٠ فخيل اليه ان الدم مايزال ينزف من قلبه وينبجس من جروحه ٠٠ ثم راى امامه وجه تيريز الجميل ، الهادىء ، الوادع ، وابتسامتها الحلوة ٠٠ وأحس بدقات قلبها الطهور ٠٠!

فلما مرت أمامه الصورتان ايقن ان السماء قد عفت عنه ، ومدت اليه يد الغوث لتنتشله من الوهدة التى تردى فيها ٠٠ فنهض واقفا وقد أعاد اليه الامل قوته وشبابه ، وكتب الى برنهايمر برقية لاتحتوى على غير هاتين الكلمتين :

((انى قادم !))

(بقية المنشور ص ١٢٦)

◆ وحل يوم المحاكمة ، فحضر الزوج المفجوع متحاملا على حزنه ، وقد بدا عليه الاسى اكثر منه يوم التحقيق

وفى قفص الاتهام ، وقف «الفتى» الذى رآه مستر «بيللينجهام» فى «كافيه دو باري» ، والذى اكدت «ماديلون» انها لمحت وجهه فى نافذة تلك الحانة .. وكان واجما ، تزخر نظراته بالغباء والذعر .. ولكنه ظل صامتا ، لا يتكلم .. حتى حين وجه القاضى اليه بعض الاسئلة ..

واذ يئس القاضى منه ، تحول الى «آنسون» فسأله على حين غرة :

ـ هل تذكرت العنوان الذى نزلت فيه فى «مرسيليا» يا «بيير انسون» ؟ ..

ورفع الرجل بصره فى وجومه المعتاد ، ثم قال :

ـ لا استطيع ان اتذكر .. ربما تعرفت عليه لو رأيته !.. لقد الهتنى الفجيعة فى قريبى عن ان اعنى بتعرف اسم المكان..

ـ وما اسم ذلك القريب يا «بيير آنسون» ..؟

وتردد الرجل .. وفى اللحظة التى اوشك ان يتكلم فيها، صاح به القاضى :

ـ انك تكذب يا «بيير آنسون» .. لم لا تقول الحق ؟.. انك قتلت زوجتك فى ساعة مبكرة من صباح يوم الاثنين ، واستوليت على مالها ، فدفعت الى الفتى الابله بمبلغ زهيد ليبتاع ثوبا جديدا ، ويلهو يوما فى « مونت كارلو » .. ثم اسرعت بالمال الى «نيس» لتنفرد به مع عشيقتك ، بعد ان احكمت شباك الشبهات حول هذا الابله المسكين ؟..

وقفز الرجل فى مكانه مذعورا وقد احتقنت عيناه ، وامتقع وجهه .. بينما صاح القاضى :

ـ ادعوا هذه المرأة !..

وتطلع «انسون» نحو الباب .. وفى اللحظة التالية بدت

امرأة بين اثنين من رجال الشرطة .. وانبعثت صرخة مروعة في المكان ٠٠ واتجه بصر «ماديلون» نحو قفص الاتهام ٠٠ كان الفتي يبدو مسمرا في مكانه ، وقد علق بصره بالمرأة التي اقبلت. وانجابت عنه غفلته ، واومض الذعر في عينيه .. وصاح مرة اخرى : «امي !؟ » ..

مفتاح الجـــريمة !

◆ قال القاضي وهو يجلـــس الى « مســـتر بيللينجهام » و«ماديلون» عقب المحاكمة :

ــ ان المآسي العائلية ليست نادرة بين طبقاتنا الريفية الوضيعة .. ولكن الغريب حقا في هذه المأساة ، ان «بيــير انسون» كان يحب شقيقتين في آن واحد .. وقد آثر ان يتزوج من كبراهما ، لانها كانت ارملة ورثت عن زوجها السابق مالا .. ولكنه ظل على علاقته بالصغرى في الخفاء .. وكان الفتى المسكين ثمرة هذه العلاقة ، وقد حاولت امه ان تتخلص منه ، ولكن «انسون ، في لحظة من اللحظات التي سرت الرحمة فيها الى قلبه ، انتزعه منها .. فكفلته زوجته ، دون ان تدري اكثر من انه ثمرة علاقة فاسدة بين اختها وشخص غريب !.. وكان «آنسون» يتردد على عشيقته كل شهر في «نيس» - وهما يعللان النفس بموت الزوجة كي يرثا مالها .. ولكــن الزوجة لم تمت !.. واكثر من هذا ، ان احــوال «آنسون» ساءت ، اذ نضب الخشب في المنطقة التي أقام فيهــا الحــانه ، فتحول عمال قطع الخشب عنها ... وكان الفتي في هذه الاثناء قد كبر ، وبدا انه ابله لا امل فيه ، ولا خوف منه .. وبقية القصة لا تحتاج الى شرح . على ان «بيير آنسون» اثبت انه داهية ندر ان يوجد مثله بين الريفيين ، فقد خدعنا جميعا .. وانا لمدينون حقا للآنسة ماديلون ومستر بيللنجهام، فهما اللذان ارشدانا الى القاتل الحقيقي ٠٠ بعد أن كاد الابله المسكين يروح ضحية غدر أمه وعشيقها !

مشروب الضيافة



محتويات الكتاب

الموضوع	صفحة

كتابى

الثانى عشر

".. ووقعت الواقعة فعلا، بلا مقدمات !.. عدت ذات ليلة فجأة من مهمة مصلحية فى بلدة قريبة - قبل الموعد الذى حددته لعودتى - فوجدت زوجتى بين ذراعى رجل غريب ، من أعضاء النادى الذى تتردد عليه !!

" ولكم أن تقدروا - ياحضرات المستشارين - عنف الصدمة التى أصابتنى ، فسحقتنى سحقا.. فكلكم زوج ، وكلكم يستطيع ان يتصور فظاعة الطعنة التى تمزق قلب الزوج المخدوع حين يكتشف فجأة ان زوجته التى أظلها سقفه ، ووجدانه قد استباحت أن تلغ فى شرفه بلا وازع من ضمير .. ! "

(من قصة "أنا القاتل" ، احدى قصص